

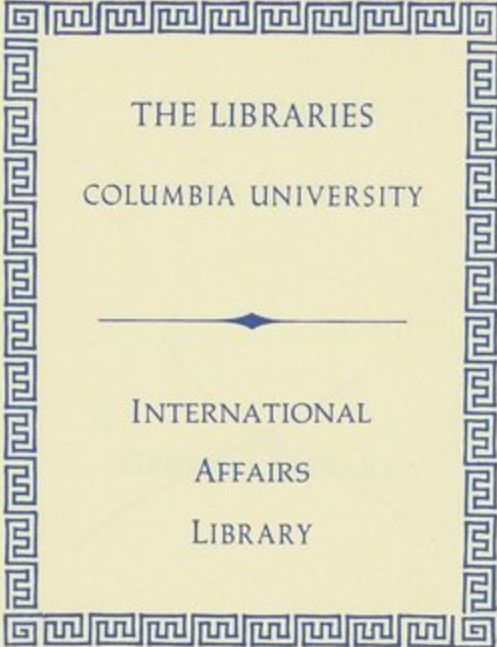
COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU68111622

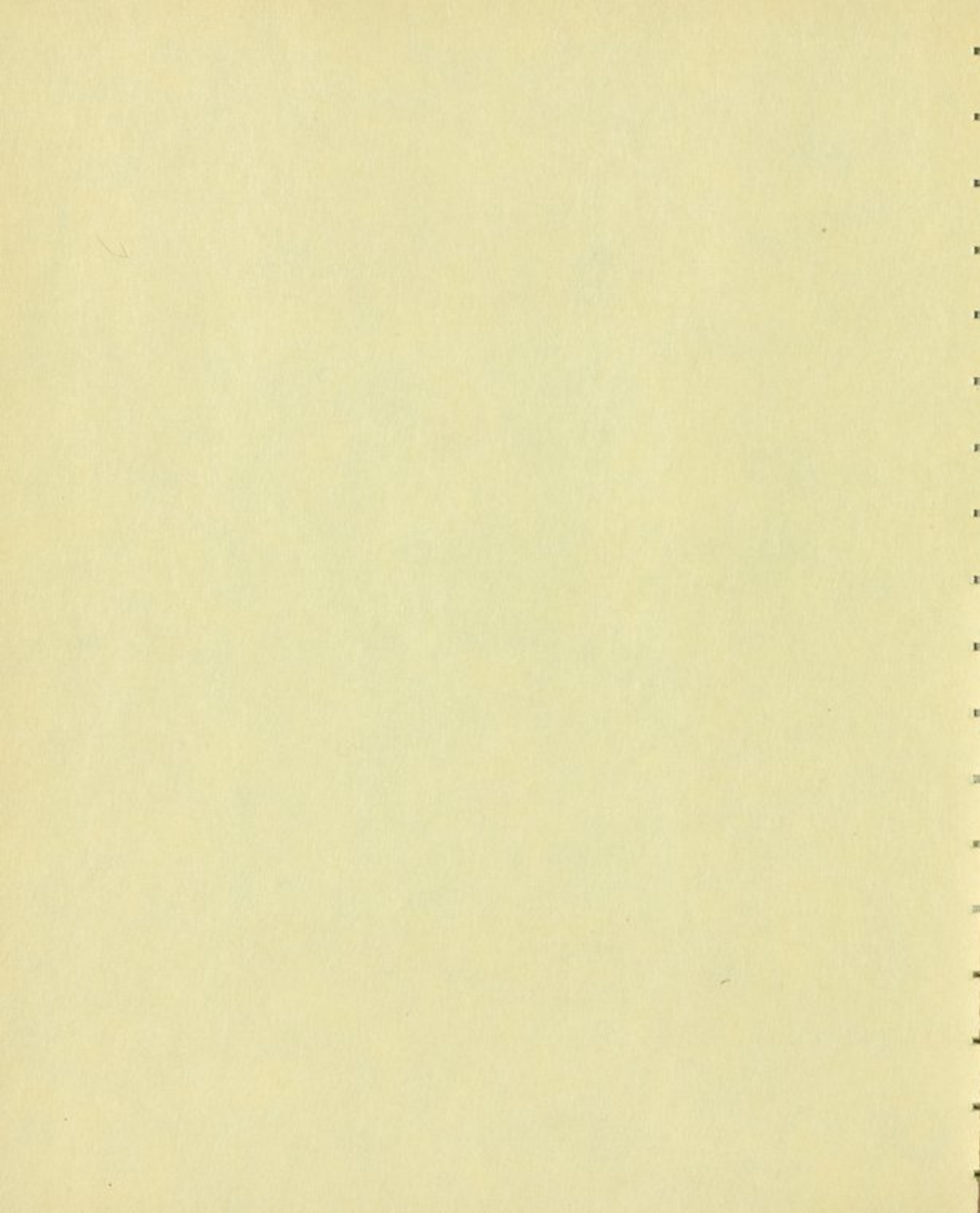
DS63 .I52 v.12

Al-Sira ala al-Khalif



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

INTERNATIONAL
AFFAIRS
LIBRARY



السلسلة السياسية

١٢

الصراع على الخليج العربي

هدية
المكتبة المركزية
لجامعة بغداد

تأليف

سليم طه التكريتي

وزارة الثقافة والارشاد

بغداد

١٩٦٦

السلسلة السياسية

١٢

هدية
المكتبة المركزية
لجامعة بغداد

الصراع على

الجناح العربي

تأليف

سليم طه التكريتي

بغداد

١٩٦٦

وزارة الثقافة والارشاد

Intern. Aff. 956

DS

63

.I52

12

~~1228~~

~~12~~

مُقَدِّمَةٌ

نقصد بالخليج العربي ما اصطلاح عليه باسم خليج البصرة منذ ان قامت هذه المدينة الشهيرة في عهد الخلفاء الراشدين .

والخليج العربي في عرف ربابنة البحار وقادة السياسة والحرب هو تلك البحيرة الضيقة شبه المقفلة التي تمتد جنوب الفاو أقصى مدن العراق الرسمية في الجنوب والتي تختلط بالبحر العربي الممتد جنوبي الجزيرة العربية والمصاوبة للمحيط الهندي .

فهذه البحيرة المقفلة التي يقع العراق في شمالها ويران في شريقها والكويت وقطر ودبي وأبو ظبي ومسقط وعمان في غربها ، هذه البحيرة كانت منذ بدء التاريخ تحتل أهمية خاصة في التوزيع البشري في العالم ، وفي أحكام الترابط والاتصال بين أجزائه المتفرقة البعيدة .

ففي خلال الخمسة آلاف سنة التي مرت منذ أن ظهر السومريون حتى الآن شهدت شواطئ الخليج العربي من التطورات ما لم تشهد بقاء أخرى في المعمورة .

فعلى شواطئ الخليج العربي قامت أعرق الحضارات وشيدت أقدم الممالك والمدن .

فهذه الصحارى الملتهبة برمالها الساخنة وصخورها الجرداء التي كانت

تمتد حتى شواطئ الخليج العربي ولا تقف الا لتعانق مياهه الملحية الصاخبة ، هذه الصحراء كانت تقذف بالبشر الذين يظهرون فيها أو يجتازونها الى تلك الشواطئ وليقفوا مشدوهين حائرين ما الذي يصنعون بهذا البحر الهائج ولججه المخيفة بعد ان هربوا من بحار الرمال ومناهاها القاتلة .

لكن البشر وهو يريد أن يعيش ويحافظ على نوعه كان لابد له من المكوث وكان لا مناص له من العمل .

ومن هنا انبثقت المدن الشهيرة على سواحل الخليج العربي تعج باناس كان البحر هو رفيقهم الوحيد وسميرهم في الليالي والايام .
كان كل ما هبأه البحر للبشر الساكن على شواطئه هو السمك يصطاده ليعيش به ثم ليقايض ما يفيض منه بمتاع آخر وما لبثت صناعة صيد الاسماك ان هدت سكان الخليج الى صيد ادمم وفتحت امامهم مجالات اوسع للثراء . لقد عرفوا اللؤلؤ وقدروا قيمته وحذقوا اصول الغوص عليه والتقاطه من باطن البحر المحيط ثم ما فتأوا أن عرفوا كيف يركبون البحر ويخضعون أمواجه المتلاطمة لقوة سواعدهم المقتولة وهكذا حذق سكان شواطئ الخليج العربي الى جانب صيد الاسماك واللؤلؤ حرفة الملاحة وايصال الشرق بالغرب .

وكان طبيعيا أن يجلب السمك واللؤلؤ والذهب والفضة والحريز والبخور من أقاصى الشرق وان تنقلها السفن التي تمخر عباب الخليج العربي الى افريقيا وأوربا ، وأن تجتذب « هرmez » و « توريدون » و « شوشة » و « تبلوس » - وهي المدن العظمى التي قامت على شواطئ الخليج في العصور الساحقة - طلاب الثروة ورواد المال من مختلف أنحاء العالم لتصبح من أعظم المراكز التجارية التي شهدها ذلك العصر .

ولم يلبث العنصر العربي الذي كانت الصحراء العربية الكبرى تقذفه بموجات متلاحقة تلاحق كنبان الرمل التي تظهر هنا اليوم وتختفي في الغد، ما لبث هذا العنصر العربي أن استقر في تلك الشواطئ وان حذق الصيد والاقلاع في البحر فاذا به يهيمن على شؤون الملاحة في الخليج العربي ويحتكر وسائل التجارة فيه ، واذا به يمد نشاطه خارج تلك البحيرة الضيقة شبه المغلقة ليبلغ شواطئ افريقيا الشرقية والجنوبية معا وليصل سواحل الهند والصين ويؤسس فيها نقاط المتاجرة والاتصال . حتى اذا قامت الدعوة

الاسلامية وتوالت الفتوحات العربية أصبح الخليج العربي نقطة انطلاق جديدة للعنصر العربي وسببا رئيسيا من اسباب سيطرته حتى على المحيط الهندي واحتكار الملاحة فيه وتحويل ذلك المحيط وما اتصل به من بحار وخليجان الى « مستعمرة عربية » خالصة .

ومع ان النظرة الى الخليج العربي كنقطة اتصال بين الغرب والشرق ظلت تحتفظ بالدرجة الاولى من الاهمية طيلة عصور التاريخ الا ان خطورة الخليج لم تكن لتقتصر على ذلك .

فلقد تطورت تلك النظرة وتغيرت تبعا لتطور الاوضاع السياسية في العالم من ناحية ومن ناحية اخرى وفاقا لتطور موازين القوى في النطاق الدولي .

ان الهجوم الذي بدأه الغرب على الشرق باثارة الحروب الصليبية وبرحلات الاستكشاف التي أعقبها ثم احتلال الاوربيين لافريقيا والاجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من آسيا « ان هذا الهجوم كان يمثل نظرة جديدة نحو الخليج العربي والبقاع التي يربط بينهما .

فبعد أن كان ينظر الى الخليج العربي على انه موطن صيد اللؤلؤ الثمين الذي يدر الارباح الطائلة على المتاجرين به من أبناء الشرق والغرب معا « أصبح الخليج العربي في نظر أوروبا المتحفزة الى الفتح حين بدأت أول حملة صليبية على الشرق المسلم ، المفتاح الذي يفتح مغاليق الشرق كله والباب الذي تستطيع أوروبا أن تدخل منه الى الهند والصين تلك العوالم الجديدة الغنية بالكنوز الفريدة والمنتجات الوفيرة التي كانت تتوق أوروبا الى اقتناء المزيد منها بأي ثمن كان .

وهكذا تحول الخليج العربي من موطن لصيد اللؤلؤ الى « جسر » تستطيع أوروبا أن تعبر عليه الى الشرق العتيق ذي الحضارات الرائعة والثروات الهائلة ومقاتن السحر والجمال .

وحين أخفقت الحروب الصليبية ، نتيجة الضربة الماحقة التي وجهها البطل المسلم صلاح الدين الايوبي الى الجيوش الصليبية التي كانت تحتل فلسطين وسوريا ، حين أخفقت تلك الحروب في تحقيق أهدافها وهي استيلاء أوروبا على الشرق لم تمت أحلام المغامرين الاوربيين في معاودة الكرة والوصول الى الخليج العربي مفتاح ذلك الشرق العجيب .

فلقد كان ازدهار التجارة في أوروبا وبدء الثورة الصناعية في بعض

أقطارها يستلزمان الاستيلاء على منابع الرئيسية للمواد التي كانت تؤلف الركن الاساسي لتجارة أوروبا ، والاستحواذ على المواد الخام التي تعتمد الصناعة عليها .

كان الخليج العربي حتى أواخر القرن الرابع عشر يمثل واحدا من طريقين رئيسين ينقلان نفائس الشرق الاقصى والقارة الهندية الى أوروبا . فلقد كانت السفن التي تنقل السلع من بحار الصين واليابان والهند تجوب الخليج العربي فتفرغ حمولتها في البصرة لتتنقل من هناك على ظهور الابل والبغال الى حلب فساحل البحر الابيض المتوسط ثم تحملها السفن مرة أخرى الى البندقية مفتاح أوروبا . ولذلك استهدفت جميع البعثات الاستكشافية والحملات البحرية التي قامت بها اوربا منذ القرن الرابع عشر وما بعده بلوغ الخليج العربي واحتلال نقاطه الاستراتيجية تمهيدا للمساك بالخيطة التجاري الذي يربط الشرق بالغرب .

حين أبحر كريستوفر كولمبس عام ١٤٩٢ من اسبانيا لم يكن يهدف الى اكتشاف العالم الجديد « امريكا » التي ما كان العالم انذاك ليعرف عنها شيئا ما وانما كان يتطلع الى بلاد الشرق الى الهند والصين بلاد التوابل والعاج .

في هذا العصر كانت أوروبا كلها تتجه نحو الشرق لتفوز بالمغانم فيه ولتحتكر تجارته وتستغل ثرواته .

وكان أهم ما شغل أوروبا آنذاك هو الكشف عن أقصر طريق يوصل ذوي الاطماع من أهل أوروبا الى الهند بصفة خاصة وهكذا بدأت رحلات المغامرين الاوائل من أمثال بارتليمو دياز ، وكريستوفر كولمبس ، وفاسكوي دي غاما وغيرهم بهذا الدافع الوحيد ألا وهو اكتشاف أقصر طريق الى الهند . وكان لابد لهذه الطرق سواء التي تجتاز البحر الاحمر او التي تدور حول افريقيا من أن تمر بالخليج العربي كيما تصل الى هدفها المنشود ألا وهو الهند والشرق الاقصى .

حتى اذا ما استطاع البرتغاليون والفرنسيون والانكليز أن يقتسموا القارة الهندية فيما بينهم في منتصف القرن الثامن عشر كانت أهمية الخليج العربي قد تعاطمت لانه أصبح المعبر الرئيس الى الهند ولما كان احتلال الهند والاستئثار بثرواتها الطائلة لا يمكن أن يتحقق الا بالاستيلاء على « المعبر » الموصل اليها فقد بدأ المتنافسون على ثروات الهند باحتلال الخليج العربي

واقامة المراكز القوية الحصينة على شواطئه ومنذ أوائل القرن السابع عشر أخذت السيادة العربية المطلقة على الخليج العربي والممتد الى افريقيا وأجزاء بعيدة من جنوبي شرقي آسيا تنقلص أمام مغامرات الهولنديين والبرتغاليين والفرنسيين ثم البريطانيين حتى اذا حل القرن الثامن عشر كانت جميع سواحل الجزيرة العربية وشواطئ الخليج العربي تخضع للاستعمار الاوربي لان هذه المناطق كانت تقع « على طريق الهند » وبذلك تطورت مهمة الخليج العربي تطورا آخر فبعد أن كان موطن اللؤلؤ تحول الى معبر يربط اوربا بالشرق ثم استحال في القرن الثامن عشر الى « نقطة حراسة » لطريق الهند .

ولقد شهد الخليج العربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر أعنف المعارك البحرية وأشدها ضراوة وكانت هذه المعارك قد بدأت أولا بين الغزاة الاوربيين والعرب المغاوير أهل البلاد الشرعيين ثم استحالت تلك المعارك الى وقائع حاسمة بين الغزاة أنفسهم بين الهولنديين والبرتغاليين وبينهم وبين الفرنسيين وبين البرتغاليين والانكليز وبينهم وبين الفرنسيين حتى تمت الغلبة بعد ذلك للانكليز الذين سيطروا على سواحل الجزيرة العربية وشواطئ الخليج العربي كلها واحتلوا الهند وأحقوا بها بورما والملايو وسنغافورا ودفعوا بمنافسيهم من البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين بعيدا فلم يعد لدى البرتغال في الهند كلها سوى منطقة « غوا » التي حررتها حكومة نهر و سنة ١٩٦١ ولم يبق لفرنسا موطن قدم لا في الهند ولا في الجزيرة العربية ولا في مصر أبدا .

ومنذ ذلك التاريخ حتى مطلع القرن العشرين ظل الخليج العربي يمثل في نظر بريطانيا المسيطرة عليه « كلب حراسة » لطريق الهند درة التاج البريطاني .

غير ان اكتشاف البترول في ايران أولا وفي العراق ثانيا لفت الانظار الى هذه الشواطئ الكالحة الجرداء التي تقع على الخليج العربي وما هي الا سنوات واذا بالذهب الاسود يتفجر على تلك الشواطئ ليفيض بالخير والبركة ليس لسكانها الذين كانوا يحيون حياة تأنفها البهائم وانما للمغامرين الجدد من أساطين رأس المال وارباب المصارف في لندن وباريس ونيويورك .

وهنا يدخل الخليج العربي مرحلة جديدة بالغة الخطورة فهذه البحيرة الضيقة لم تعد موطناً للؤلؤ ولا منطلقاً الى الشرق ، ولا معبراً نحو الهند وحسب وانما أصبحت مصدراً لأعظم مادة تلعب اليوم الدور الاول في تقرير سياسة العالم واثارة الحروب واخمادها انها قوة البترول التي أصبحت منذ بداية القرن الحالى بؤرة النزاع الدولى ومثار الحروب العالمية وأداة الحرب والسلم معا .

سليم طه التكريتي

الفصل الاول

الصراع على الخليج العربي

بين العرب واليونان والفرس والرومان

- عرف العرب ركوب البحر قبل أن يبرز فجر التاريخ بأزمان طويلة .
- فصنعوا القوارب الصغيرة طلبا لصيد الاسماك فيه أو غوصا على لآلئه .
- ثم ما لبثوا أن عرفوا استعمال الساري والشراع وأخذوا يبنون السفن الكبيرة يمخرون بها الخليج العربي وبحر العرب والبحر الاحمر حتى وصلوا مياه الهند والصين .
- وكان وضع الجزيرة العربية ملائما لحركة الملاحة ولازدهار التجارة البحرية فقد كان البحر يحيط بها من جنباتها الثلاث ويمتد فيها ساحل طويل جدا يبدأ بالسويس على البحر الابيض المتوسط وينتهي بالبصرة على الخليج العربي .
- وكانت مصر ويران والهند تمثل اولى المراكز التي اتصل العرب بها بحرا .

وكانت السفن العربية منذ القدم تسلك في ابحارها الى الشرق والغرب طريقين رئيسين .

أولهما انها كانت تنقل البضائع والثروات من الشرق الاقصى والهند فتمخر بحر الصين فالمحيط الهندي ثم البحر العربي فالخليج العربي حتى رأسه الشمالي جنوبي العراق ومن هناك تنقل تلك الحمولات برا عبر العراق الى حلب فموانئ البحر الابيض المتوسط ليتم نقلها الى البندقية وبقية أنحاء أوروبا .

أما الطريق الثاني فكان يبدأ من الشرق الاقصى والهند أيضا فيمر ببحر الصين والمحيط الهندي والبحر العربي ثم يدخل البحر الاحمر فترعة السويس ليبلغ سواحل البحر الابيض المتوسط على الساحلين الاسيوي والافريقي . وكانت تتفرع من هذا الطريق طرق ثانوية يسير بعضها الى افريقيا الشرقية وسواحلها وتتحدث الآثار السومرية والاكديّة التي عثر عليها في بطون المدن التي اكتشفت حتى الآن في العراق عن الصلات البحرية بين العراق والجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي وجزره . وتوضح هذه الآثار ان التجارة قد توطدت في السنة الفين وخمسمائة قبل الميلاد بين « دلون » [البحرين] وعاصمة الدولة السومرية « لكش » . وان البحرين كانت تصدر الى سومر في ذلك الوقت التمور والنحاس وكانت تحصل على التمور من اليمن أما النحاس فكان يجلب من مناجم « ماغن » أي عمان .

وجاء في الآثار أيضا ان « غوديا » ملك سومر العظيم الذي عاش في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد بعث باسطول له جاب خليج «مارماتو» أي الخليج العربي فبحر العرب ثم بحر «سوف» أي البحر الاحمر حتى وصل الى « كوبي » على الساحل الافريقي الغربي . وقد عاد ذلك الاسطول من كوبي محملا بالسلع فافرغ حمولته في مدينة سربيللا التي بدأت الرحلة منها والتي تعرف اطلالها الآن باسم تللو على مقربة من الناصرية .

وحيث استولى سرجون الاكدي سنة ٢٣٦٠ ق.م. على سومر وقضى على مملكة عيلام في فارس اتجه جنوبا الى «البحر الادني» أو «البحر المر» ، وكتلهاهما تسميتان للخليج العربي في ذلك الوقت ، وذلك بقصد اخضاع البحرين لحكمه . وقد استطاعت البحرين أن تتحرر من حكم الاكديين بسرعة لكنهم ما فتئوا أن يسيطروا عليها ثانية في عهد الملك « نارام سن » .

وتذكر الألواح السومرية ان « سومو ايلو » أمير « لارسا » المعروفة خرائبها الآن باسم سنكره في جنوبي العراق ، والتي ازدهرت سنة ١٨٢٠ ق.م ، ان هذا الامير بعث بحملة بحية الى البحرين لجلب الاحجار والمعادن والاختشاب والعاج منها الى سومر .

وتشير الألواح المعروفة بالخط المسماري التي عثر عليها سنة ١٩٣٩ في البحرين الى الامير « ريموم » فارس « أغاروم » . وريموم هذا هو شيخ القبائل العربية المعروفة باسم اغاروم والتي كانت تحكم البحرين في عهد البابليين .

وعندما تولى سرجون الآشوري الحكم سنة ٧٢٢ ق.م في اشور اراد هو الآخر أن يقتحم الخليج العربي ويخضع البحرين لنفوذه لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها لضعف اسطوله . ويبدو ان سكان البحرين ارادوا ابعاد خطر سرجون عنهم بأن بعثوا اليه بالهدايا الكثيرة ويتحدث سرجون عن عظمته في الألواح التي سجلت تاريخ حياته فيقول « ان اوبيري ملك دلون الذي يعيش كالسمكة على بعد ستين ساعة وسط بحر الشمس المرتفعة ، قد سمع بعظمتي فاتى الي بهداياه ! » .

وعندما استولى سنحاريب ابن سرجون الآشوري على بابل اول مرة ودمرها سنة ٦٨٩ ق.م بعث ببعض أنقاضها الى البحرين ليخيف سكانها وليجعلهم يواصلون ارسال هداياهم الى آشور .

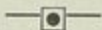
وقد استولى آشور بانيبال [٦٦٨-٦٢٦] ق.م على البحرين فأصبحت ولاية تابعة لمملكته .

وقام ملك بابل نبوخذنصر الذي استولى على « صور » في عمان سنة ٥٧٢ ق.م بتطهير مصبي الفرات ودجلة . وكانت السفن في عهده تأتي من الخليج العربي فتصل حتى مدينة « اوبي » التي قامت مدينة القادسية مقامها على مقربة من نهر « دجيل » .

وحتى قبل ذلك التاريخ بزمن طويل أي في الالف الاول قبل الميلاد كانت تقوم على ساحل الخليج العربي مملكة قوية تضم العرب والكلدانين وتمتد حدودها من مصب نهر الفرات حتى البحرين وقد أطلق عليها اسم « مملكة البحر » وسماها كثير من مؤرخي اليونان باسم « كلديا » .

والظاهر ان هذه المملكة كانت تخضع اسميا للدولة الآشورية وقد ثار ملكها ضد سنحاريب ملك آشور الذي حكم ما بين ٧٥٠ و ٦٨١ ق.م .

لكن ثورته فشلت فهرب الى ايران • وحينئذ جلب سنحاريب الفينيقيين من صور وصيدا وقبرص الى نينوى فبنوا له عددا من السفن أنفذها فيما بعد الى الخليج العربي لاختضاع الممالك القائمة على سواحله •



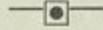
بدأ أول صراع بين العرب والفرس في الخليج العربي على عهد الملك داريوش [دارا] الأكبر (٥٢١ - ٤٨١ ق م) فاول مرة استطاع الفرس في عهد دارا هذا انفاذ اسطول قوي مخر سواحل الخليج العربي وشبه جزيرة العرب حتى وصل الى مصر •

أما أول احتكاك بين العرب واليونانيين في الخليج فقد حدث في عهد الاسكندر المقدوني الذي توفي ببابل سنة ٣٢٣ ق م • فبعد أن دحر الاسكندر دارا ملك فارس في معركة اربيل الشهيرة وانفتحت أبواب العراق وفارس أمامه بنى عددا من السفن في بابل كما نقل عددا آخر اليها من اماكن أخرى • ولقد بعث الاسكندر بثلاث سفن في الخليج العربي بقصد الاستكشاف وكان قادة تلك السفن من الفينيقيين • وقد بلغت إحدى تلك السفن الثلاث رأس مصندم في جزر البحرين •

ولم يبذل امراء الدولة السلوقية التي أسسها سلوقوس أحد قواد الاسكندر في العراق أي نشاط يذكر في الخليج العربي ولذلك ظلت السيادة في الخليج خلال تلك الفترة ، أي القرن الثالث قبل الميلاد ، لاهل «جرها» أو مملكة البحر التي كانت تقع على ساحل الاحساء وتضم العرب والكلدانيين معا • وكانت «جرها» هذه تتاجر مع العراق وشبه الجزيرة العربية بطريق البر والبحر معا •

وعندما استولى الفرس على بابل ودمروها تدميرا نهائيا سنة ١٢٠ ق م قطعوا بذلك السبيل على اليونانيين والرومانيين في الوصول الى الخليج العربي والسيطرة على تجارته • ومع ذلك فان سيادة الخليج العربي حتى بعد استيلاء الفرس على بابل لم تكن في أيدي الفرس ولا اليونانيين وانما كانت في أيدي العرب أنفسهم حيث تركزت التجارة والملاحة على الخليج في مدن (خاراكس) التي تقع في أقصى فجوة من بلخيلج بين دجلة والكارون وأبو لوغوس (الابلة) على شط العرب ، و «تريدون» أي «البصرة» في باب الخليج ، ومدينة عمانة ، اي عمان ، ومدينة «اكيلا» التي كانت تقع عند رأس الحد في البحرين • وكانت هذه المدن مراكز للتجارة مع الهند وايران

والعراق والجزيرة العربية ومملكة تدمر العربية في سورية .
وفي هذه الفترة ظهرت السفن العربية المعروفة بالمدركات لأول مرة
في الخليج العربي . وكانت هذه السفن تصنع من ألواح تربط الى الالياف
وهي التي اختلفت عرب شبه الجزيرة في بنائها وتصديرها وبفضل هذه
السفن لعب العرب دورا بارزا في انتظام التجارة داخل الخليج العربي .



أما قيام حكومة روما فلم يشهد منها أول الامر اندفاعا نحو الشرق
ورغم النشاط الذي أبداه حكام مصر من الرومان وهم الذين عرفوا باسم
البطالسة ، ولا سيما بطليموس الثاني بالشاطيء الافريقي من البحر الاحمر،
رغم ذلك كله فقد ظلت التجارة بين مصر والجزيرة العربية في أيدي العرب
وحدهم . ويحدثنا المؤرخ اليوناني « اغاثار خيدس » عن القرن الثالث قبل
الميلاد فيقول « يبدو انه لا يوجد أي شعب أغنى من السبثيين وأهل «جرها» .
وكانوا وكلاء عن أي شيء يقع تحت اسم النقل من آسيا وأوربا وهم الذين
جعلوا سوريا البطلمسية غنية بالذهب وأتاحوا للفينيقيين تجارة رابحة
وآلآفا من اشياء أخرى » .

والسبثيون هم أهل دولة « سبأ » العربية الشهيرة في اليمن أما أهل
« جرها » فهم سكان مملكة البحرين التي سبق أن ذكرنا انها كانت تقع
على ساحل الاحساء على الخليج العربي .

وتدل جميع الشواهد على انه في هذه الفترة كانت مدن بلاد العرب
وجزيرة سقطرة تحتكر مراكز التجارة بين مصر والهند في جميع أشكالها
وكانت عدن [واسمها القديم « يودايمون » أي السعيدة] واحدة من تلك
المراكز التجارية الهامة آنذاك أيضا .

وحاول أحد أباطرة الرومان ، اوغسطس ، أن يحمي خط مواصلاته
التجارية مع الشرق ، وانقاذها مما كانت تتعرض له على أيدي العرب ،
والوصول الى الخليج العربي . ولذلك أمر اوغسطس بتجريد حملة بحرية
وبرية ضد مدن الجنوب العربي وقد بدأت تلك الحملة التي كان يقودها
ايلبيوس غالوس سنة ٢٤ قبل الميلاد . وقد لحقت الهزيمة بهذه الحملة
على أيدي النبط ، وهم عرب ، في أعالي البحر الاحمر حيث تحطمت معظم
سفن الحملة وغرقت بما كانت تحمله من رجال وعتاد عند ميناء « ليوكي
كومي » في الشمالي الغربي من البحر الاحمر نتيجة المقاومة التي أبدتها

النبط ضدها . وقد استأنف الرومان حملاتهم هذه عدة مرات وأخيرا نجحوا في عهد القيصر كلاوديوس في احتلال ميناء عدن في الفترة ما بين ٤١-٥٤ ميلادية .

ويحدثنا مؤرخو الرومان من أمثال سترابو وبليني وبريبولوس وغيرهم ان قياصرة الرومان الذين أخفقوا في بسط سلطانهم على بحر العرب والخليج العربي وجدوا أنفسهم مضطرين في النهاية الى عقد محادثات مع الامراء العرب في السواحل ولاسيما امراء قبيلة حمير الاقوياء .

فهذا المؤرخ بريبلوس يصف بنفسه ما شاهده في احدى السفرات البحرية جنوبي جزيرة العرب . فهو يقول « الساحل العربي ما وراء ليوكي كومي خبيث . والبدو يسلبون كل من يهبط الساحل . . . لكن اليمن أكثر جنوبا للسلم . . . » ويصف مدينة « مخا » التي كانت تعرف باسم « موزا » لدى الاقدمين فيقول « ان المكان مزدحم كله بأصحاب السفن والملاحين العرب ، وفي شغل شاغل بشؤون التجارة . فهم يتجرون مع الساحل البعيد [يريد بذلك اريتريا والصومال] ويبعثون بسفنهم الى هناك . . . »

والاتفاق قام لدى المؤرخين على ان عددا من السبثيين في اليمن قد وصلوا بتجارتهم الى الصين ، وزاروا الامبراطور الصيني آنذاك ، وقدموا له هدية هي عبارة عن خريت افرريقي .

وحتى عندما استولى اليونانيون على مصر لم يستطيعوا أن ينتزعوا السيادة على بحر العرب والخليج العربي من أيدي العرب أنفسهم .

فقد ذكر المؤرخ اليوناني اغاثارخيدس الذي عاش قبل الميلاد بقرون من الزمن ان السفن كانت تأتي محملة بالسلع من الهند الى سبأ ومن هناك تتوجه الى مصر وأكد هذا ايضا المؤرخ اليوناني ارتي ميدورس الذي عاش في القرن الاوّل قبل الميلاد فقال ان أهل سبأ يشترون البضائع التجارية من جيرانهم ويبيعونها لغيرهم فتنقل من يد الى يد حتى تصل بلاد الشام والجزيرة . . .

وهكذا حتى في تلك الفترة بقي الخليج العربي مفتوحا للتجارة أمام العرب من سكانه الذين كانوا يردون ثغور الهند وينتقلون منها الى الصين ثم يعودون الى سواحلهم بذات الطريق .

وتعدت سيطرة العرب قبل الميلاد الخليج العربي فتجاوزه الى سواحل

الهند ومدن ريجازا وسيثيا في السند لما اتجهوا الى سواحل افريقيا الشرقية فوصلوا الى « رهابتا » بالقرب من زنجبار . وعلى الشاطئ الافريقي من البحر الاحمر اقام العرب مملكة اكسيوم المستقلة على ارض مجاورة للحبشة وكان الحكم في الصومال وزنجبار للامراء العرب وبقي كذلك حتى وصل الاسلام الى تلك الاصقاع .

وفي القرن الرابع بعد الميلاد كانت السيادة في الخليج العربي للعرب وحدهم . ففي سنة ٣٦٠م قام عرب البحرين وساحل الخليج بغارة واسعة على الامبراطورية الفارسية . وقد رد سابور الثاني الساساني بعد سنوات على تلك الغارة بأن صنع اسطولا قويا هاجم به الخليج حتى وصل البحرين فاحتلها وذبح عددا كبيرا من سكانها العرب و اقام فيها حامية فارسية . وقد وصف المؤرخ اللاتيني اميانوس ماركليوس ، الذي عاش في اواخر القرن الرابع الميلادي ، الخليج العربي في ذلك الوقت بأنه كان يعج بالملاحه ، وان السفن البحرية كانت تختتم رحلاتها في «تريدون» (البصرة) وانه كان للعرب المجاورين عدة موانئ ومراسي محمية وانهم كانوا قادرين على ثروات البر والبحر معا .

وحاول الفرس بعد وصولهم الى البحرين انشاء مراكز لهم في سواحل الجزيرة العربية . فكان لهم عامل في اليمن ويذكر ان هذا العامل بعث من هناك الى كسرى بقافلة محملة بالسلع النادرة وكان يقود هذه القافلة قوم من بني جعيد لكن بني حنظلة بن يربوع كبر عليهم أن تصل هذه القافلة الى بلاد فارس ولذلك اغاروا عليها فقتلوا من فيها من بني جعيد واستولوا على اموالها .

وفي القرن الثالث عشر قبل الميلاد قامت في الجزيرة العربية على السواحل الجنوبية دولتان عربيتان عظيمتان هما الدولة المعينية التي قامت بين حضرموت واليمن وكانت عاصمتها « معين » والدولة السبئية التي نشأت في اليمن وكانت عاصمتها سبأ . وكانت هاتان الدولتان هما المسؤولتان عدة قرون عن تسيير التجارة بين جزيرة العرب وسواحل الهند .

أما الخليج العربي فظل بيد العرب وظلت طرقه مفتوحة لهم الى الهند والصين ذهابا وايابا الى أن ظهر الاسلام فاذا بالعرب المسلمين يبدؤون بتطهير الخليج العربي من بقايا المقاومة المعادية لهم في اللحظة التي ثبتوا فيها اقدمهم في العراق وبذلك عاد الخليج بحيرة عربية كما كان عهده في مختلف عصور التاريخ .

الفصل الثاني

الخليج بحيرة عربية في العصر الاسلامي

استطاع العرب بعد فترة وجيزة من ظهور الدين الاسلامي الحنيف وانتشاره في الجزيرة العربية واطرافها ان يعيدوا احتلال بصوahl الخليج العربي وان ينتزعوا موانئه التي كانت بايدي الفرس الواحد تلو الاخر ولا سيما في البحرين حيث كانت للفرس حامية فيها .
ولقد استخدم المسلمون الخليج العربي لاغراض شتى غير الاغراض التجارية المألوفة عنه .

(١) فقد كان الخليج اداة الاتصال المهمة بين الامبراطورية الاسلامية في غربي آسيا ، العراق وبلاد الشام وفلسطين ، وبين شبه الجزيرة العربية ومصر والشمال الافريقي .

(٢) ولم يعد الخليج العربي لينافس البحر الاحمر في الوصول الى روما والبندقية والقسطنطينية ، كما كان شأنه ذلك قبلا ، وانما غدا مكلا للبحر الاحمر في الاتصال بالبحر الابيض المتوسط ، وبلوغ شواطئه هذا

البحر الاخير الاسيوية منها والاوربية .
• (٣) واصبح الخليج العربي مفتاح الفتوح والاتصالات العربية
الاسلامية مع الهند والصين وشرقي أفريقيا بشكل واسع لم يشهده تاريخه
السابق خلال العصور البائدة .

ففي خلافة عمر بن الخطاب (رض) البحر والي البحرين عثمان الثقفي
من عمان في غارة بحرية جريئة على ساحل الهند فبلغ مدينة « تانه » على
مقربة من بومباي . ثم وجه اخاه المغيرة الثقفي في غارة اخرى الى
« خور الديبل » عند مصب نهر السند، بينما انفذ اخاه الاخر الحكم الثقفي الى
مدينة « بروص » (بهروج) على ساحل « المالبار » في الهند .

وحين تولى العلاء الحضرمي ولاية البحرين بعد عثمان الثقفي قام
بحملة بحرية واسعة في الخليج العربي مطاردا بقايا الفرس حيث توغل
من هناك عميقا داخل فارس فوصل مدينة برسيبوليس [اي « مدينة
فارس » في اليونانية] والتي يطلق عليها العرب اسم « اصطخر » .

وهكذا نمت للمسلمين في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان (رض) ،
وفي فترة لا تزيد عن عشرين سنة ، السيادة التامة على الخليج العربي ،
وعلى البحار التي يتصل بها كالبحر الاحمر وبحر العرب ومدخل المحيط
الهندي . ثم قوج العرب المسلمون انتصارهم البحري الرائع في معركة
« ذات الصواري » سنة ٣٤هـ = ٦٥٥م فتمت لهم بذلك السيادة على البحر
الابيض المتوسط ايضا .

وتطورت أهمية الخليج العربي بتطور الدولة الاسلامية في عهد الامويين .
ففي عهد خلفاء بني أمية كان العالم الاسلامي متماسكا في كل اجزائه من
اسبانيا في اوربا حتى السند في الشرق الاقصى . وكذلك ظل العالم
الاسلامي متحدا في عهد الخلفاء العباسيين الاوائل باستثناء الاندلس التي
انشأ الامويون دولتهم الجديدة فيها على يد عبدالرحمن الداخل .

ولذلك بقيت التجارة والملاحة والسيادة في الخليج العربي بيد
العرب وحدهم . فمن البصرة كانت السفن العربية تبدأ بالابحار حتى مدينة
« كانتون » في الصين . وكان هذا الطريق اطول طريق استعمله الانسان في
النقل والمتاجرة قبل ان تبدأ حركة التوسع الاستعماري الاوربي في القرن
السادس عشر الميلادي .

وتتحدث كتب الصين القديمة عن حادث وقع لمدينة كانتون الصينية

على أيدي العرب . ففي سنة ٧٥٨م اغار العرب على تلك المدينة - وكانت تدعى كوانج تشو آنذاك - فنهبوا واحرقوها ثم عادوا ادراجهم بحرا .
وقد اتاح افتتاح العرب للسند في عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي للعراق ، قد اتاح لهم طرق الاقتراب من الصين : ففي السند تهيأ للعرب المسلمين ميناء الديبل ثم ميناء المنصورة الذي انشأه المسلمون انفسهم والذي كان موقعه في حيدر آباد .
وزاد انتقال عاصمة الخلافة الاسلامية من دمشق الى بغداد في عهد العباسيين من خطورة الخليج العربي وتقدم الملاحة والتجارة فيه وفي المحيط الهندي وبحار الصين .

وينقل « البيهقي » (المتوفى ٢٨٤هـ - ٨٩٧م) في تاريخه ان الخليفة ابا جعفر المنصور عندما اختط مدينة بغداد كان عالما تمام العلم باهميتها الاقتصادية وانه قال عنها « ان الجزيرة بين دجلة والفرات ٠٠٠ وان كل ما يأتي في دجلة من واسط والبصرة والاهواز والابلة وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك ٠٠٠ فاليها ترقى وبها ترسى ٠٠٠ وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة واذربيجان وارمينية مما يحمل في السفن في دجلة ، وما يأتي من مضر والرقعة والشام والثغور والمغرب مما يحمل في السفن في الفرات ومدرجة أهل الجبل (الشمال الغربي من ايران) واصبهان وكور خراسان ٠٠٠٠ »

وكانت الابلة وسيراف (التي تقع على مقربة من قرية الطاهرة او بندر طاهري الان) من أهم موانئ السفن في فم الخليج العربي . ومن الابلة وسيراف كانت تنقل التجارة بالسفن الصغيرة الى بغداد .
وكان عرب الجزيرة والخليج يبحرون باعداد كبيرة وفي سفن عديدة من موانئ الخليج الى الهند والصين والملايو .

ويروي المؤرخون ان اول عربي قام برحلة الى الصين هو النضر بن ميمون البصري في القرن الثامن الميلادي . وذكر ان ربانا شهيرا عرف باسم (عبهرة) قام في أواخر القرن الثامن الميلادي برحلات منتظمة بين الخليج العربي والصين .

وفي سنة ٨٢٥م ارسلت قوة بحرية كبيرة من البصرة لتأديب قراصنة البحرين الذين كانوا يغيرون على السفن القادمة من فارس والهند والصين . وكانت الملاحة ما بين الخليج العربي والصين تجري بصفة مباشرة

خلال القرن التاسع الميلادي . وكان لهذه الملاحه طريقان رئيسان وصف
احدهما المستكشف العربي الشهير « ابن خرد ذابة » المتوفى في ٣٠٠هـ -
٩١٢م صاحب كتاب « المسالك والممالك » الذي الفه في حوالي سنة ٨٤٤م .
اما الطريق الثاني فقد اتى على وصفه « ابو زيد سليمان السيرافي »
صاحب كتاب « اخبار الصين والهند » والذي قام برحلته الى تلك الاصقاع
سنة ٢٧٧هـ ٨٥١م .

فالبصرة والابلة وسيراف كانت منتهى السفن القادمة من الصين
وافريقيا الشرقية . ورغم أهمية البصرة كميناء في ذلك الوقت فان السفن
الكبيرة لا تستطيع بلوغها رأسا كما هو شأنها اليوم حيث تنتهي السفن
الكبرى عند الفاو ، ثم تنقل حمولتها في سفن صغيرة الى البصرة . ولذلك
كانت السفن الكبيرة في تلك الفترة ترسو في الابلة التي تقع عند مصب
القناة على نهر دجلة والتي كانت توجد فيها احواض واسعة للسفن .

ونظرا لوجود مناطق ضحلة في فم الخليج الشمالى وعلى مقربة من
عمان كثيرا ما كانت السفن تتحطم عندها ، فقد اقيمت في البحر قواعد من
خشب عليها ابراج للحراسة توقد عليها شعلات من النار خلال الليل
لتقوم مقام المنار . وكانت هذه الابراج تترصد حركات القراصنة في الخليج
بل وحتى قراصنة الهند وهذا ما ذكره السيرافي في كتابه الآنف ذكره .

وكانت السفن التي تهبط الخليج قادمة من العراق وفارس تسلك الى
الهند والصين طريقين . فاما ان تتوقف هذه السفن عند مينائي « صحار »
و « مسقط » على ساحل عمان ومن هناك تمخر المحيط الهندي رأسا الى
ميناء « كولم ملي » جنوبي المالبار ، واما ان تدور هذه السفن السواحل
فتمر بجزر قيس (كيش) مقابل عمان ، وهرمز ، و « تيز مكران » على
ساحل بلوجستان ثم تبلغ الديبل فمدينة المنصورة وغيرها من موانئ
السند حيث تنتقل من هناك الى بقية موانئ الهند وتعبّر الى سيلان
[سرنديب عند العرب] حتى تصل الملايو وسواحل الهند الصينية فالصين
حيث تلقى بمراسيها في كانتون (خانفو) . ولم يكن العرب قد توقفوا في
رحلاتهم البحرية عند كانتون وحدها بل تجاوزوها الى الشمال حتى كوريا
التي كانوا يطلقون عليها اسم السيل او الشيلا .

ويذكر الجغرافيون العرب ان الرحلة من مسقط الى كانتون كانت
تستغرق زهاء أربعة أشهر ، ومن مسقط الى كولم ملي نحو تسعة وعشرين
يوما .

ويذكر المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ = ٩٥٧م في كتابه «مروج الذهب» ان سفن الصين كانت تأتي الى بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة . وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع المذكورة الى هناك .

وعندما أصاب الانقسام الامبراطورية الاسلامية في أواخر القرن العاشر الميلادي انقطعت رحلات العرب المباشرة الى كانتون ولذلك كان الملاحون العرب والصينيون يلتقون عند ميناء كله [كلا] على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو التي يسميها العرب « ملقا » .

وكانت التجارة نشطة بين سيراف وعمان وشرقي افريقيا في القرن العاشر الميلادي . فكان العرب ينحدرون على طول الساحل الافريقي طلبا للرقيق والعاج والعنبر وكان مطافهم ينتهي عند مدينة « سفالة » في موزمبيق ، وجزيرة « قنبلة » اي مدغشقر ، وجزر « الواق واق » التي اختلف الجغرافيون في تحديد مواقعها فقالوا ان هناك جزيرتين تعرفان باسم « واق واق » : احدهما مدغشقر والآخرى سومطرة ويعتقد البعض ان جزيرة « ويك » التي يحتلها الامريكان الآن في المحيط الهادي جنوبي شرقي اليابان هي جزيرة « واق واق » التي رددتها الاسفار والرحلات العربية وقد أصبحت للعرب في كل نقطة من نقاط التجارة على كلا ساحلي الخليج العربي وسواحل الصين والملايو والهند والسند جاليات عربية كبيرة كما تفوقت الجاليات العربية في اندونيسيا في السيطرة على الملاحة والتجارة في تلك الانحاء .

ومن الامور الخطيرة الجديرة بالاهتمام في هذا الشأن هو ان نذكر ان العرب هم اول من عرف الطريق البحري الى الهند بالاستدارة حول السواحل الافريقية . وقد ظل الجغرافيون حتى الان ينسبون خطأ اكتشاف هذا الطريق الى البرتغاليين في حين ان العرب سبقوا غيرهم الى هذا الاكتشاف قبل قرون عديدة . وقد اكد حقيقة هذا الكشف العربي الخطير الرحالة ابو زيد سليمان السيرافي في كتابه اخبار الهند والصين وقد استدل على ذلك من ظهور قطع من اخشاب بعض السفن في بحر الشام [الايض المتوسط] وبحر الروم [بحر مرمرة] وهي من النوع المخروز فقد قال في صدد ذلك ان الخشب المخروز لا يكون الا بمراكب سيراف خاصة . ومراكب الشام والروم مسمورة غير مخروزة . .

وكان من مظاهر هيمنة العرب على الخليج العربي في العصور الإسلامية الزاهرة انهم الموانا تماما بكل نقطة من سواحله وجزره وخليجانه ورؤوسه ، وانهم احكموا تقدير المسافات التي تقطعها سفنهم بين موانئه وموانئ الهند والصين والملايو ، وحددوا تلك المسافات بالفراسخ والايام . كما انهم عينوا الاوقات لصالحه للملاحة في الخليج خلال السنة وقد فصل ابن خرداذبة هذه الطرق والمسافات والاقوات في كتابه الآنف ذكره . فقال ان المسافة بين البصرة وجزيرة خارك في الخليج العربي خمسون فرسخا ، ومن خارك الى جزيرة هرمز ستة واربعون فرسخا ، ومن هرمز الى « نارا » - التي تفصل بين فارس والسند - مسيرة سبعة ايام ، وان المسافة بين نارا والديبل ثمانية ايام .

وكانت اهم الموانئ التي تمر بها السفن العربية في الهند هي « تيز » في بلوجستان ، والديبل في السند ، وتهانة وكهيمات وسوباره وصيمور في ولاية كجرات ، وكولم ملي في مدراس ، ورأس كماري [قمار] وماليبار في البنغال وقامرون [كامروب] في ولاية اسام .

* * *

وجدت اوربا نفسها مهددة بخطر اكتساح الاسلام لها بعد ان وطد اقدامه في اسبانيا وصقلية وجنوبي فرنسا وجزر البحر الابيض المتوسط وبحر ايجة وغيرها .

واذعلت اوربا - وهي تغط في سبات الجهل والامية والتأخر - هذه الحضارة الزاهرة التي انشأها المسلمون في مثل ملح البصر بالنسبة الى عصور الحضارات ، وما فتح الله به على بلاد المسلمين من رخاء وتقدم ومنعة .

وحين كانت اوربا في ذلك الوقت تطحنها الحروب الداخلية والخلافات الدينية اذا بها تستيقظ على صوت قبيح ينادى بها ان تهب للدفاع عن نفسها والمسيحية ضد الاسلام .

لقد وجد ملوك اوربا الطامعون في الامبراطورية الاسلامية التي انقسمت الى امارات متخاصمة ، ان التستر بالدفاع عن المسيحية خير وسيلة يسترون بها اطماعهم في الاغارة على العالم الاسلامي . . انها الحرب الصليبية .

بدأت هذه الحرب في صفة حملة تضم عدة جيوش جمعت من فرنسا

وامانيا واوربا الوسطى وتوجهت نحو الشرق بدعوى انقاذ بيت المقدس
مرقد المسيح من ايدي المسلمين . ولقد ضل عدد من هذه الجيوش طريقه
في بلاد المجر . اما من عبر منهم مضيق البسفور الى اسية الصغرى فقد
لقي حتفه على ايدي الاتراك .

وفي السنة ١٠٩٧م جردت الحملة الصليبية الكبرى المنتظمة التي
استطاعت ان تصل الى فلسطين ولبنان واعالى نهر الفرات وتقيم ممالك
صليبية فيها الى ان نهض ابن العراق البار فتى تكريت بطل العروبة
والاسلام الاكبر صلاح الدين الايوبي سنة ١١٦٩م فاستطاع ان يثير همم
العرب والمسلمين ويوحد بين قلوبهم ويرص صفوفهم ، فيقذف بجيوشه
القوية الى ارض المعركة وينتزع من الصليبيين قلاعهم الواحدة تلو الاخرى
ويزقمهم شر ممزق في معركة «حطين» الشهيرة في تموز سنة ١١٨٧م فيحرر
بيت المقدس من آثامهم ويستأصل شأفتهم من بلاد الاسلام . ولم تنجح
الحملة الصليبية الثالثة والرابعة والخامسة التي وجهت بعد ذلك في
توطيد اقدمهم او اعادة ما استرده المسلمون من ديارهم الحبيبة . ولقد
قضى على البقية الباقية من الصليبيين ومحاولاتهم بعد سقوط القسطنطينية
عاصمة البيزنطين بايدي العثمانيين سنة ١٤٥٣م .

كان من الطبيعي ان يظل الخليج العربي في مأمن من غارات
الصليبيين وهجماتهم التي اقتصرت على البحر الابيض المتوسط وسواحله
العربية . غير ان الحملات الصليبية انما وقعت بدافع الغزو والاستيلاء
على الغنائم والاسلاب ولذلك فهي تمثل اولى محاولات اوربا في السيطرة على
الشرق واحتكار موارده وطرق التجارة فيه . فهذه الحرب التي لبست
لبوس الدفاع عن المسيحية وتخليص ارمن القدس من المسلمين ، انما كانت
تمثل في الواقع تطور حكم الاقطاع والبيوتات التجارية في اوربا ، وتطلعها
الى الاستئثار بموارد الشرق وخيراته والهيمنة على الطرق التي كانت تنقل
تلك الخيرات الى الغرب ، وذلك عن طريق احتلال سواحل البحر الابيض
المتوسط العربية التي كانت تؤلف الجسر الرئيس الذي يربط الغرب
بالشرق في تلك العصور . ولقد كسفت تاريخ الحروب الصليبية عن اعمال
النهب والسلب والسرقة التي قام بها الصليبيون في البلدان الاسلامية التي
تغلغلو عليها مما لا يدع اي مجال للشك في ان الغاية القصوى لتلك الحروب
كانت السيطرة على موارد الشرق ليس الا .

الفصل الثالث

العرب يقاومون الغزو البرتغالي للخليج

رغم الهزيمة المنكرة التي اصابت اوربا في القرن الثالث عشر على ايدي المسلمين حين قضوا على الممالك التي اقامها الصليبيون في فلسطين وسوريا ، فان اوربا قد افادت الشيء الكثير من تلك الحملات الصليبية فاحتكاك الاوربيين بالمسلمين خلال تلك الحملات مكنهم من نقل علوم العرب وصناعاتهم وفنونهم . فعن المسلمين اخذ الاوربيون صناعة السفن والورق والنسيج والبارود والبوصلة وغير ذلك من العلوم والفنون الاخرى وهكذا اعقبت الحروب الصليبية نهضة فكرية وعلمية في اوربا كانت قائمة في اصولها على اساس الحضارة الاسلامية ، وكان من نتيجة ذلك ان تنبعت اوربا الى اهمية الشرق التجارية والحربية مرة اخرى فاستحدثت الكثير من الآلات والمخترعات التي اخذت تدفع بها دفعا الى البحث عن موارد الثروة في الشرق ، وسلب مقاليدها من ايدي العرب المسلمين ، الذين ظلوا يحتكرون تلك الموارد والطرق التي تنقل بها اكثر من ثمانية قرون .

ذلك ان تجارة المحيط الهندي من الصين حتى «سغالا» [في موزمبيق]
بقيت وفقا على العرب وحدهم حتى نهاية القرن الخامس عشر لميلادي .
كان الرحالة الجنوبي ماركو بولو أشهر أوروبي استطاع أن يبحر بحار
الشرق ، ويصل الى الصين سنة ١٢٧٢م وكانت رحلة ماركو بولو هذه من
الحوافز الاساسية التي حفزت كريستوفر كولمبس بعد قرنين من الزمن على
القيام بمغامرته الكبرى في محاولة الوصول الى الهند بالسير غربا ، واكتشائه
القارة الامريكية مصادفة وعلى غير علم منه سنة ١٤٩٢م

ولقد اثار هذا النجاح الذي اصابه كولمبس روح المغامرة لدى
الاوربيين الى درجة عائلة حيث شرع الهولنديون والبرتغاليون والاسبان
يتسابقون في الدوران حول افريقيا للوصول الى الهند على ان العرب قد
سبقوهم الى ذلك منذ بداية القرن العاشر .

كانت البرتغال اولى الممالك الاوربية التي بدأت تهتم بالوصول الى
الشرق وقد ابتدأت حركة الاستكشاف لديها على يد ملكها هنري الملاح
الذي شرع منذ عام ١٤١٨م يرسل بعثات استكشافية حول الساحل
الافريقي .

وفي عام ١٤٨٢ انشأ البرتغاليون لهم مستعمرة في ساحل الذهب كانت
اول مستعمرة اوربية تقام في افريقيا .

وفي سنة ١٤٨٦م تولى « بارتلميو دياز » قيادة بعثة برتغالية بحرية
سارت على الساحل الافريقي واستطاعت ان تكتشف رأس الرجاء الصالح .
ثم توج البرتغاليون اكتشافاتهم بوصول « فاسكودي غاما » الى الهند سنة
١٤٩٩م بمعونة الملاح العربي الشهير احمد بن ماجد الملقب «اسد البحر»
الذي تولى قيادة اسطول دي غاما من افريقيا وايصاله الى مدينة كاليكوت
[كلكتا] في الهند .

كان ابن ماجد هذا من عائلة عربية عاشت في نجد وتمرس افرادها
في الملاحة وعلم البحار والامام بطرقها وقد الف ابن ماجد كثيرا من المصنفات
والرسائل في العلوم البحرية . منها كتابه «الفوائد في علم البحر والقواعد» ،
ورسالة «حاوية الاختصار في علم البحار» ، ورسالة المعربة وكثيرا من
الاراجيز الشعرية .

كما وضع ابن ماجد دليلا بحريا كانوا يسمونه «رهماني» استند فيه
الى خبرته ومعلوماته الشخصية عن البحار ، ويغلب على الظن ان ابن ماجد

قد ولد بمدينة «جلفار» [رأس الخيمة] حوالى سنة ٨٤٥هـ وتوفي سنة ٩٠١هـ .

فكيف تعرف فاسكودى غاما بابن ماجد واستخدمه لايصاله الى الهند من افريقيا ؟ يذكر ذلك قطب الدين محمد بن احمد النهروالي الذي عاش في مكة المكرمة وتوفي بها سنة ٩٨٨هـ في كتابه الموسوم «البرق اليماني في الفتح العثماني» انذى الفه للسلطان سليمان العثماني . ففي هذا الكتاب يقول قطب الدين «ان الذى دل البرتغاليين شخص ماهر من اهل البحر يقال له احمد بن ماجد صاحبه كبير الفرنج وعاشره في السكر فعلم الطريق منه وهو في حالة سكره» . وقد التقى دى غاما بابن ماجد في مدينة «مالندى» على الساحل الشرقى من افريقيا .

كان من جراء غلطة ابن ماجد تلك ان انتهت زعامة العرب على الملاحة والتجارة في المحيط الهندى ، وان شرع البرتغاليون يأخذون مكانهم فيها ، ويحتلون المراكز التجارية في ذلك المحيط الواحد بعد الآخر ولاسيما بعد ان اخترعت اوربا السفن التي تسير بقوة البخار بدلا من الشراع وتقطع المسافات البعيدة في مدد قصيرة ، وتستخدم المدافع في القتال بدلا من القسي والنبال .

كان وصول البرتغاليين الى الهند وانشاؤهم عددا من المراكز والمستعمرات فيها ، نذير شوؤم على السيادة العربية ليس في المحيط الهندى وحده بل وفي الخليج العربى أيضا ذلك ان البرتغاليين لم يكتفوا بالوصول الى الهند وانتزاع ما كان العرب يصدرونه من ثروات الى اوربا حسب ، بل انهم اندفعوا الى الاستيلاء على كل النقاط التي تمر بها التجارة في البحار العربية .

كان وصول دى غاما الى الهند اول بوادر الانقلاب العالمى الخطير الذي اوجد الرأسمالية الاوربية الحديثة . فاكتشاف اوربا لهذا الطريق البحرى الذي يربط بينها وبين الهند قد قضى على الطريق البرى الذى كان يخترق الجزيرة العربية الى ساحل البحر الابيض المتوسط ، كما قضى على الطريق الذى يخترق الخليج العربى فيمر بالعراق فسوريا ثم يعبر البحر الابيض المتوسط الى ايطاليا فاوربا .

كانت اوربا تستورد التوابل من سومطرة وسيلان والهند ، والاحجار

الكريمة من إيران والهند وسيلان ، والكافور من سومطرة وبورنيو ،
والسكر والنيل والصندل من الهند ، والمسك من الصين ، والشب من
اسيا الصغرى .

ولذلك حين عاد فاسكودى غاما من رحلته الاولى الى الهند راجعا الى
لشبونة سنة ١٤٩٩م كان يحمل معه الكثير من السلع التي اختص العرب
قبلا بنقلها من الشرق الى اوربا .

كان العرب هم سبب نجاح حملة فاسكودى غاما تلك . فبالإضافة
الى وجود ابن ماجد في اسطول دي غاما لعبت المشاحنات القائمة بين شيوخ
العرب القاطنين في سواحل افريقيا الغربية دورها الخطير في إيصال
البرتغاليين الى الهند ذلك ان دي غاما انشأ له علاقات ودية مع اولئك
الشيوخ الذين استقبلوه استقبالا وديا حتى ان امير موزمبيق ، وهو عربي
مسلم ، استضاف دي غاما في قصره ورد له الزيارة في سفينته .

ولم ينتبه العرب الى خطر دي غاما الا بعد ان رسخ اقدامه في افريقيا
الغربية ، ونفذ خطته في الوصول الى الهند .

بل ان المطامع دفعت عددا من العرب الى الانضمام لاسطول دي غاما
انتقاما من خصومهم العرب الذين كانوا يقاومونه ولا يسمحون له بالاقامة
في شواطئهم .

بعد ان احتلت البرتغال خلال سنتي ١٤٩٩-١٥٠٠م عدة مراكز لها
في الهند اخذت تفكر في الاستيلاء على الخليج العربي لتضمن بذلك السيطرة
على الطرق البرية والبحرية التي تربط البلاد العربية بالهند والشرق
الاقصى . كانت السفن البرتغالية اثناء ذلك تتصدى لكل سفينة عربية
تشاهدها في عرض البحر فتستولى عليها وتقتل ربابنتها وتنهب ما تحمله
من اموال ثم تتركها طعمة للنيران . ولم يكتف البرتغاليون بذلك بل
أخذوا يغيرون على سواحل الجزيرة العربية والخليج ينهبون ويحرقون
ويقتلون ويفرضون الاتاوات الباهظة على الموانئ العربية .

كان فاسكودى غاما حتى قبل ان يبلغ شواطئ الهند يطبق على كل
سفينة يلتقى بها في طريقه فيعمد بعد تفريغها مما تحمله من بضائع الى
اشعال النيران فيها هي ومن على ظهرها من العرب .

وعندما بلغت انباء هذه الوحشية مسامع « الزامورين » ملك
كاليكوت - وكان قد جرب غدر الاميرال البرتغالي « الفاريز كبرال » من

قبل - حتى جمع قواته البحرية وعززها باسطول من «خوجا امبار» احد كبار تجار كاليكوت العاملين في تجارة البحر الاحمر . ورغم ان اسطول كاليكوت كان يمتاز بالسرعة الا انه لم يكن مزودا بالمدافع مثل الاسطول البرتغالى . وحين دارت المعركة خارج مياه جزيرة «كوجين» اصيبت سفن خوجا امبار ببعض الخسائر لكن «قاسم» امير البحر لدى امزامورين استطاع ان يداور سفنه بسرعة فيسد الطريق على البرتغاليين ثم يحيط بسفنتهم واذ ذاك انهزم دى غاما من المعركة واستدار متجها نحو اوربا . . . غير ان عدم تعقب الامير قاسم للاسطول البرتغالى قضى على ثمرة النصر التي حققها ضد ذلك الاسطول .

وحين غادر دى غاما المحيط الهندي اقبل اسطول برتغالى اخر يقوده الاميرال لوبو سوراس الذى هاجم اسطول كاليكوت غدرا وشتته . عندئذ لم يعد امام الزامورين الا ان استنجد بسلطان مصر الذى كانت تربطه به علاقات الود والصداقة . ونهد السلطان المصري المسلم لنجدة الزامورين باسطول يحمل اكثر من الف وخمسمائة جندي مجهز باحدث الاسلحة يقوده قائد مجرب هو الاميرال «مير حسين» . وقد اتجه مير حسين الى جزيرة «ديو» في البحر العربي ، ليجعل منها قاعدة له ، ثم يتصل ببحرية الزامورين ويقوم الاسطولان مشتركا بمهاجمة البرتغاليين .

وحين وصل مير حسين الى جزيرة ديو انضمت اليه قوات الزامورين فاتجهت معه نحو الجنوب اما الاسطول البرتغالى الذى كان يقوده «لورنسو دى الميدا» بن المون فرسيسكو دى الميدا نائب الملك ، فقد اتجه من قاعدته في جزيرة كوجين نحو الشمال والتقى الاسطولان عند «تشاول» في منتصف الطريق واستمرت المعركة يومين عزم البرتغاليون فيها على الفرار بعد ان قتل القائد لورنسو ودمرت سفينة قيادته . وما ان علم المون مانويل الزاكي بهذه الكارثة حتى جمع ما تبسر له من سفن ورجال واتجه الى ديو التي بلغها في اليوم الثاني من شباط سنة ١٥٠٩م ووقف ينتظر القسوة المصرية الهندية المشتركة . وهنا لعبت الخيانة دورها . ذلك ان حاكم جزيرة «ديو» من قبل ملك كجرات الهندي - ويدعى مالك ايار ، وهو اوربى ادعى الاسلام - انضم سرا الى البرتغاليين وحرم الاميرال مير حسين من الحصول على المدد والمؤن وبعد معركة ضارية بين الاسطولين خارج مياه ديو في الثالث من ذلك الشهر انسحب مير حسين باسطوله نتيجة

تأثره من خيانة حاكم ديو .
على ان البرتغاليين كانوا منذ سنة ١٥٠٢ قد قرروا سد البحر الاحمر
بوجه السفن العربية وذلك بمحاولتهم الاستيلاء على مداخله تمهيدا لغزو
الخليج العربي .

وكانت هذه المهمة قد اوكل امر تنفيذها الى القائد البرتغالى المغامر
«الفونسو البوكرك» . كان هذا المغامر قد ابخر بثلاث سفن من لشبونة
في السادس من شباط ١٥٠٣م رست به في المراكز التي احتلها اسلافه في
الهند وهي جزيرة كوتشين التي لاتزيد رقعتها عن نصف ميل . ومن هناك
اخذ يدرس احوال الخليج العربي عن كثب . وقد اعد تقريرا مسهبا عنه
بعث به الى ملك البرتغال . وحين حصل البوكرك على تفويض من ملك
البرتغال بالتوسع في المياه العربية سنة ١٥٠٦م امر نائبه الاميرال
« تريستان دى كنها » بالابحار الى جزيرة سقطرة واحتلالها هي وجزيرة
قشم وسد البحر الاحمر .

وبعد قتال بين القوات البرتغالية التي يقودها دي كنها والقوات
العربية التابعة للشيخ ابراهيم بن كيشين سلطان سقطرة انتصرالبرتغاليون
فنزلوا الجزيرة وبنوا لهم قلعة فيها أطلقوا عليها اسم قلعة توماس وكان
هذا اول مركز يؤسسسه البرتغاليون في البلاد العربية .

اراد البوكرك بعد استيلائه على سقطرة ان يحتل عدن وجدة ، لكنه
تخلى عن هذه الفكرة واتجه الى سواحل عمان حيث رسا اسطوله في جزيرة
« مصيرة » في اواخر آب ١٥٠٧ ومنها واصل سيره الى رأس الحد .

وجه اليوكرك انذارا الى الشيخ سيفالدين حاكم هرمز بالاستسلام
لكن الشيخ سيفالدين رفض الانذار والتحم اسطوله الصغير في معركة
شديدة مع الاسطول البرتغالى وهكذا اجبر البرتغاليين على توقيع معاهدة
لصلح معه في ايلول من تلك السنة اعترفوا فيها بالشيخ حاكما على هرمز
مقابل قبوله الحماية البرتغالية . وكان من اسباب قبول الشيخ سيفالدين
بهذا الاجراء تهديدات شاه ايران الذي تحالف مع البرتغاليين ، وهو
مسلم ، ضد الشيخ سيفالدين لانه عربي .

ولقد جابه البوكرك وهو في طريقه الى هرمز وعمان مقاومة عنيفة من
سكان مدينة « صور » التي تقع على ساحل عمان شمالي رأس الحد والتي
اشتهر اهلها بالملاحاة حتى ما قبل الميلاد .

كانت عمان منقسمة آنذاك الى ثلاثة اقسام رئيسة هي الباطنة ،
وساحل عمان الذي تخضع بعض مدنه لحاكم هرمز ، والظاهرة . وكان
لحاكم هرمز وكيل يقيم في مدينة « قلهاة » التي تبعد حوالى ثلاثين ميلا
عن « صور » .

وحيثما وصل البوكر مدينة صور واقتتل مع اهلها بعث بثلاثة
من ضباطه الى الوكيل في قلهاة للتفاوض معه في تسليم المدينة الى البرتغاليين
لكن الوكيل وعدمهم بمراجعة حاكم هرمز في الامر . وقد استفاد البرتغاليون
من هذه الفرصة فتزودوا بالطعام والماء من قلهاة ثم اقلعوا باسطولهم الى
« قريات » [قرياتي] شرقي مسقط ومع ان احدا لم يتصد للاسطول
البرتغالى من اهل هذه المدينة الا لانهم كانوا يستعدون للمعركة وقد عرض
عليهم البوكر الاستسلام فأبوا وحينئذ هاجم المدينة فدارت الحرب بين
العرب والبرتغاليين حتى في الشوارع . وقد أظهر البرتغاليون - كما هو
شأنهم دائما - منتهى الخسة والندالة اذ لم يتركوا احدا من العرب في
المدينة الا قتلوه شيخا كان ام طفلا ام امرأة ، حتى انهم دخلوا السجن
ومثلوا بالسجناء فجدعوا انوفهم وملصوا آذانهم . لقد كان البوكر يفخر
بانه حيثما امكنه العثور على عربي كان افلاته من يده ضربا من المحال ،
وانه كان يملأ بهم المساجد ويضرم فيها النيران ، وانه حتى عندما احتل
مدينة « غوا » في الهند بعد ذلك بسنوات قطع رأس كل عربي وقع اسيرا في
يديه بتلك المدينة .

بعد ان نهب البرتغاليون قريات اشعلوا النار فيها كما احرقوا ثلاثا
وثمانين سفينة كانت راسية في مينائها وهي بقايا الاسطول العربي الذي
خاض المعركة ضدهم .

تقدم البوكر من قريات متجها نحو مدينة مسقط وحينما ادرك
اهلها ان حاكم هرمز لا يقوى على مقاومة البرتغاليين وان مصيرهم سيكون
مائلا لمصير قريات وغيرها ، ففاوضوا البوكر على الصلح فأبى ذلك .
عندئذ بدأ اهل المدينة يستعدون للمقاتل والحصار فانشأوا حاجزا يمنع
البرتغاليين من دخولهم المدينة . وما ان علم البوكر بهذه الاستعدادات
حتى قبل المفاوضات واشترط ان تدفع له اتاوة سنوية ، وان يجهز اسطوله
بما يحتاج اليه لمحاربة حاكم هرمز ، وان تكون مسقط تابعة لنفوذه .
اوشك اهل مسقط اول الامر ان يوافقوا على هذه الشروط لكنهم

تذكروا ما حل بمدينة قريات من قبل على ايدي البوكرك ولذلك رفضوا تلك الشروط واستعدوا للقتال .

وزع البوكرك اسطوله الى قسمين احدهما يقصف المدينة ويهاجم الرماة من العرب الذين كمنوا في الجبال ، والثاني ينزل الى البر لاحتلال المدينة ، وكان البوكرك نفسه يقود القسم الاخير . واحتدمت المعركة داخل مسقط ودارت رحاها في الشوارع والازقة ، وأمعن البوكرك في اطلاق النار على من يقع عليه بصره من اهل المدينة .

ولجأ اهل مسقط الى الجبال يكمنون فيها نهارا ثم يهاجمون الغزاة ليلا . وحين تعاطمت مقاومتهم امر البوكرك بحرق المدينة كلها بعد نهب ما فيها من مال ومتاع . ثم سار الى مدينة « صحار » التي استسلم حاكمها له على الرغم من وصول متطوعين من عمان للدفاع عنها . ومن صحار اتجه البوكرك الى « خور فكان » فصالحه اهلها ، ومع ذلك ابى ذلك السافل الا ان يحرق الميناء وما فيه من سفن وينهب ما فيه من اموال .

اصبح البوكرك الان عند فم الخليج العربي وغدا واضحا لديه ان دخوله الخليج لن يتحقق الا بالاستيلاء على جزيرة هرمز التي تعتبر اول عائق في فم الخليج . لكن البوكرك توقف عن التقدم نحو هرمز بسبب الخلاف الذي ثار بين ضباطه حول اقتسام الغنائم . واذا كان في هذا الوضع وصلتته الانباء بثورة سكان سقطرة ضد البرتغاليين ومحاصرتهم في قلعة توماس . عندئذ اتجه البوكرك الى سقطرة فاحرق في طريقه مدينة قلعات التي انتفضت هي الاخرى عليه بعد رحيله عنها ، ثم هاجم سقطرة واعاد احتلالها ثانية .

ولا بد لنا هنا من الاشارة الى العوامل التي ساعدت البرتغاليين على احتلال هذه الاجزاء من الخليج العربي .

واول هذه الاسباب هي استعمال الاسلحة النارية من مدافع وبنادق وغيرها مما لم يعرفه العرب ولا كانوا يملكونه .

وثاني هذه الاسباب واشدها خطرا هو الانقسام القائم بين رؤساء القبائل العربية ولاسيما في عمان ، واهتمام كل واحد منهم بالمحافظة على مقاطعته دون التنبه الى الخطر البرتغالي المداهم .

ومن هذه الاسباب ايضا عدم اهتمام الاتراك بالدفاع عن هذه المناطق وعدم تقديرهم الخطر الذي يمثله الغزو البرتغالي للخليج العربي حيث

لم يتنبهوا الى هذا الخطر الا بعد فوات الاوان .

* * *

وجد البوكر ك بعد طول تفكير ان سيادة البرتغال على الخليج العربي وبحر العرب ومستعمراتها في ساحل الهند لا يتم باحتلال جزيرة سقطرة وانما بالاستيلاء على عدن . ولذلك بدأ يعد العدة لهذا الغرض . ففي سنة ١٥٠٦م تولى البوكر ك نفسه منصب نائب الملك في الهند فاستولى على مدينة غوا في الهند وجعلها عاصمة للمستعمرات الهندية . وعندئذ اخذ يستعد لمنازلة عدن .

بعث البركوك باسطول قوي الى عدن في اواخر سنة ١٥٠٦م فحاصرها وتحصن أهلها في داخلها وقاوموا هجمات البرتغاليين ضدهم واخيرا استنجدوا بحاكم مصر آنذاك المملوك « قانصوه الغوري » فهب هذا ، مدفوعا بالحمية الاسلامية ، الى نجدتها وازاحة الخطر البرتغالي عنها ذلك الخطر الذي اخذ يتهدد تجارة مصر في البحر الاحمر تهديدا مباشرا .
هيا قانصوه الغوري اسطولا بقيادة الاميرال حسن الكردي وقد خرج هذا الاسطول من السويس سنة ١٥٠٧ وبعد ان رسا في جدة عدة ايام اجتاز مضيق باب المندب فوصل الى جزيرة « ديو » وهناك اطبق على الاسطول البرتغالي وقد كتب النصر في هذه المعركة لحسن الكردي الذي راح يطارد السفن البرتغالية حتى المحيط الهندي وانتصر عليها في موقعة اخرى على مقربة من بومباي . غير ان البوكر ك استطاع بالمساندة التي تلقاها من ملوك فيجايا ناجار الهندوكيين الممعنين في عدائهم للاسلام ، ان يصد اسطول حسن الكردي ويهزمه في السواحل الهندية ، حيث عاد حسن الكردي الى جدة سالما . ورغم ذلك فلم يستطع البوكر ك معاودة الهجوم على عدن بل انشغل بتوطيد اقدامه في الهند حتى سنة ١٥١٣م حين عاود مهاجمتها لكنه ارتد عنها مدحورا لان سكانها احسنوا تحصينها وابلوا في الدفاع عنها بلاء حسنا .

ولم تفت تلك الهزيمة في عضد الغوري اذ شرع يعد العدة لاسطول جديد يدافع به الى البحر الاحمر وقد طلب مسندة البندقية [جنوا] له في ذلك فرفضت طلبه عندئذ التجأ الغوري الى السلطان العثماني الذي قبل المشاركة في بناء الاسطول الجديد لكن الدول الاوربية خشيت مغبة هذه الحركة على مصالحها التجارية والسياسية فاتحدت فيما بينها ، وبعثت

بقواتها البحرية لصد الاسطول المصري العثماني المشترك ، ومنعه من التوجه الى البحر الاحمر . وقد هاجمت السفن الاوربية هذا الاسطول على حين غرة في مياه الاسكندرية سنة ١٥١٠م وحطمته .

هياً قانصوه الغوري بعد ذلك حملة لاحتلال اليمن وصد العثمانيين عنها . وانضم الزيديون ، بحكم عدائهم المذهبي للشواافع في اليمن ، الى جيش الغوري ووعدهو بالمؤن والخيول . وبعد ان استولى جيش قانصوه على « زبيد » تقهقر الى « قمران » ومن هناك حاول الاستيلاء على عدن فقاومته ببسالة وصدته عنها مثلما صدت البرتغاليين من قبل . وعندئذ لم يجد قائد ذلك الجيش ، وهو حسين التركي ، من سبيل امامه سوى التراجع الى مصر . وكان فشل هذه الحملة من الاسباب القوية التي شجعت البرتغاليين على مهاجمة عدن سنة ١٥١٣م ثم تجددت محاولاتهم في الاستيلاء على سواحل البحر الاحمر حيث حاصروا « جدة » سنة ١٥١٧م وتوجهوا منها الى « الحديدية » فجزيرة قمران ثم مضى باب المنذب .

عاد البرتغاليون في سعيهم ثانية للاستيلاء على جزيرة هرمز ، ففي سنة ١٥١٥م توجه اليها اسطول برتغالي كبير من الهند . وكان الايرانيون قد اشعلوا نيران الفتنة داخل هرمز بسبب اطماعهم فيها . ولذلك اتصل الايرانيون المسلمون بالبرتغاليين واتفقوا على التعاون معهم ضد العرب القاطنين في الجزيرة وعرض البرتغاليون على الفرس تجهيزهم بسفن للاغارة على البحرين والقطيف واخماد الثورة المحلية في « مكران » مقابل تنازلهم للبرتغال عن ميناء [جوادر] .

وما ان علم عرب الخليج بهذا الاتفاق بين الفرس والبرتغاليين حتى هب سكان هرمز والبحرين وصحار ومسقط هبة رجل واحد للتعاون مع حاكم هرمز لدحر العدوان البرتغالي .

ووجه البرتغاليون قطعاتهم البحرية نحو هرمز فدمروا ميناء صحار ، ثم شرعوا بمهاجمة الجزيرة ، فدافع عنها حاكمها العربي دفاع الابطال . وحين ازداد هجوم السفن البرتغالية ضده طلب الى الاهلين ان يحرقوا مدينة هرمز ذاتها ، وأن ينسحبوا الى جزيرة قشم . وقد تم فعلا تنفيذ هذا الامر . وهكذا لما دخل البرتغاليون هرمز وجدوها شعلة من نار . وظلت هرمز صامدة بوجه البرتغاليين وشوكة في حلقهم الى أن تمكنوا سنة ١٥٢٣م من اجبار حاكمها الجديد ، وكان ضعيفاً ، على توقيع معاهدة

« مناب » التي جعلت الجزيرة تدار من عاصمة البرتغال مباشرة . لكن
هرمز رغم ذلك لم تستسلم وظلت تقاوم الاحتلال البرتغالي سنوات عديدة
الى درجة ان الحكومة البرتغالية اضطرت في سنة ١٥٢٩ ان تلقي القبض
على المعارضين لها ، وفي مقدمتهم الشيخ شريف مستشار الحاكم السابق ،
وان ترحلهم الى مكان آخر خارج الجزيرة .

* * *

في هذه الفترة وقعت في البلاد العربية قاطبة احداث خطيرة غيرت
احوالها الراهنة تغييرا جنونيا ، وقررت مصيرها لعدة قرون مقبلة . وكانت
اهم تلك الاحداث استيلاء الاتراك في عهد السلطان سليم الاول
[١٥١٢-١٥٢٠م] على بلاد الشام ومصر والعراق وبذلك اصبحت الدولة
العثمانية وجها لوجه امام البرتغاليين سواء في البحر الاحمر ام البحر
العربي ام في الخليج . ولهذا عين السلطان سليم الاميرال حسين الرومي
قائدا للاسطول التركي في البحر الاحمر وعهد اليه بمهمة رد غارات
البرتغاليين على شواطئ الجزيرة العربية .

واكمل سليمان القانوني [١٥٢٠-١٥٦٦م] ما بدأه سليم الاول .
اذ اتم احتلال العراق ، ودخل الخليج العربي من الشمال ، ونازل
البرتغاليين في معركة ميناء « مصوع » على الساحل الافريقي من البحر
الاحمر حيث اندحر البرتغاليون فيها اندحارا شنيعا امام الاسطول العثماني
وذلك في سنة ١٥٤٠م

على ان البرتغاليين لم يكفوا مع ذلك عن مهاجمة المراكز العربية في
الخليج ونهبها وحرقها والفتك بسكانها . فقد هاجموا جزر البحرين سنة
١٥٢١م واستولوا على عاصمتها « المنامة » وخربوها ، وانشأوا فيها بعض
القلاع لهم وقد ظل البرتغاليون في البحرين قرنا كاملا حتى اخرجهم الفرس
والعرب منها سنة ١٦٢٢م ثم تحررت من النفوذ الفارسي الذي كان يعتمد
على مساندة البريطانيين في سنة ١٧٨٣م

كان احتلال البحرين يمثل مرحلة حاسمة في الغزو البرتغالي للخليج .
فبسقوط البحرين تم انتصار البرتغاليين على العرب في الخليج . وهذا
الانتصار يمكن ان نعتبره انتصارا آخر لاوروبا على العرب في الغرب . ذلك
لان الاسبان والبرتغاليين ، في نفس ذلك الوقت تقريبا ، كانوا قد قضوا

على آخر من تبقى من العرب في الاندلس تقتيلا وتهجيرا حتى انهم طاردوا العرب الفارين من اسبانيا الى الشمال الافريقي ذاته .

* * *

مضى على البرتغاليين قرن كامل وهم يصارعون العرب في البحر الاحمر وبحر العرب والمحيط الهندي والخليج العربي . وكانت مقاومة العرب للبرتغاليين في هذه المناطق لا تتمثل في صورة ثورات كبرى بقدر ما تتمثل في صفة غارات يقوم بها العرب على سفن البرتغاليين وقلاعهم في سواحل الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية .

دخل المسرح الان ممثل جديد انه الدولة العثمانية . ذلك ان سليمان القانوني الذي اكمل احتلال العراق ومد حدوده الى ابعادها الطبيعية في الكويت والقطيف ، ابى الا ان ينازع البرتغاليين وينازلهم في البحر . ففي سنة ١٥٥٠م جهز اسطولا تولى قيادته مصطفى باشا دخل البحر الاحمر واتجه للاستيلاء على جزيرة قرمان وميناء المكلا في حضرموت لكي يبقى البحر الاحمر مفتوحا بوجه السفن التركية .

واعدت البرتغال هي الاخرى اسطولا لمجابهة الاسطول التركي كان يتألف من عشرين قطعة ويقوده الاميرال «دوم انطونيو» لكن الهزيمة كانت من نصيب البرتغال . ومن يومها اخذت السفن العثمانية تتعرض للسفن البرتغالية في البحر العربي .

وشجعت هذه الانتصارات السلطان سليمان القانوني على معاودة الهجوم على البرتغاليين وطردهم ليس من الخليج العربي حسب بل ومن الهند ايضا .

ولذلك بعث سليمان القانوني باسطول يقوده والي مصر فاتجه هذا نحو الهند وحاصر «غوا» مستعمرة البرتغاليين فيها وكاد ينجح في الاستيلاء عليها لولا ان نكث الهنود بوعدهم له فلم يقدموا على مساعدته كما تعهدوا بذلك قبلا .

وجدد الاتراك محاولتهم سنة ١٥٥١م فاسلوا اسطولا جديدا يقوده المغامر التركي الشهير «بيري بك» وقد دخل هذا الاسطول مياه البحر الاحمر فالبحر العربي ، واحتل عدن ووظفار ورأس الحد ومسقط وهرمز ، واتجه نحو البصرة لكن البرتغاليين حشدوا قواتهم البحرية على مقربة من جزيرة هرمز فضيقوا الخناق على بيري بك ، وحاصروه واذاك ترك اسطوله يدافع

عن نفسه وهرب هو متسترا الى مصر . واذا اكتشف امره استدعي الى
الاستانة حيث قطع رأسه بتهمة الخيانة والتمرد على اوامر السلطان .
ومع ذلك فان هزيمة بيري بك لم تفت في عضد السلطان سليمان
القانوني الذي اصدر امره الى مراد باشا حاكم الاحساء والقطيف بان يتولى
قيادة السفن الراحية في البصرة ويتوجه بها الى سواحل الخليج . وقد
اصطدم مراد باشا بالبرتغاليين فعلا قرب رأس مسندم شمالي عمان
لكن النصر كان حليف البرتغال . وحينذاك بعث السلطان سليمان بنجدة
بحرية قوية يقودها علي بن حسين الرئيس . وقد ابجر هذا من البصرة
الى البحرين التي كانت تابعة للعثمانيين آنذاك ومن هناك اتجه نحو رأس
المسندم . اما البرتغاليون فانهم احتشدوا في خورفكان وهناك وقعت اعظم
معركة بحرية انتصر فيها العثمانيون اذ اخذ علي بن حسين الرئيس يطارد
البرتغاليين حتى ميناء صحار . وفي هذا الاثناء اتصل زعماء العشائر العربية
بالقائد علي بن حسين الرئيس - رغم اعمال العسف التي ارتكبها ضدهم
بيري بك - واقترحوا عليه بان يبقى سفنه في «جواذر» ثم يفاوض حاكم
البلوش في امر ماعدته للاتراك . وقد جمع علي شتات اسطوله وتوجه نحو
مسقط لكن الرياح الموسمية قذفت بسفنه الى موانئ الهند محطمة ، ولم
يهب الهنود لمساعدته ، ولذلك تفرق رجاله هناك وعاد اكثرهم من الهند
الى العراق بطريق البر . وهكذا فشلت هذه الحملة هي الاخرى وانتهت
محاولات الاتراك المتكررة في طرد البرتغاليين من الخليج .
وقد افاد البرتغاليون كثيرا من هذه النتيجة اذ اقبلوا على بناء القلاع
والحصون في جميع المناطق التي احتلوها في الخليج حيث لاتزال بقايا آثار
هذه القلاع والحصون ظاهرة في البحرين ومسقط وعمان وهرمز وعدن
وحتى الكويت .

* * *

في بداية القرن السابع عشر كانت البرتغال هي الدولة الاوروبية
الوحيدة الموجودة في الخليج العربي . وكانت تركيا هي الدولة الوحيدة
التي اخذت تنازعها السيادة في ذلك الخليج . فبينما كان البرتغاليون
يحتفظون بسواحل عمان وجزر هرمز والبحرين ، كان العثمانيون يسيطرون
على الفاو والكويت والاحساء والقطيف .
غير ان دولة اوربية اخرى ما لبثت ان مدت بابصارها الى الخليج

العربي وهي تتطلع من ورائه الى الهند . تلك هي بريطانيا التي التحمت مع البرتغال في اول معركة بحرية عند الشواطئ الهندية سنة ١٦١٢م . وتلت ذلك معركة «سورات» سنة ١٦١٥م التي انهزم فيها الاسطول البرتغالي امام الاسطول الانكليزي . ومن حينها امتد الصراع بين الدولتين ، بريطانيا والبرتغال ، في الخليج العربي أكثر من نصف قرن .

أخذ العرب ينتهزون الفرصة التي هيأها هذا الصراع بين تركيا والبرتغال وبريطانيا للتحرر من النفوذ البرتغالي وقد بدأت طلائع الثورة العربية ضد البرتغاليين في البحرين سنة ١٦٠٢م وحينما وجدت البرتغال نفسها في وضع حرج سلمت البحرين الى ايران ، فشجع هذا الضعف القوات الايرانية على مهاجمة القلاع البرتغالية في هرمز سنة ١٦٠٨م كما طرد البرتغاليون من بندر عباس سنة ١٦١٥م .

على ان الثورة العربية تفجرت الان في ساحل عمان . ففي سنة ١٦١٩م ثار العرب في مدينة «قريات» لكن البرتغاليين استطاعوا ان يخدموا تلك الثورة بسبب عزلتها وانقطاع طرق المواصلات بين الاجزاء العربية التي كانت السفن البرتغالية تحاصر الموانئ فيها غير ان ذلك لم يحل دون قيام تفاهم بين عدد من الشخصيات العربية البارزة الذين اتفقوا فيما بينهم على ان تقوم الثورة في كل الاماكن في يوم واحد ، وان تهاجم المراكز البرتغالية كلها في ذلك اليوم .

اختير اليوم الحادي والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٦٢١م موعدا للثورة . ففي ذلك اليوم هاجم العرب مراكز البرتغاليين وسفنهم في البحرين وصحار وقريات ومسقط وخورفكان وقلهات . وقد استمر القتال زهاء ستة اشهر متواصلة سقطت خلالها عدة من هذه الموانئ بيد العرب حيث طلب البرتغاليون نجدة كثيرة لهم من بلادهم .

وفي آخر الامر لجأ البرتغاليون الى الخديعة . فقد وعدوا حكام عمان بالاستقلال والتخلص من سلطة حاكم هرمز الاسمية عليهم شريطة ان تظل المراكز البرتغالية في امان .

بهذه الوسيلة احدث البرتغاليون انشقاقا بين زعماء الثورة واستمالوا اليهم احد قادتها وهو الشيخ راشد المسقطي الذي مكثهم من بناء المخازن والقلاع في مسقط وبذلك استعاد البرتغاليون سيطرتهم على باب المنصب وعدن والمكلا وظفار .

وعندما حاول العرب في هرمز الثورة على البرتغاليين في اواخر تلك السنة خشي الانكليز مغبة ذلك فارسلوا اسطولا الى الجزيرة يحاصرها وقد استسلم الاسطول البرتغالي للاسطول البريطاني في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٦٢٢م ولم يشأ الانكليز ان يعلنوا استقلال هرمز وانما سلموها الى الايرانيين الذين كانوا قد تحالفوا معهم .

وتجددت ثورة العرب في ساحل عمان سنة ١٦٢٥م وبعث النائرون برسائل الى اخوانهم رؤساء العرب في كل مناطق الخليج يطلبون اليهم التضامن معهم . وكادت الثورة تعم الخليج كله لولا ان سارع نائب الملك البرتغالي في الهند الى ارسال احد قواده وبرفقتة خمس بوارج حربية فطاف هذا بالموانئ العربية في الخليج ، واقنع زعماء العرب بان لا حاجة الى الثورة ، وانه مكلف بأقالة السنيور «دياجورى ملو» الحاكم البرتغالي العام في ساحل عمان .

وحاولت البرتغال بعد ذلك ان تحالف العرب بالخديعة لمناصرتها في استرداد جزيرة هرمز لكن العرب لم ينخدعوا هذه المرة بل على النقيض من ذلك قام عرب البحرين باقتال الطريق بوجه السفن البرتغالية وهاجموا الحامية البرتغالية في المنامة واجبروها على الجلاء عنها ، ثم اشتبكوا مع البرتغاليين في حرب بحرية وبرية ضارية دامت عدة شهور لكنها انتهت بهزيمة العرب الذين كانت تعوزهم الاسلحة الحديثة والسفن الحربية والموانئ .

اعطى فشل الثورات المتلاحقة رؤساء القبائل العربية في عمان درسا قاسيا ، وعلمها ان نجاح الثورة رهن بالاتحاد وبانشاء دولة عربية موحدة في عمان . ولذلك تنادى عدد من زعماء القبائل بضرورة تحقيق هذه الحركة . وكان على رأسهم كل من خميس بن سعيد الشقسي ، وسعود بن رمضان النبهاني ، وصالح بن سعيد الزاجلي . وقد اجتمع هؤلاء وغيرهم وقرروا المناداة بالشيخ ناصر بن مرشد العربي اماما على عمان كلها سنة ١٠٢٤هـ = ١٦٢٤م

وقد ايدت بقية المقاطعات هذه القرارات ودانت للامام ناصر الذي اتخذ من مدينة «نزوى» عاصمة له وراح يستعد لمنازلة البرتغاليين . وجد البرتغاليون ان اتحاد العرب وتشكيلهم دولة موحدة يولف خطرا اكيدا عليهم في الخليج العربي كله . ولذلك عمدوا الى بث التفرقة

والفتن وحبك المؤامرات ضد هذه الحركة العربية الجديدة . وقد اعدوا مؤامرة لاغتيال الامام ناصر اليعربي في نزوى لكنه استطاع ان يخلصها وهي في مهدها .

ولما افشلت هذه المؤامرة عمد البرتغاليون الى شراء ذمة احد المشايخ بالمال وهو مانع بن سنان العميري حاكم مدينة «سمائل» فقد استطاع هذا الخائن ان يغري بعض القبائل بالهجوم على نزوى لكن المدن القريبة من العاصمة سارعت الى نجدها ومساندة الامام ناصر واذ ذاك هرب الخائن مانع بن سنان والتجأ الى ميناء «لوي» الذي يقع على بعد خمسة عشر ميلا من صحار . ومع ان الامام ناصر لم يستعد للمعركة الاستعداد اللازم نتيجة انشغاله باخماد الحركات الداخلية ، الا انه هاجم ميناء لوي وطرد البرتغاليين منه والقي القبض على العميل مانع العميري .

كان لهذا الانتصار اثره الفعال في رفع معنويات العرب ، وفي التغافل القبائل العمانية حول الامام ناصر ومعاونته على تأسيس دولة اليعاربة في عمان .

فقد وجد العرب بعد ذلك ان عليهم ان يهاجموا البرتغاليين في مراكزهم القوية . وقد يادر الامام ناصر بن مرشد بارسال حملة يقودها مسعود بن رمضان لاسترجاع مسقط من ايدي البرتغاليين . وسار مسعود بحملته واستطاع ان يدخل المدينة فعلا لكن البرتغاليين اعتصموا بقلاعهم ، وعرضوا عليه ان يدفعوا الى الامام جزية سنوية ، وان يكفوا عن التآمر عليه . ومع ذلك فان هذا الاتفاق لم يحل دون مهاجمة العرب للمراكز البرتغالية حيث تم تحرير مينائي صحار ورأس الخيمة ، واجلاء البرتغاليين عنهما تماما . وفي الوقت ذاته كان البرتغاليون قد اخرجوا من جزيرة هرمز فاتجهوا سنة ١٦٣٤م نحو البصرة حيث انشأوا لهم مركزا للتبشير فيها وظاهروا الاتراك في الدفاع عنها حين تعرضت لغارات الفرس .

تمرد البرتغاليون سنة ١٦٤٨م على الامام ناصر اليعربي وابوا دفع الجزية المفروضة عليهم ، واذ ذاك جهز الامام حملة كبيرة ضدهم كان يقودها الفارس المغوار خميس بن سعيد وحين رابط الجيش العربي في «بشير» على مبعدة عشرين ميلا من مسقط بعث البرتغاليون بوفد منهم للتفاوض مع خميس بن سعيد وقد تم التوصل معه الى الشروط التالية :

١ - ان يدفع البرتغاليون الاتاوة المطلوبة منهم بصورة منتظمة .

٢ - ان يسلم البرتغاليون الى العرب مراكزهم في «مطرح» التي كانت تقع على بعد ميلين ونصف الميل عن مسقط .
٣ - ان لا يتعرض البرتغاليون لحرية العمانيين في الملاحه .
٤ - ان يتمتع البرتغاليون عن القيام باية اعمال عدوانية ضد الامام .

٥ - ان يسلم البرتغاليون جميع التحصينات التي يحتفظون بها خارج مدينة مسقط الى الامام ناصر اليعربي .
وطبقا لهذه الاتفاقية اخرج البرتغاليون من مدن صور وقلهات وقريات وبقية الموانئ العمانية .

توفي الامام ناصر بن مرشد اليعربي ، وهو في السادسة والاربعين من عمره ، في العاشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٠٥٠هـ [١٦٤٨م] فانتخب العمانيون خلفا له ابن عمه سلطان بن سيف . وقد بدأ الامام سلطان حكمه بالتاكيد على انشاء قوة بحرية كبيرة يستطيع بها منازلة البرتغاليين في البحار العربية . وبعد ان اتم بناء اسطوله ذاك واستعد للقتال تمام الاستعداد فاجأ البرتغاليين بالهجوم على مدينة مسقط . وقد بدأ الهجوم سنة ١٦٤٩م ودارت معارك ضارية استطاع العرب فيها اجبار القائد البرتغالي « باربر » على ان يترك المدينة ويتحصن في بعض القلاع لكن القوات العربية حاصرت تلك القلاع ذاتها وارغمتها على الاستسلام وذلك في اليوم الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٦٥٠م .

ولقد حاول البرتغاليون بعد تلك الهزائم اعادة الكرة لاحتلال مسقط، وجليبوا اسطولا كبيرا زودوه بالعديد من الرجال لكن السفن العربية استقبلت ذلك الاسطول في خليج مسقط فهزمته . ولم يكتف العرب بهذا وحده بل راحوا يطاردون البرتغاليين حتى في سواحل الهند وفي سواحل افريقيا الشرقية التي حرروها من الحكم البرتغالي واعادوا الحكم العربي فيها .

ولقد سجل الشاعر العماني خلف بن سنان الغافري انتصارات امام عمان تلك على البرتغال في قصيدة طويلة عدد فيها الاماكن والمدن التي حررها العرب من البرتغاليين وفي تلك القصيدة يقول الغافري :

ولدى زنجبار زمجر فيهم رعد زجر لم ينج منه اعتصام

وببومبي نابهم منه ناب لم ينبه عن المضي انهشمام
وانثنى منهم بعدة افلا ك تراءى كأنها اعلام
وما حلت سنة ١٦٨٠م حتى خلت جميع السواحل العربية ومناطق
الهند وافريقيا الشرقية من حكم البرتغال ولم تبق لهم فيها سوى بقايا حصون
وقلاع خاوية الاطلال .

وبالقضاء على الغزو البرتغالي في الخليج وبقية البحار العربية الاخرى
استطاع العرب ان يربحوا الحرب الصليبية الثانية التي جردتها اوربا
ضدهم في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، لتبدأ بعدها الحرب
الصليبية الاخيرة بحلول الهولنديين والفرنسيين والانكليز محل البرتغاليين
في الخليج العربي منذ اواخر القرن السابع عشر حتى اوائل القرن
العشرين .

الفصل الرابع

اصطراع العرب مع الهولنديين وبوادر التدخل الانكليزي في الخليج

ظهرت هولندا على مسرح الاستعمار بشكل صريح بعد ان ضمت اسبانيا والبرتغال اليها سنة ١٥٨٠م وكانت هولندا قبل ذلك التاريخ تعد من البلدان التي تخصصت فى نقل تجارة الشرق من لشبونة عاصمة البرتغال الى ميناء « انتورب » البلجيكي على ساحل بحر الشمال ، اذ كان هذا الميناء يمثل المستودع العام للمتجارة في اوربا آنذاك . فبعد ان سيطر البرتغاليون على سواحل الهند والملايو وسواحل البحر الاحمر واحتلوا الموانئ العربية في البحر لعربي وفي لخليج ، اخذت تجارة الشرق كلها تتكدس في لشبونة ومن هناك ينقلها الهولنديون الى اوروبا .

وعندما عمدت اسبانيا فيما بعد الى اغلاق مينائي لشبونة وقارص [في الشمال الافريقي] بوجه الهولنديين اضطر هؤلاء الى ان يبحثوا بانفسهم عن طريق جديد يوصلهم الى الشرق . وقد ارسلوا لهذا الغرض عددا

من البعثات الاستكشافية منها بعثة « وليم بارنتز » ما بين سنتي ١٥٩٤-١٥٩٦ م . غير ان هذه البعثات اخفقت في الكشف عن طرق خاصة توصل الهولنديين الى الشرق . وحينئذ لم يجد هؤلاء امامهم سوى البرتغاليين فاستغلوا ضعف مراكزهم وشرعوا يناقسونهم في طرقهم ، ويستولون على تلك المراكز بالقوة واحدا اثر واحد .

كان الرحالة الهولندي [يان فان لنشوتن] اول من فتح عيون الهولنديين على اهمية الهند ، واستحثهم على منازلة العرب والبرتغاليين في الخليج العربي وفي السواحل الهندية .

فلقد سافر هذا الرحالة الى الهند سنة ١٥٨٣ م واقام فيها حوالي ثلاث عشرة سنة جمع خلالها معلومات ضافية عن منتجات الهند وطرق المواصلات فيها ، بالاضافة الى الامام بالطريق البحري بين لشبونة والهند . وقد طبع لينشوتن معلوماته هذه في كتاب ضخيم سنة ١٥٩٢ م . وما ان اطلع عليها عدد من تجار « امستردام » حتى قرروا ارسال مبعوث من قبلهم الى الهند للتأكد من صحة المعلومات التي اوردها لنشوتن في كتابه ذلك .

كان ذلك المبعوث الذي اختاره التجار الهولنديون يدعى « كورفيليس هوتمان » فبعد ان قام هوتمان بهذه المهمة عاد من الهند الى لشبونة ومنها الى هولندا حيث اقترح ارسال اسطول هولندي الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ، وان يتولى هو نفسه قيادة ذلك الاسطول . وهيات هولندا هذا الاسطول فعلا فابحر من هولندا الى الشرق لكن الاهوال صادفته في طريقه الى الهند اذ هلك اكثر من ثلثي ملاحيه، وتحطمت معظم سفنه . وحين عاد هوتمان الى هولندا سنة ١٥٩٧ م لم يكن بقي معه من اسطوله سوى سفينة واحدة .

ومع ذلك فان هذه الرحلة استطاعت ان تفتح ارجيبيل جزر الهند الشرقية امام التجارة الهولندية .

وفي الفترة ما بين ١٥٨٩-١٦٠١ م ارسلت هولندا خمسة عشر اسطولا جديدا الى الشرق استولت على كثير من المراكز البرتغالية فيه . على ان اهم نتيجة لرحلة هوتمان الى الهند كانت ظهور مؤسسات تجارية هولندية في سنة ١٥٩٧ اطلقت على نفسها « جمعية التجارة مع الاقطار البعيدة » .

وفي سنة ١٦٠٢ م تأسست « شركة الهند الشرقية الهولندية » التي ساهمت فيها عدة شركات هولندية وكانت اداة للاستعمار الهولندي على

غرار امثالها من الشركات الانكليزية والفرنسية . وقد ركز الهولنديون نشاطهم لاحتلال المراكز البرتغالية في الهند وخارجها حيث اندفعوا الي الملايو واندونيسيا فاحتلوا جزيرة « ملقا » سنة ١٦٠٧م ، واسسوا مدينة « بتافيا » في اندونيسيا سنة ١٦١٤م ، ثم مدوا من هناك خطوط استعمارهم الى الامريكيتين فاستراليا .

اما في الخليج العربي فقد مركز الهولنديون نشاطهم في ايران ، ومنافسة الانكليز الذين بدأوا فعاليتهم الاستعمارية هناك منذ امد بعيد . ولقد استعمل الهولنديون اسلوب الرشوة لمزاحمة الانكليز في ايران ، ورفعوا اسعار السلع الايرانية التي كانوا يشترونها هناك . بل انهم قاموا حتى بارشاء موظفي شركة الهند الشرقية الانكليزية في ايران الى درجة ان الوكيل البريطاني الذي كان يعمل في اصفهان لم يتردد عن تقديم القروض الى التجار الهولنديين الذين كانوا يزاحمون الشركات البريطانية في تلك المنطقة مزاحمة علنية .

وذكر احد الرحالين الهولنديين الذين زاروا بندر عباس سنة ١٦٣٨م انه كان يوجد في تلك المدينة وكالتان احدهما هولندية والثانية انكليزية . بل كانت هولندا في سنتي ١٦٣٩-١٦٤٠م تمتلك اكثرية البواخر والبضائع في ميناء بندر عباس .

وفي سنة ١٦٤٥م بدأ الهولنديون باول واكبر حملة بحرية في الخليج العربي لتركييز نفوذهم فيه وفي ايران بصفة خاصة . . ففي تلك السنة بعثوا باسطول ضخم يقوده الكوماندر « بلوك » وحين وصل هذا الاسطول الى الشواطئ الايرانية اراد قائده اشاعة الخوف في نفوس الايرانيين بأن طلب الى الحكومة الايرانية دفع مبلغ اربعة الاف وتسعمائة تومان الى الوكيل الهولندي في بندر عباس على زعم ان الامتياز الممنوح للوكالة الهولندية يعفيها من دفع الضرائب عن بضائعها .

ولقد اشتد الخلاف بين هولندا وايران واصبح التصادم بينهما قاب نوسين أو أدنى . وخشى الانكليز مغبة ذلك التصادم فنقلوا بضائعهم من بندر عباس الى البصرة .

وجرت مفاوضات بين الهولنديين والايرانيين سنة ١٦٤٥م لكن الفشل كان نصيبها . وفي ايلول من تلك السنة هاجم الاسطول الهولندي جزيرة « قشم » وعلى الرغم من الخسائر الكبيرة التي تكبدها فلم يستطع

احتلال الجزيرة . وفي أثناء ذلك سافر الكوماندر بلوك الى اصفهان وقابل شاه ايران وحصل منه على اذن بتصدير الحرير الايراني من اية بقعة من بقاع ايران ومن دون دفع اية ضريبة .

وأعقب نجاح الهولنديين في ايران ، توسيع نفوذهم التجاري وامتداده الى العراق حيث بعثوا باسطول مؤلف من ثماني سفن الى البصرة وقضوا على الوكالة الانكليزية التي انشئت هناك . وقد بلغ النفوذ الهولندي في الخليج العربي ذروته سنة ١٦٤٩ م .

وكان الهولنديون قد وصلوا الى عدن لاول مرة سنة ١٦١٣ م ففي تلك السنة بعث الحاكم الهولندي في اقليم « بانتام » بالهند بسفينة يقودها بيتر فان دون بروكه الى عدن ليعرف الامكانيات المتوفرة انذاك للمتاجرة ما بين هولندا وسواحل الجزيرة العربية . ورغم الاستقبال الحسن الذي لقيه أمر السفينة من أمر الحماية العثمانية في عدن الا ان والي صنعاء لم يسمح لدون بروكه بالاقامة فيها فغادرها الى الشحر وحظي بتكريم سلطانها له . وقد عاد دون بروكه الى الشحر مرة اخرى سنة ١٦١٦ م وانتقل منها الى « مخا » و « موزع » و « حاسب » وغيرها .

وما ان حلت سنة ١٦١٨ م حتى كانت شركة الهند الشرقية الهولندية قد حصلت على ترخيص من السلطان العثماني بالمتاجرة مع الموانئ اليمانية . على ان الانكليز لم يهن عليهم بلوغ الهولنديين ما بلغوه من نفوذ في تلك الاصقاع فاصطدموا بهم . وهكذا دارت في سواحل اليمن معركة بحرية بين القوات الهولندية والقوات الانكليزية قتل فيها القائد البريطاني «غورداين» .

واخذ عدد السفن الهولندية المرسلة الى ايران بعد تلك المعركة يتعاضم باطراد . ففي سنة ١٦٥٠ م وصلت عشر سفن هولندية الى ميناء بندر عباس افرغت فيه حمولة هائلة من السلع . كما استورد الهولنديون في تلك السنة كميات كبيرة من الحرير الايراني بلغت اثمانها مليون ونصف مليون باون . وفي السنة التالية وصلت الى الميناء ذاته احدى عشرة سفينة هولندية تحمل سلعا تقدر قيمتها بمائة الف باون . ومع ذلك فلم يمنح شاه ايران الوكالة الهولندية في بندر عباس من الامتيازات ما منحه الى الوكالة الانكليزية لانه كان يذكر مساعدة الانكليز لايران في مقاومة البرتغاليين في الخليج ولاسيما في البحرين .

وقد بلغ التنافس بين هولندا وبريطانيا ذروته سنة ١٦٥٢م وقادى ذلك الى نشوب الحرب بينهما في اوروبا حيث حطم الانكليز الاسطول الهولندى في المياه الاوروبية . وكان لهذا الانتصار اثره في وضع الدولتين المتصارعتين في الخليج العربي ايضا . ذلك ان البريطانيين استغلوا تلك الانتصارات فارغموا الهولنديين على دفع تعويضات ضخمة الى شركة الهند الشرقية الانكليزية . وكان من بين تلك التعويضات مبلغ نقدي قدره خمسة وثمانون الف باون .

وتجددت الحرب ثانية بين هولندا وبريطانيا في سنة ١٦٥٤م في بحر الشمال . وفيها اجبرت هولندا على التراجع الى موانئها الاصلية . ولقد كان رد الفعل لهذه الحرب في الخليج العربي اشد واقوى اذ قامت قطع من الاسطول الهولندى في الخليج بمحاصرة اسطول شركة الهند الشرقية الانكليزية في ميناء « سورات » بالهند .

وكان الهولنديون في الهند ، منذ ان وقعت الحرب الهولندية البريطانية الاولى ، قد سارعوا الى التحالف مع البرتغاليين خصوم الانكليز هناك بقصد تحطيم التجارة الانكليزية في الشرق ، لكن البرتغاليين رفضوا التحالف في هذا الشأن مع الهولنديين . وسبب ذلك ان الانكليز سبقوا الهولنديين في الاتصال مع البرتغاليين والتفاوض معهم لنفس الغرض الا وهو التحالف ضد هولندا .

حينئذ لم يجد الهولنديون امامهم سوى القيام بمغامرة في الخليج العربي وذلك بالتصدي للسفن البريطانية فيه ، وقد استطاعوا ان يأسروا اثنتين من سفن شركة الهند الانكليزية على مقربة من ميناء « جسك » كما اسروا سفينة ثالثة وحطموها اخرى .

وفي اوائل سنة ١٦٥٤م قامت خمس سفن هولندية بمهاجمة السفينة البريطانية « اندتفور » واحرقتها عند شاطئ بندر عباس ، كما اسرت السفينة البريطانية المسماة « فالكون » ايضا . وبهذه الوسيلة سيطر الهولنديون على المداخل الشمالية للخليج العربي الامر الذى اضطر الانكليز الى اغلاق وكالتهم في لبصرة ، وشرعوا يفكرون في ارسال الحريز الى اوروبا عن طريق اصفهان وتبريز فالاناضول .

اخذت قوة هولندا البحرية في الخليج العربي تبث الفرع في نفوس رجال شركة الهند الشرقية الانكليزية ولاسيما بعد ان ازدهرت التجارة

الهولندية في ايران في عام ١٦٦٤م حيث غدا في مقدور التجار الهولنديين ان يرسلوا عددا من السفن المحملة بالبضائع الى بندر عباس كل سنة .
وكان الهولنديون في ذلك الوقت يصدرون من ايران عدة مواد منها السكر والحريير والسجاد والذهب والنحاس والفضة وكان من جراء تحريصات مبعوثي الانكليز لدى الشاه ضد الهولنديين ان تفاقت المنازعات بين هولندا وايران حيث ضرب الاسطول الهولندي الحصار على بندر عباس في سنة ١٦٨٤م . وقد وجهت شركة الهند الانكليزية من مقرها في لندن تقريرا شديدا الى وكالتها في ايران لانها لم تبلغها بوقوع هذا الحادث في حينه .

ونشطت الوكالة الهولندية في اصفهان سنة ١٦٨٦م في احداث شقاق بين شاه ايران والوكالة الانكليزية لكن هذه المحاولات لم تنجح بسبب الدور الذي لعبه مترجم الوكالة الانكليزية ، وهو ارميني ، الذي كان يتجسس لها على الوكالة الهولندية .

* * *

في اواخر القرن السابع عشر دخل الخليج العربي مغامر اوروبي آخر يريد ان يجرب حظّه فيه ذلك المغامر هو فرنسا التي شرعت تبذل اهتماما متزايدا بالمتاجرة مع الشرق ، وسلوك نفس الطريق الذي سلكته البرتغال وهولندا وانكلترا من قبلها . وكان من نتائج ظهور فرنسا في الخليج العربي ان تهادنت الدولتان المتنافستان بريطانيا وهولندا ، ثم تحالفتا ضد فرنسا ليس في الشرق حسب بل وفي اوربا ايضا . وقد نجم عن هذا التحالف ضعف ملموس في المراكز الهولندية في الخليج وتغلب النفوذ الانكليزي عليها .

لكن تلك المهادنة لم تحل دون ان تكيد اى من الدولتين احدهما ضد الاخرى . فلقد راح الهولنديون يسعون من جديد الى اجتذاب شاه ايران الى جانبهم . ففي سنة ١٦٩٠م قام احد السفراء الهولنديين بزيارة اصفهان عاصمة ايران انذاك ، كما اعقبته بعثة دبلوماسية هولندية اخرى تحمل الى الشاه هدايا ثمينة .

كان القصد من وراء ذلك النشاط الحصول من الشاه على اذن يخول الهولنديين حق احتكار تجارة الصوف في « كرمان » . ومع ان السفير الهولندي اخفق في مهمته تلك الا انه استطاع ان يغري ممثل الشاه في بندر

عباس سنة ١٦٩١م بان يشدد النكير على الانكليز هناك ، ونتيجة لذلك تعذر على الوكالة الانكليزية افراغ بضائعها في بندر عباس في تلك السنة . وكان من اثر توثق العلاقات بين الهولنديين والاييرانيين ان احس عرب الخليج بخطر الدور الذي تلعبه ايران في تثبيت النفوذ الاجنبي في الخليج العربي . ولذلك شرع العرب منذ سنة ١٦٩٥م وما بعدها يهاجمون السفن الايرانية الى جانب السفن الهولندية بلا انقطاع حيث تفاقم اصطراع العرب مع الهولنديين بعد ذلك التاريخ تفاقما واسعا . وسبب ذلك ان الهولنديين ساروا على ذات الخطة التي سلكها الانكليز اذ راحوا يقوون الفرس ويمكنونهم من توطيد اقدمهم في بعض مناطق الخليج حيث توالى اصطدام العرب بالحملات الايرانية الهولندية المشتركة على البحرين ، وعلى ساحل عمان ، وقطر حتى سنة ١٧٤٠م .

كان البارون نيفوسن من الذين مكثوا للنفوذ الهولندي في الخليج العربي . فقد عين معتمدا لشركة الهند الشرقية الهولندية في الخليج العربي كله ، واتخذ مقره في مدينة «البصرة» . ومن هناك كان يشرف على جميع المصالح الهولندية في العراق وايران والخليج العربي . وظل في هذا المنصب ثلاثا وعشرين سنة اى من ١٧٣٠ الى ١٧٥٣م وهي السنة التي طرده فيها الاتراك من البصرة حين استولوا على الوكالة الهولندية فيها . وقد رحل البارون نيفوسن من البصرة الى «الخرج» [خارك] ومر في طريقه بجزيرة «ريج» [ريگ] وهناك اتصل بحاكم الجزيرة العربي الشيخ ناصر فحصل منه على امتياز بانشاء وكالة هولندية في الجزيرة لقاء مبلغ سنوي معين . وما أن وافق الامير ناصر على ذلك حتى تطلع البارون نيفوسن الى جزيرة الخرج التي كانت تخضع لسلطة الامير ذاته واذ ذاك انتقل نيفوسن الى الخرج واقام له فيها مستودعا للوكالة زوده باربعة مدافع . وما ان رأى الامير ناصر ما فعله نيفوسن حتى استاء منه فهاجم الهولنديين لكنه لم يستطع التغلب عليهم ، وحينئذ اقنع البارون نيفوسن مقر الشركة الهولندية في «بتافيا» بجزيرة «جاوة» بان تجرد حملة بحرية ضد جزيرة الخرج . واعدت هذه الحملة وتوجهت نحو ميناء بندر عباس اولا لغرض التمسويه على الانكليز والفرس والعرب معا .

كان نيفوسن نفسه يقود تلك الحملة وقد تظاهر انه يريد الابحار الى البحرين لكنه ما لبث ان توجه الى الخرج فاحتلها بالقوة . وقد حكم

نيفوسن الخرج خمس سنوات كانت علاقاته اثناءها مع الامير ناصر جد متوترة . كان العرب في ذلك الوقت يوالون غاراتهم الجريئة المتواصلة على المراكز والسفن الهولندية في الخليج . ومن تلك الغارات غارة كبرى قام بها الشيخ عبدالله امير جزيرة قشم في الثالث والعشرين من شهر نيسان سنة ١٧٥٣م على السفينة الهولندية « نانسى » التي كانت تسير على مقربة من الجزيرة حيث استولى على ما فيها من البضائع واحرقها . وظلت السفن الهولندية سنوات عديدة لاتجرأ على الظهور علانية في مياه جزيرة الخرج خوفا من مهاجمة العرب لها . وقد ذكر «المستر » وود « احد وكلاء الشركة الانكليزية عند زيارته لجزيرة الخرج سنة ١٧٥٦م ان الهولنديين كانوا يقومون هناك برحلات لصيد اللؤلؤ تتصف بالسرية التامة خوفا من غارات العرب عليهم . بل ان الهولنديين فكروا في ترحيل العرب من الجزيرة كيما يأمنوا شرهم .

في سنة ١٧٥٩م تولى فان در هولست وكيل الشركة الهولندية في البصرة منصب حاكم جزيرة الخرج خلفا للبارون نيفوسن . وسرعان ما استعرت نار الحرب بين العرب والهولنديين وكان اول الثائرين هو الشيخ مهنا بن الشيخ ناصر حاكم جزيرة ريج ففي سنة ١٧٦٠م اعد بالسيوف فاغاروا على جزيرة الخرج لكن مدافع الهولنديين المنصوبة في القلعة ردتهم على اعقابهم . على ان رجال الشيخ مهنا لم ينسحبوا من الجزيرة بل كمنوا وراء الصخور على الشاطئ حتى اذا قدمت الجزيرة سفينتان هولنديتان اغاروا عليهما فنهبا ما فيهما من اموال احرقوها وعادوا بقواربهم الى جزيرة ريج .

وما ان علمت السلطات الهولندية في بتافيا بهذه الوقائع حتى استدعت فان در هولست حاكم خرج اليها للاستفسار منه . غير ان هذا خاف مغبة الامر فترك سفينته في بندر عباس وطلب الى الوكالة الانكليزية فيها اعتباره لاجئا سياسيا ، ثم غادر الشرق عائدا الى اوروبا عن طريق بومباي . وقد اعقبه في حكم جزيرة الخرج المسيو بوخمان الذى رأى ان من مصلحته ان يصافح العرب ويكسب ودهم ولذلك انشأ علاقات طيبة معهم ولاسيما مع الشيخ مهنا . لكن الشيخ مهنا حاول ، رغم ذلك ، الانتقاص على الهولنديين . فقد حدث ان بعث ببعض رجاله الى المسيو بوخمان

للتفاوض معه في بعض الشؤن المعلقة ، وقد اوصاهم ان يحاولوا الاستيلاء على القلعة الهولندية في الخرج اذا ما وجدوا الفرصة مواتية لذلك . غير ان بوخمان اوجس من ذلك الوفد العربي خيفة ، وقبل ان ينزل الوفد الى بر الجزيرة كانت الاوامر قد صدرت الى قطع الاسطول الهولندي ان تقوم بتظاهرة بحرية وبهذه الحيلة احبط محاولة الشيخ مهنا .

وحين نقل بوخمان من منصبه وعين المسيو فان هاوتنغ حاكما للمخرج لم يكن هذا على علم بعادات العرب ونفورهم من الحكم الاجنبي ولذلك احتدم الخلاف بينه وبين الشيخ مهنا . وزاد من حدة ذلك الخلاف ان هاوتنغ لم يقف على الحياد في النزاع الذي نشأ بين الشيخ مهنا وحاكم ابي شهر اذ اتفق هاوتنغ مع حاكم ابي شهر وهاجم الشيخ مهنا في جزيرة [خاركوه] وقد استعمل الشيخ مهنا الحيلة والذكاء في هذه المعركة اذ سمح للقوات الهولندية والايرائية بالتوغل الى داخل الجزيرة ، ومن ثم انقض عليها بخيالته واعمل ورجاله السيف فيها ففر الهولنديون والايرائيون من الجزيرة ناجين بانفسهم تاركين قتلاهم وجرحاهم في ارض المعركة .

ولم يكتف الشيخ مهنا برد هذه لجملة الهولندية الايرانية المشتركة بل اتجه نحو جزيرة الخرج ذاتها فانزل قواته فيها وحاصر المدينة . ولم يجد الحاكم الهولندي هاوتنغ امامه الا ان يطلب المفاوضة . لكنه ما لبث بعد ان وصل الشيخ مهنا وبعض أتباعه الى مدينة الخرج ان نقض وعده وأمر باعتقالهم جميعا وارسالهم الى بتافيا وكان ذلك في كانون الاول سنة ١٧٦٥م

وقد تحدث الرحلة الدانمركي الشهير « نيبور » عن الشيخ مهنا واسرته فقال ان امارة ابي شهر كانت تحكمها ثلاث اسر عربية منها اسرة المطارفة التي ينتمي اليها الشيخ « نافر » الذي كان يمتلك جزيرة « ريج » الواقعة شمالي بو شهر وكان « كريم خان » الفارسي يدعى السيادة على هذه الجزيرة وقد اصطدم بالشيخ مهنا عدة مرات . وحدث ان وقع الشيخ مهنا اسيرا في يد كريم خان مرتين لكنه استطاع ان يفلت من الاسر وما ان وطأت قدماه شطآن بلاده حتى اخذ يهاجم القوافل الهولندية والايرائية ما بين شيراز وابي شهر .

وحاول كريم خان الاستيلاء على جزيرة ريج فبعث اليها باسطول حاصرها عدة ايام لكنه ارتد عنها خائبا .

وكرر كريم خان حملته بجيش قوي في سنة ١٧٦٥م استطاع به ان يحتل جزيرة ريح لكن الشيخ مهنا انتقل الى جزيرة [خاركوه] فلبث هناك الى ان انسحب الجيش الايراني من ريح فعاد اليها وطرد الحامية الايرانية الموجودة فيها واستعاد كل ممتلكاته فيها .

ومن القبائل العربية الاخرى التي قاومت الغزو الهولندي والفارسي والانكليزي معا قبيلة « الحولة » التي كانت تسكن الساحل الشرقي من الخليج العربي وفي المنطقة الممتدة من بندر عباس الى رأس بردستان وكان من اشهر زعماء هذه القبيلة هو الشيخ « مسير » الذي يقول نيبور عنه ان كان يملك مدن كونك ولنجه ورأس حتى وغيرها ، وان زعماء غيره من نفس القبيلة كانوا يحكمون نبند وبندر نخيلو وشيلو وكنكون وغيرها وقد كان الفرس في عهد هذه القبيلة محصورين في منطقة ضيقة جدا بين رأس بردستانى وبوشهر .

ومن القبائل الاخرى قبيلة بني كعب وقد اشتهر من زعمائها الشيخ سلمان بن سلطان بن ناصر الذي تصدى للانكليز وحاربهم واستولى على بعض سفنهم .

وقد استمر وجود الوكالة الهولندية في بندر عباس مدة خمس سنوات اخر بعد تأسيسهم وكالتهم في جزيرة الخرج . وفي شباط ١٧٥٩م اجبر الهولنديون على نقل وكالتهم من بندر عباس الى الخرج . وكانوا قبل ذلك التاريخ بسبع سنوات قد انسحبوا من البصرة . كما جلوا عن ميناء بوشهر في سنة ١٧٥٣م .

غير ان نهايتهم في جزيرة الخرج كانت في سنة ١٧٦٥م حين هاجمهم الشيخ مهنا في تلك السنة مجددا فاستطاع ان يهزمهم وان يطردهم من الجزيرة نهائيا ويضمها الى الاملاكة الواسعة .

لقد خرج الهولنديون من الخليج العربي بعد ان مكثوا فيه مائة وثلاثين سنة ليحل محلهم فيه غزاة جدد مثلهم هم الانكليز والفرنسيون وبذلك بدأت صفحة جديدة من صفحات الصراع الاستعماري الاوربي للسيطرة على الخليج وما يزرخ به من كنوز .

الفصل الخامس

التنافس بين فرنسا وبريطانيا وتركيا في الخليج

كان من اهم النتائج التي نجمت عن اكتشاف العالم الجديد ، القارتين الأمريكيتين واستراليا ، ان ازدادت موارد الدول الاوربية التي سارعت الى استعمار ذلك العالم الجديد ونعى بها اسبانيا وهولندا وفرنسا وبريطانيا . وقد ازداد التنافس بين هذه الدول حدة في سبيل الاستئثار بالموارد والمواد الاولية في تلك القارات واحتكار الطرق المؤدية اليها .

وفي الوقت الذي بلغ فيه هذا التنافس الاستعماري ذروته كانت الثورة الصناعية في جميع انحاء اوربا قد بلغت اوجها هي الاخرى بما اخترع من الآلات والمحركات التي أخذت تؤدي الخدمات الواسعة في النقل وفي الانتاج بدلا من الوسائط القديمة البالية ، حيث كانت هذه المخترعات تنزع الى توسيع مجالات العمل والنشاط وزيادة المنافع ومضاعفة التعاون بين الافراد بشكل لم يكن البشر يتوقعه ولا كانت عقول الناس مهياة لتقبله .

وبعد ان كانت اوربا تنشد الوصول الى الشرق للحصول على التوابل والعطور دفعت بها الثورة الصناعية الى البحث عن المواد الاولية اللازمة لتشغيل مصانعها ، والى ايجاد الاسواق الضرورية لتصريف الفائض من صناعاتها .

وهذا التطور الخطير في اغراض الدول الاوربية من الاستيلاء على الاقطار الاخرى احدث تطورا في وسائل تنفيذها فبعد ان كانت اوربا ترسل البعوث لاستكشاف طرق التجارة وتؤسس الشركات لاحتكار موارد الاقطار الاخرى، اخذت ترسل الجيوش الجرارة والاساطيل الهائلة للاستيلاء بقوة السلاح على البلدان التي تتوفر فيها المواد الخام او تلك التي تقع على الطرق المؤدية اليها .

حين حل القرن السابع عشر كان الشرق لا يزال يؤلف المذخر الهائل الذي تعتمد عليه اوربا في الكثير من المواد الاولية التي تحتاج اليها صناعاتها . وكانت البرتغال وهولندا تكادان تستأثران لوحدهما بتلك الموارد ، وبالبلدان التي تتوفر فيها . ولهذا رأينا فرنسا وبريطانيا تدخلان ميدان الصراع في الشرق في وقت واحد تقريبا ، وتنازلان البرتغال وهولندا على افراد تارة وعلى اشتراك تارة اخرى . ثم لا تلبثان ان تصطرعا فيما بينهما ، وقد تحالفا احدهما البرتغال مرة وتحالفا الاخرى هولندا مرة ثانية ثم تختصمان زمتا بعد التحالف والتعاون .

وبنفس النمط الذي سارت عليه هولندا وانكلترا من قبل ، اقدمت فرنسا هي الاخرى على تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية في مدينة « بوند شيري » في الهند . لكن انشاء الشركة الفرنسية جاء في وقت متأخر جدا عن الشركة الانكليزية التي سبقتها بأكثر من مائة سنة .

ولقد حمى وطمس التنافس على المستعمرات بين فرنسا وبريطانيا وتحول ذلك الى وقوع حرب السبع سنوات بينهما في اوربا التي نشبت سنة ١٧٥٦م . وفي اثناء تلك الحرب هجم الانكليز على مقر الشركة الفرنسية في بوند شيري واحتلوه ، وانتزعوا من الفرنسيين كل ما كان لهم من نفوذ في اقليم مدراس بالهند .

وقضت معاهدة باريس التي عقدت سنة ١٧٦٣ في أعقاب حرب السبع سنوات بسلخ كندا وبوند شيري عن فرنسا ومع ان الممتلكات الفرنسية في الهند قد اعيدت الى فرنسا الا ان النفوذ الفرنسي فيها لم يستطع الصمود بوجه النفوذ الانكليزي طويلا .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الوزير الفرنسي الخطير ريشيليو هو الذي انشأ شركة الهند الشرقية الفرنسية وكانت جزيرة مدغشقر هي المقر الرئيس لها . ثم اعقبه الوزير فرانسوا ماتان في انشاء فرع لها في

بوند شيري باقليم مدراس في الهند .

* * *

كانت مساهمة بريطانيا في حركة الاستكشاف التي بدأتها الدول الاوربية في اواخر القرن الخامس عشر ضعيفة . ولذلك فضلت بريطانيا الطرق البرية على المسالك البحرية في الوصول الى الشرق فاخذت منذ سنة ١٥٥٣م ترسل البعثات لاكتشاف هذه الطرق عبر اوربا وروسيا فتركستان فالهند . كما شرعت قبل ذلك الوقت بالمتاجرة مع تركيا والحصول على امتيازات منها وقد اعقب ذلك وصول اول سفير بريطاني الى الباب العالي سنة ١٥٧٨م وحصوله على اذن من السلطان مراد يسمح به للتجار الانكليز بدخول الاراضي التركية حيث تأسست في سنة ١٥٨٣م شركة الشرق للمتاجرة مع تركيا من قبل بعض التجار الانكليز وظلت هذه الشركة قائمة حتى سنة ١٨٢٥م . وقد اوفدت هذه الشركة من قبلها بعثة اجتازت سورية والعراق والخليج العربي ووصلت الى جاوا . والمعروف ان رجال هذه البعثة هم اول الانكليز المغامرين ، بعد الرحالين طبعاً ، الذين وطأت اقدامهم ارض العراق .

وفي تلك السنة ذاتها أي ١٥٨٣م بدأ اتصال بريطاني بالخليج العربي اذ قام اربعة من المغامرين الانكليز هم رالف فيج ، وجون نيوبري ، ووليم ديدز ، وجيمس ستري في برحلة من طرابلس في سوريا فانحدروا في نهر الفرات حتى مدينة الفلوجة ومنهبا انتقلوا الى بغداد فالبصرة ثم دخلوا الخليج العربي حتى وصلوا جزيرة هرمز وهناك القى القبض عليهم فنقلوا الى « غوا » في الهند حيث امضوا في الاسر فيها زمناً طويلاً .

وبعد انتصار بريطانيا على اسبانيا في معركة الارمادا سنة ١٥٨٨م تعاطف اهتمامها بالشرق بعد انفتاح طريق رأس الرجاء الصالح امام سفنها . ولذلك سارع بعض التجار الانكليز الى تأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية في الحادي والثلاثين من كانون الاول سنة ١٦٠٠م برأسمال قدره ٦٨٨٧٣ باون وجعلوا مركزها في مدينة « سورات » بالهند ومن هناك بدأ الاخطبوط الانكليزي يمد اصابعه الى الخليج العربي وايران والعراق وتركيا .

كانت جزيرة هرمز اولي النقاط التي وجه الانكليز انظارهم اليها في الخليج العربي ولذلك استعانوا بالعرب وبالفرس على محاربة البرتغاليين

واخراجهم من الجزيرة سنة ١٦٠٤م لكنهم ما لبثوا ان سلموها الى الفرس ، واتخذوا ميناء « جسك » على الساحل الشرقي من الخليج مقرا لهم بدلا من جزيرة هرمز ذاتها . وقد ازدهرت تجارتهم في هذا الميناء بفضل الاتفاق الذى عقده مع شاه ايران . وما حلت سنة ١٦١٥م حتى انشأ الانكليز لهم اول فرع لشركة الهند في ايران اتخذ « شيراز » مقرا له . ثم نقلوا مقرهم من جسك الى بندر عباس ومنه الى ابي شهر ومن هناك امتد نفوذ الشركة الى العراق اذ انشأت في سنة ١٦٤٠م مصنعا لها في البصرة وقد اشار الى هذا المصنع المستر جاكسون احد موظفي الشركة في الهند اثناء مروره بالعراق سنة ١٧٩٧م كما ذكره الرحالة نيبور ايضا .

والى جانب الوكالة التجارية في ابي شهر انشأ الانكليز لهم وكالة سياسية ايضا سنة ١٧٦٣م وقد تحولت هذه الوكالة فيما بعد الى دار للاعتماد ظلت قائمة في ابي شهر حتى سنة ١٩٤٦ حيث تم نقلها من هناك الى البحرين .

كان السر انطوني شيرلى من اقوى المغامرين الانكليز الذى استطاع ان يوطد النفوذ الانكليزي في ايران وفي الخليج العربي فقد اتصل هذا المبعوث ببلاط شاه ايران عباس الاول الذى تولى العرش في ١٥٨٧م وحاول اقتناعه بفكرة التحالف مع بريطانيا ضد التوسع التركي . واستطاع شيرلى بدهائه ان يجتذب قلب الشاه عباس اليه ويحمله على طرد السفير التركي من ايران وان يعلن بان ابواب ايران مفتوحة بوجه التجار الاوربيين وبذلك وضعت اولى اسس الامتيازات الاجنبية التي راحت ايران ضحيتها طيلة اكثر من اربعة قرون متوالية .

وعندما توفي انطوني شيرلى خلفه لدى الشاه عباس اخوه روبرت شيرلى الذى كان يقود جيش الشاه عباس واشترك في جميع الحملات التي شنها الفرس ضد الاتراك ما بين سنتي ١٦٠٢ و ١٦٢٧م . وكان روبرت هذا قد عاد الى بريطانيا سنة ١٦١١م وقابل الملك جمس وسلّمه رسائل الشاه عباس التي فتحت صفحة العلاقات بين بريطانيا و ايران .

وكان توماس الدورث اول وكيل لشركة الهند الانكليزية في الخليج العربي واليه يرجع الفضل في توسيع التجارة الانكليزية في كل من ايران والبحرين كما انه استطاع في سنة ١٦١٦م ان يحصل على امتياز من الشاه

عباس يسمح للانكليز بحرية التجارة في جميع انحاء ايران .
وكان المستر وليم كانوك هو الذي انشأ فرع الشركة في شيراز سنة
١٦١٥م كما استطاع كانوك نفسه ان يحصل في سنة ١٦١٧م على اذن من
الشاه عباس بالتبادل الدبلوماسي بين بريطانيا وايران ، وان يتعهد الشاه
بحماية القوافل التجارية الانكليزية ، واعفاء الرعايا الانكليز من ان يحاكموا
امام المحاكم الايرانية ، وان يسمح لهم بحمل السلاح .
لقد تطورت فعاليات شركة الهند الشرقية الانكليزية فلم تعد تتعامل
بتجارة التوابل والاصباغ والشاي كما كان امرها يوم انشائها بل اخذت
تستخدم السفن وتسليحها للقتال وتؤسس الجيوش للحروب . وقد تعاضم
امرها بعد ان سيطرت على الهند فلم يعد احد داخل بريطانيا ولا خارجها
يستطيع ان يتحدى اوامر هذه الشركة التي اخذت تتحكم حتى بمصائر
بريطانيا ذاتها .

وعندما اصطدم الانكليز بالبرتغاليين لأول مرة في الخليج العربي وذلك
في اول موقعة حدثت بينهم قرب ميناء جسك التي انتصر فيها الانكليز ،
اخذ الشاه عباس الاول يستعين بشركة الهند الانكليزية لمهاجمة البرتغاليين
في جزيرة هرمز .

وقد ترددت الشركة بادىء ذي بدء لكنها ما فتئت ان وافقت على منازل
البرتغاليين اذا ما وافق الشاه على الشروط التالية :

- ١ - تقسيم الغنائم بالتساوي بين الشركة والشاه .
- ٢ - تقسيم اسرى الحرب حسب الاديان أي ان يسلم المسيحيون للانكليز
والمسلمون للفرس .
- ٣ - تسليم القلعة البرتغالية في هرمز بما فيها من اسلحة وذخيرة الى
الانكليز على ان يسمح للفرس باقامة قلعة لهم في الجزيرة .
- ٤ - تقسيم عوائد الكمارك والمكوس في الجزيرة مناصفة بين الانكليز
والفرس .

٥ - اعفاء التجارة الانكليزية في هرمز من الضرائب .
وعلى هذا الاساس حاصر الاسطول الانكليزي الجزيرة مما اضطر
قائد الحملة البرتغالية فيها الى الاستسلام للانكليز في الثاني والعشرين
من كانون الثاني سنة ١٦٢٢م .
وقد احتجت اسبانيا التي كانت قد ضمت البرتغال اليها على هذه

الاعمال التي قامت بها شركة الهند الانكليزية لكن الشركة سارعت في تقديم رشوة الى جمس الاول ملك بريطانيا قيمتها عشرة الاف باون استرليني كما قدمت مبلغا مماثلا الى دوق بكنغهام قائد البحرية الانكليزية . هذا مع العلم ان حصة الشركة من الغنائم البرتغالية في تلك المغامرة لم تزد على خمسة وعشرين الف باون .

وبمساندة من الانكليز اخذت جيوش الشاه عباس الاول تجلو الاتراك عن كثير من اراضي ايران بل ان الجيوش الايرانية استولت على بغداد نفسها سنة ١٦٣٣م واعقب ذلك احتلالها لاجزاء واسعة من العراق سنة ١٦٣٨م لكن الفرس مع ذلك اخفقوا في الاستيلاء على البصرة نظرا للمقاومة المشرفة التي ابدتها الوالي العثماني ومساندة البرتغاليين له في ذلك . وقد استعاد الاتراك بغداد سنة ١٦٣٨م واجبروا الفرس على توقيع معاهدة ١٦٣٩م التي خطت الحدود بين تركيا وايران .

وكان الانكليز منذ اتفاقهم مع الشاه عباس سنة ١٦٢٢م قد وضعوا بارجتين حربيتين كانت تجوب مياه الخليج العربي باستمرار تاكيدا للنفوذ الانكليزي فيه . وحين مات الشاه عباس الاول سنة ١٦٢٩م فقد الانكليز بمرته عضدا قويا لهم فاستغل الهولنديون ذلك الوضع وقدموا رشاوى كبيرة الى الحكومة الايرانية ، واخذوا يضايقون الانكليز في ايران حتى اضطروهم الى ان ينقلوا وكالتهم من بندر عباس الى البصرة سنة ١٦٣٩م .

وتعقب الهولنديون الانكليز الى البصرة ذاتها فبعثوا اليها بشماني سفن تحمل الكثير من البضائع . وقد افرغت هذه السفن الهولندية حمولتها في البصرة في منطقة « مناوي الباشا » فاغرقت بها الاسواق وكادت تقضي على التجارة الانكليزية هناك . وكان هذا التنافس من الاسباب الرئيسية التي أدت الى وقوع المزيد من الحروب بين هولندا وانكلترا في السنوات ١٦٥٢ - ١٦٦٧م . وقد انتهت هذه الحروب بالمصالحة بين الدولتين وتحالفهما للوقوف بوجه فرنسا ومطامع لويس الرابع عشر التي حطمت النفوذ الهولندي في الخليج حيث انسحب الهولنديون من البصرة سنة ١٧٥٣م ومن بندر عباس سنة ١٧٥٩م وبذلك صفا الجو لبريطانيا في الخليج كله .

بدأت فرنسا تنازل بريطانيا في الهند وفي ايران . ففي سنة ١٦٢٦م بعث البرزير ريشيليو ممثلا عنه الى بلاط شاه ايران . واعقب ذلك ارسال وفد فرنسي الى الشاه عباس الثاني استحصل منه على اذن باعفاء السلع

الفرنسية من الرسوم ، وتمتع فرنسا بذات الحقوق والامتيازات الممنوحة الى الدول الاوروبية الاخرى . وعلى اثر ذلك انشأ الفرنسيون لهم مركزين تجاريين في ايران احدهما في اصفهان والثاني في بندر عباس وقد تخلى الفرنسيون سنة ١٧١٢م عن مركزهم في اصفهان .

وعندما وقعت حرب السبع سنوات بين بريطانيا وفرنسا بعث الفرنسيون الى الخليج العربي باربع سفن كانت تحمل العلم الهولندي ويقودها الاميرال [ديتانغ] فهاجمت تلك السفن مقر الوكالة التجارية الانكليزية في بندر عباس ودمرته .

كذلك انشأ الفرنسيون لهم في سنة ١٧٥٥م وكالة تجارية في البصرة تحولت سنة ١٧٦٥م الى قنصلية عامة . كما اسس الفرنسيون لهم في البصرة معملا تحدث عنه نيبور في رحلته الشهيرة .

وقد اشتدت الحرب بين فرنسا وانكلترا في الخليج العربي بعد حملة نابليون على مصر ومحاولته الوصول الى الهند .

اما الانكليز فقد بدأ اتصالهم بالعراق والوصول الى البصرة بصفة خاصة في الفترة ما بين ١٦٣٥-١٦٣٩م . فقد استغلوا فرصة طرد البرتغاليين من البصرة فانشأوا لهم فيها مركزا تجاريا سنة ١٦٤٣م كما نقلوا مركزهم في بندر عباس اليها في سنة ١٦٤٥م .

وحين زار الوالي العثماني على العراق ، علي باشا ، مدينة البصرة سنة ١٧٦٣م شكوا اليه وكيل شركة الهند الانكليزية مما تلاقه الشركة من متاعب على يد قبائل كعب التي كانت تهيمن على مداخل الخليج العربي وشط العرب وحتى البصرة .

وقد اغرت الشركة على باشا بالرشاوى فاندفع هذا يدافع عن مصالحها وقد اعد قوات نقلتها سفن الشركة ذاتها فهاجمت تلك القوات بني كعب وانتصرت عليهم واسرت عددا منهم .

وحين وصلت هذه الانباء الى حكومة بومباي بعثت هذه باسطول مؤلف من ست سفن توجّهت سنة ١٧٦٦م لتأديب قبائل بني كعب . وارسل والي بغداد عمر باشا هو الاخر قوة كان يقودها وكيله محمّد اغا وحاول الانضمام الى قوات الشركة لكن العرب استطاعوا ان يصمدوا امام القوة التي هاجمتهم برا ، وان يحرقوا سفينتين انكليزيتين وتسعا من السفن التركية ، وان يحققوا لهم نصرا مؤزرا ضد الانكليز والاتراك معا .

ومنذ ذلك الوقت توثقت العلاقات بين ولاية العراق من الاتراك وشركة الهند الانكليزية التي كانت تدفع الرشاوى الكثيرة الى الولاية الذين يخدمون مصالحها ، وتعضد مطالبهم لدى الباب العالي ، وتتستر على سرقاتهم وفضائحهم ، من امثال سليمان باشا الكبير والي بغداد الذي ساعدته الشركة في الحصول على الولايات الثلاث . وكانت الشركة بالاضافة الى ذلك تقرضه ما يحتاج اليه من اموال وتتولى حتى عملية تحويل المبالغ التي يرسلها الى حكومة الاستانة ، وتستورد له الاسلحة والمعدات ، وتستقدم له الخبراء العسكريين والمدربين .

وبينما كان الولاية الاتراك في العراق في هذا الوقت يتعاونون مع الانكليز ويحالفونهم كان العرب في جميع مناطق الخليج يهاجمون السفن الانكليزية والهولندية والايرائية سوية . بل ان العرب اخذوا في تلك الفترة يهاجمون سواحل اقليم مدراس الهندي نفسه .

* * *

كان نابليون بونابرت اخطر منافس ارتطمت به بريطانيا سواء في اوربا ام في الشرق فقد هاجم نابليون مصر واحتلها ليقطع خط الرجعة على بريطانيا في الشرق ، ولينتزع الهند ، ذرة الامبراطورية البريطانية الثمينة ، من يدها .

وحينما احتل نابليون مصر كلها في اوائل سنة ١٧٩٩م اخذ من هناك يبعث برسله ورسائل الى بعض امراء العرب في الخليج العربي وبعض رؤساء الهنود . ومن تلك الرسائل رسالتاه الشهيرتان الى امام مسقط والى احد امراء الهنود الناقمين على الاحتلال الانكليزي لهند وهذا نصهما :

القاهرة في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٧٩٩

الى امام مسقط

اكتب اليك لاعلمك بوصول الجيش الفرنسي الى مصر . وبما انك كنت على الدوام حافظا لولائنا فكنا واثقا من رغبتنا في حماية السفن التي ترسلها الى السويس . الرجاء ايصال الكتاب المرسل طي كتابك هذا الى « تيبو صاحب » في اول فرصة .

الامضاء بونابرت

الى تيبو صاحب

لابد وقد بلغك نبأ وصولي الى سواحل البحر الاحمر على رأس جيش جرار لا يغلب . اود ان اسمع أخبار الوضع السياسي الذي أنت فيه ، وارغب في ان ترسل الى السيريس رجالا ذوي جدارة تتق بهم للمداولة معهم .
الامضاء : بونابرت

وفي الوقت ذاته دخل نابليون في مفاوضات مع بولس الاول قيصر روسيا فاتفقا في سنة ١٨٠٠م على ان يسير كل منهما بجيشه الى « باكو » ومن هناك تعبر جيوشهما مشتركا بحر قزوين الى استراباد ومشهد ثم هرات لكن هذه الخطة لم يكتب لها التنفيذ بسبب اغتيال قيصر روسيا واضطرار نابليون الى العودة الى فرنسا .

واعد نابليون خطة اخرى في الوصول الى الشرق وذلك بالاتصال بالناقمين على الانكليز من امراء الهند ، وسلوك طريق الفرات الى العراق والانحدار نحو البصرة وتحصينها ، واتخاذها مقرا لجيوشه ولتدابيره السياسية والعسكرية . ولتنفيذ هذه الخطة قام بمفاوضة الاتراك وشاه ايران ايضا .

وظل شاه ايران مترددا ، بين الاتفاق مع فرنسا ضد روسيا وبين الاتفاق مع بريطانيا ضد فرنسا .

وحين نشبت الحرب بين ايران وروسيا سنة ١٨٠٤م وافق الشاه على الاتفاق مع فرنسا لقاء تعهد منها بان تساعد على استعادة « جيورجيا » من روسيا ، وان تمده بالمؤن والمعدات .

وفي سنة ١٨٠٧م بعث شاه ايران بالمرزا رضا ممثلا عنه الى فرنسا ليقوم على معاهدة « فنكنشتاين » التي وافق فيها الشاه على ان يضم قواته الى القوات الفرنسية لافتتاح الهند .

وعلى اثر توقيع هذه المعاهدة وصلت ايران بعثة فرنسية عسكرية مؤلفة من سبعين ضابطا يقودها الجنرال « غاردان » لتدريب الجيش الايراني على الاساليب الحربية الاوربية وذلك استعدادا للحملة التي كان نابليون يعدها للهجوم على الهند .

واتصلت فرنسا في ذات الوقت بسultan مسقط لحمله على الاتفاق معها لكن السلطان حصر نطاق البحث مع الممثل الفرنسي على الشؤون

التجارية خوفا من الانكليز الذين سبق له ان تعهد لهم بعدم الاتفاق مع الفرنسيين .

وبعد التوقيع على معاهدة « تلسنت » سنة ١٨٠٧م بين فرنسا وروسيا غير نابليون خطته السابقة ، وقرر ارسال جيش فرنسي عبر النمسا والدانوب فالبحر الاسود ، بينما يتجمع الجيش الروسي في استراخان ويسير منها عبر قزوين الى استراباد ليلحق به الجيش الفرنسي هناك ، ثم يسير الجيشان سويا الى مشهد وهرات وغزنة وقندهار حتى يبلغا السند .

لكن خطط نابليون هذه تبددت ادراج الرياح بعد ان هوى نجمه واعتقل في جزيرة سنت هيلانة . وقد استفادت بريطانيا من خطته تلك فسيطرت على الطرق الرئيسية الثلاث التي تربطها بالهند ، وهي طريق البحر الاحمر ، وطريق هرات في افغانستان ، وطريق الفرات فالتخليج العربي . فقد احتلت جزيرة « بريم » في مضيق عدن ثم انتقلت منها الى عدن ذاتها . اذ كانت عدن تعتبر المفتاح الجنوبي للبحر الاحمر ويمكن السيطرة منها على مداخل التخليج العربي من الجنوب ، والمحيط الهندي ، وزنجبار وشرقي افريقيا في وقت واحد .

واذ ادركت بريطانيا هذه الاهمية التي تتمتع بها عدن في تنفيذ مخططاتها الاستعمارية حاولت في سنة ١٨٣٣م ان تشتري لها مقرا في عدن من سلطان تركيا لكن المفاوضات مع الباب العالي في هذا الشأن قد توقفت واخيرا استولت بريطانيا على عدن بالقوة في السادس عشر من كانون الثاني سنة ١٨٣٩م ثم امتدت سيطرتها الى المكلا والشحر كما اعادت احتلال جزيرة بريم وجزيرة سقطرة للمرة الثانية واخضعتهما لحمايتها نهائيا في سنة ١٨٨٦م .

وكانت مسقط من الموانئ الهامة الاخرى في التخليج العربي التي وجهت بريطانيا انظارها اليها منذ زمن طويل ، ذلك لان استيلاء اية دولة اخرى على مسقط يمثل تهديدا مباشرا للهند نظرا لقصر المسافة بين مسقط وكل من بومباي وكراچي وجسك وغيرها . ولذلك بدأت بريطانيا تمهد لاحتلال مسقط عن طريق عقد المعاهدات والاتفاقات مع امام مسقط . وكانت اولى تلك المعاهدات هي المعاهدة الموقعة في الثاني عشر من تشرين اول سنة ١٧٩٨م بين سلطان بن سعيد امام مسقط وعمان وبين المرزا مهدي علي خان بهادور ممثل شركة الهند البريطانية . وقد نصت هذه المعاهدة على منع

الفرنسيين والهولنديين من اقامة اي مركز لهم في مسقط ، وعدم السماح للسفن الفرنسية بالدخول الى الموانئ المسقطية ، وان يستعين امام مسقط بمشورة موظف بريطاني يقيم في مدينة مسقط ذاتها . لكن الفرنسيين مع ذلك حاولوا الاتصال بسطان مسقط واجتذابه الى جانبهم . وما ان علمت بريطانيا بذلك حتى اوفدت - عن طريق حكومة الهند - الكابتن مالكولم الذي اجتمع مع سلطان مسقط ، في جزيرة هرمز في اوائل سنة ١٨٠٠م وعدهه بغلق موانئ الهند والخليج بوجه السفن المسقطية ، واذ ذلك اضطر السلطان الى توقيع اتفاقية جديدة مع الانكليز في الثامن عشر من كانون الثاني سنة ١٨٠٠م تمنحهم حق تأسيس وكالة سياسية لهم في مسقط . وامعن سلطان مسقط في الخنوع لتهديدات الانكليز ففتح البلاد لهم الى درجة ان الجيش المسقطي كان يتألف في الدرجة الاولى من جنود انكليز واخرين من الهنود والفرس . وكان قائد هذا الجيش انكليزيا بل ان وزيرى المالية والخارجية في حكومة امام مسقط كانا من الموظفين الانكليز ايضا .

* * *

كان الوضع في الخليج العربي في اواخر القرن الثامن عشر على اسوأ ما يكون بالنسبة الى العرب والسيادة العربية فيه . وسبب ذلك يعود الى ان المشيخات والامارات العربية التي ظهرت في الخليج منذ اوائل ذلك القرن كانت متنافرة متناحرة فيما بينها تكيد الواحدة منها للآخرى وتحالف حتى مع الاعداء ضدها . فقد رأينا كيف تحالف بعض العرب مع البرتغاليين ضد اخوانهم العرب . كما حالف غيرهم الفرس والانكليز والفرنسيين والهولنديين . ولم تستطع هذه الامارات والمشيخات العربية ان تتوحد في دولة واحدة لاسباب عدة منها :

- ١ - وجود التنافس المستمر بين هذه الامارات واغارة الواحدة منها على الاخرى .
- ٢ - لم تكن تشكيلات القوى لهذه الامارات تعتمد على القوة البحرية وحدها بل كانت لديها قوى برية ايضا ، وهذا الوضع قد خلق لها الكثير من المشاكل سيما وان السفن العربية لم تكن مجهزة بالمدافع كما هو شأن السفن الاوروبية .
- ٣ - عدم ظهور امارة قوية تستطيع ان تفرض سلطانها على الامارات الاخرى وتوحدتها في دولة واحدة .

كانت الحركة الوهابية التي اسسها محمد بن عبد الوهاب قاضي المدينة المنورة والمولود سنة ١٧٠٢م قد اخذت تظهر بمظهر القوة الجارفة التي بدأت بالدعوة الى الاصلاح اول الامر ثم انتهت باستعمال السلاح لفرض هذه الدعوة بالقوة على الآخرين .

وقد تحالف محمد بن عبد الوهاب سنة ١٧٤٥م مع محمد بن سعود امير الدرعية لافتتاح جزيرة العرب . ولم تأت سنة ١٨٠٥م حتى كانت شبه جزيرة العرب وجزءا كبيرا من اليمن وعمان تخضع لحكم آل سعود . وفي الوقت الذي كان فيه السعوديون يوسعون نطاق مملكتهم ويتجهون نحو سواحل الخليج العربي كانت هناك قبيلة اخرى من القبائل العربية هي قبيلة « القواسم » العراقية الاصل قد شرعت تتحفظ للانقضاض على الغزاة الاجانب من انكليز وهولنديين وغيرهم في ساحل مسقط وعمان . وكانت قبيلة القواسم هذه تسكن ساحل عمان وتواصل غاراتها على جميع السفن الاجنبية وتسلبها ما تحمله من اموال . وقد امتد نفوذها الى مناطق واسعة من الخليج العربي فكانت لها مراكز في الخرج ولنجه و « لاف » . كما انها تحكمت بمدخل الخليج ومراكز التجارة فيه ، ودخلت في صراع مرير مع سلطان مسقط وعمان .

والمتفق عليه ان المنزل الاول للقواسم - وهم قبيلة عربية نزحت من سامراء بالعراق الى جزيرة العرب - كان في جلفار ، الا ان شيخهم رحمة بن مطر بنى له خيمة في مكان مرتفع على الساحل . وكان يضع في تلك الخيمة ضوءا يراه البحارة من بعيد فسمي ذلك المكان باسم رأس الخيمة . وقد ظل القواسم زمنا طويلا يتجنبون التعرض للسفن الانكليزية التي كانت تسيرها شركة الهند البريطانية لكنهم هاجموا هذه السفن لاول مرة سنة ١٧٩٧م ولكي لا يغضبوا بريطانيا قدموا الى وكيل الشركة في البصرة اعتذارا عن الحادث الذي وقع منهم .

وبعد ان اعتنق القواسم المذهب الوهابي وتحالفوا مع السعوديين وجدوا ان قوتهم قد تضاعفت ولذلك شرعوا بمهاجمة السفن الانكليزية الى جانب السفن الاجنبية الاخرى ومن هنا ازدادت عظمة القواسم وذاع صيت زعيمهم سلطان بن صقر الاول الذي حمل لقب امام الغافية واتخذ « الشارقة » عاصمة له ، واحتل جزيرة قشم وميناء لنجه ، ودخل في حروب مستعرة مع الانكليز ولاسيما سنة ١٨٠٣م .

كان من امر استفحال القواسم ان كتب المستر مانستي وكيل شركة الهند الانكليزية في البصرة الى حكومة الهند يعلمها ان خطر العرب في الخليج اصبح اشد واقوى عليها من خطر الفرنسيين . وطبقا لذلك جردت بريطانيا اول حملة عسكرية كبيرة لها ضد القواسم في اوائل سنة ١٨٠٥م واستعانت بريطانيا في ذلك ، كالعادة ، بالخونة والعملاء من الحكام العرب ، وكان منهم حينذاك بدر بن سيف امام عمان ، وسعيد بن سلطان حاكم مسقط .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المضمار ان سلاطين عمان كانوا من الاصل متحالفين مع الانكليز ضد القواسم ، وان سيف والد بدر كان قد قتل في احدى الغارات التي قام بها ضد القواسم .

كانت جزر الخرج وقشم وهرمز وغيرها تخضع لنفوذ القواسم وقد تزعم المندوب البريطاني « سيستون » الحملة الانكليزية ضد القواسم فحاصر هذه الجزر ثم توصل في شباط سنة ١٨٠٦م الى توقيع الهدنة معهم .

ولم يشأ القواسم ان يرضوا بتلك الهدنة فما لبثوا في سنة ١٨٠٨م ان اغاروا من جديد على السفن الانكليزية وطلبوا الى حكومة الهند ان تدفع الضرائب الى حكومة رأس الخيمة مقابل السماح لها بحرية التجارة في الخليج . وقد استولى القواسم على احد الطرادين اللذين كانا يحرسان بعثة الكابتن مالكولم الى ايران .

وبتحرير من المندوب سيستون نفسه جردت بريطانيا في ايلول سنة ١٨٠٩م حملة جديدة على القواسم كان يقودها الجنرال « نرايت » . وقد صدرت الاوامر الى هذه الحملة بان تنفذ ما يلي :

١ - تدمير مراكز القواسم واعادتها الى سلطان مسقط سعيد بن سلطان ، وتجنب التصادم مع الوهابيين .

٢ - التعاون مع الحكومة الايرانية والاعتراف بسيادتها على الساحل الشرقي من الخليج وذلك لضمان طرد القواسم من الخرج ولنجة ولافت وغيرها

٣ - البحث عن انسب جزيرة في الخليج لاقامة قاعدة عسكرية بريطانية فيها .

خرجت هذه الحملة من بومباي في اواخر تشرين الاول سنة ١٨٠٩م وهي تتألف من ثلاث سفن حربية وثلاث سفن اخرى لحمل المعدات . وبعد

إن توقفت قليلا في مسقط أخذت تطوف سواحل الخليج دون ان تغامر بانزال احد من جنودها مخافة الاشتباك مع القبائل العربية لاسيما الوهابيين . كما انها لم تهاجم حصون القواسم في ساحل عمان وقد عادت ادراجها الى بومباي في كانون الثاني سنة ١٨١٠م .

انار تصرف قائد الحملة البريطانية غضب سعيد بن سلطان حاكم مسقط الذي كان يتوقع ان تتدخل بريطانيا تدخلا فعليا لمصلحته ضد القواسم ، وهو الذي ظل يستنجد بحكومة الهند سنوات عديدة ضدهم . ولقد هادن القواسم انكلترا فعلا بعد تلك الحملة ، فوقفوا تعرضهم للسفن الانكليزية في الخليج ، وتجنبوا الاصطدام بها . لكن هذه الهدنة الطوعية التي فرضها القواسم على انفسهم تجاه بريطانيا انتهت في سنة ١٨١٢م عندما شرعوا بهجمة السفن الانكليزية وحتى سفن الامارات العربية المتحالفة مع الانكليز او الفرس . ولم يكتف القواسم بذلك وحده بل اخذوا يطالبون شركة الهند الانكليزية بان تدفع لهم الضرائب لقاء مرور تجارتها في الخليج . وقد وجدت حكومة الهند نفسها مضطرة الى قبول مطالبهم وهكذا عاد السلام الى الخليج ثانية حتى سنة ١٨١٤م حيث تجددت المصادمات معهم مرة اخرى الامر الذي دفع ببريطانيا الى ان تدخل معهم خلال سنتي ١٨١٥-١٨١٦ في مفاوضات معقدة قام بها المستر بروس ممثل شركة الهند الانكليزية في « ابي شهر » . لكن القواسم تصلبوا في مواقفهم ولم يقبلوا بأي من المطالب البريطانية .

عندئذ اخذت فكرة استعمال القوة ضد القواسم تجد لها انصارا عديدين حتى داخل بريطانيا ذاتها . وقد كان المستر ديلوك القائم بالاعمال البريطاني في طهران على رأس القائلين باستعمال القوة لتحصل بريطانيا على نفوذ لها جنوبي ايران مثلما فعلت روسيا فانتزعت من ايران عدة مناطق في الشمال بمقتضى معاهدة غولستان سنة ١٨١٣م . وبعد مداولات بين حكومات بومباي وكلكتا ولندن ، استقر الرأي في نيسان سنة ١٨١٩ على مايلي :-

١ - احترام الاوضاع السائدة في الخليج العربي فلا تتدخل بريطانيا لمساندة اي من الرؤساء العرب الا اذا طلب اليها ذلك ، والا اذا كان مثل هذا الطلب مشروعا ؟ . وعلى هذا الاساس لم توافق بريطانيا على تسليم جزر البحرين الى حاكم مسقط .

٢ - ينبغي لحكومة الهند ان لاتشجع الاتراك على بسط نفوذهم في الخليج بعد ان استولى ابراهيم باشا بن محمدعلي باشا الكبير على نجد والمناطق التي يحتلها الوهابيون .

٣ - ضمان حرية الملاحة في الخليج ، والاتفاق مع القبائل العربية على تفتيش السفن فيه ، واختيار رأس الخيمة لاقامة قاعدة بريطانية فيها بدلا من جزيرة قشم .

وتنفيذا لهذه القرارات خرجت حملة بريطانية جديدة من بومباي في الثالث من تشرين الثاني ١٨١٩ تتألف من ست سفن حربية وعدد آخر من السفن الصغيرة عليها ثلاثة الاف بحار .

كان الجنرال وليام غرانت كبير هو قائد تلك الحملة التي وصلت الى رأس الخيمة في اوائل كانون الاول من تلك السنة . ورغم التفاوت الواسع في القوة بين الانكليز الغزاة والعرب المدافعين فقد اظهر القوسم بسالة نادرة في الدفاع عن رأس الخيمة التي حاصرها الغزاة وظلوا يمطروها بقنابل مدافعهم ستة ايام متوالية .

لم تنسحب قوات هذه الحملة بعد ان دمرت الموانئ العربية في تلك الاصقاع ، بل انها انزلت رجالها على الشاطئ واقامت لها حاميات كان معظمها في رأس النجمة . وشرع الاسطول البريطاني يقوم بعملية مسح وتمشيط للقسم الجنوبي من الخليج العربي بحثا عن الفدائيين العرب المختبئين في غوره وشطآنه .

احدثت هذه الحملة البريطانية تطورا هائلا ليس في وضع الخليج العربي وحده حسب بل وفي الشرقين الادنى والاوسط معا ذلك انها مهدت لبريطانيا عقد معاهدات مع رؤساء الامارات العربية على سواحل الخليج حققت لها بسط سيادتها على اولئك الرؤساء والمناطق التي كانوا يحكمونها (١) .

كان من بين تلك المعاهدات المعاهدة التي وقعها الجنرال كبير مع الشيخ صالح بن صقر رئيس القواسم التي تضمنت الشروط التالية :

١ - يتعهد شيخ القواسم بتسليم السفن الحربية الموجودة في رأس الخيمة ، والشارقة ، وابي ظبي ، ولا يحق له سوى الاحتفاظ بمراكب

(١) راجع ملحق المعاهدات والاتفاقات في آخر الكتاب

• الصيد

- ٢ - يتعهد الانكليز بعدم الدخول الى الاحياء العربية بقصد تدميرها •
- ٣ - يعيد العرب ما لديهم من اسرى الانكليز •
- ٤ - يوافق القواسم بعد تنفيذ هذه الشروط ، على توقيع معاهدة شاملة مع بريطانيا •

وقد وقعت هذه المعاهدة فعلا في الفترة ما بين السادس والحادي والعشرين من كانون الثاني سنة ١٨٢٠م •
كتب الكابتن جون مالكولم في مذكراته عن القواسم يقول « انهم ينتسبون الى الطائفة الوهابية • ليحمننا الله منهم !! انهم مخيفون مهنتهم الحرب ولذتهم القتل » •

ويقول جاك بيربي في كتابه « الخليج العربي » عنهم انهم من « معاقلمهم التي لا تغلب في الشارقة ورأس الخيمة استطاع القواسم ان يتركوا عيش البريطانيين طيلة قرن من الزمان ••••• ولكن ما قاموا به من تخريب ارغموا البريطانيين على ان يوجهوا الى الخليج حملات اكبر فاكبر دون فائدة تذكر •••••

كان القواسم اثناء الهجوم يرقصون ويهزجون ويرددون اناشيد الموت • وهم يشهدون مختلف انواع الاسلحة ••••• وكانوا يبعثون الرعب والهلع بشجاعتهم •••••

ولم يمتنع الانكليز انفسهم عن استعمال اقصى حدود القسوة والوحشية مع القواسم وغيرهم من العرب الذين تصدوا لهم •
ففي حملتهم الاخيرة على القواسم هدم الانكليز مدينة رأس الخيمة بعد ان ظلوا يرمونها بالقنابل ستة ايام بلا انقطاع ثم حرقوا الاسطول القاسمي وفعلا نفس الشيء بجميع المعامل التي كان القواسم يحتفظون بها في الخليج •

وممن اشتهر في تلك الفترة من الفرسان العرب في مطاردة السفن الاجنبية واغتصابها المغامر رحمة بن جابر الذي اتخذ مقره في خور حسان والكويت • فقد ظل رحمة هذا يخيف الانكليز والفرنسيين في المنطقة العليا من الخليج مدة عشرين سنة كاملة •

قال عنه السر ارنولد ولسون حاكم العراق السياسي في بداية الاحتلال البريطاني للعراق بعد الحرب العالمية الاولى في كتابه « الخليج الفارسي »

« لن يكون البحث عن هذه الفترة تاما ما لم يشر الى البحار المغامر رحمة بن جابر الذي سكن جزيرة « القرين » في الكويت وبقي عشرين سنة بعد ١٨٠٠م يثير الرعب في تلك المياه وربما كان من انجح المغامرين الذين عرفتهم البحار . وقال عنه الرحالة الانكليزي الشهير بكنغهام في كتابه « رحلات في آشور وميديا وفارس » ان « هذا المحارب البارع كان يعيش عيشة بسيطة . فهو لا يرتدي سوى اليسير من الثياب ولا يستطيع احد ممن لا يعرفه ان يميزه عن بقية رفاقه اذا ما سار معهم . وقليل ما كان يخلع قميصه ليغسله . . . وهو رجل نحيل الجسم ، نحيف الاطراف ، تملأ بدنه آثار الجراح اما وجهه فقاس مخيف خال من الجمال يزيد في قبحه فقده انه احدى عينيه وكثرة الجروح في وجهه » .

وكان لرحمة بن جابر رجاله الاوفياء له التابعون لظله ، المنفذون لاوامره . وكان عددهم زهاء ألفي رجل جلهم من الافريقيين . وقد شن آل خليفة عند عودتهم الى البحرين سنة ١٨١١ حملة ضد رحمة بن جابر في موقعة خكيكرة التي هلك فيها زهاء الف رجل . في احدى الحملات الواسعة التي شنها الانكليز ضد رحمة ورجاله كان هذا المغامر قد وقع وسط دائرة مغلقة وما ان علم ان الدائرة ستدور عليه حتى اتجه بمركبه نحو سفينة القائد البريطاني ليرطم بها وينسف المركب والسفينة ويهلك معظم من كان فيهما . وقد كان هو نفسه من بين المهلكي .

* * *

تركز الصراع الاستعماري الان في الخليج بين فرنسا وبريطانيا في مسقط واتخذ شكلا خطيرا راح يندر الدولتين بوقوع حرب جديدة بينهما في مياه الخليج ذاته .

ولقد هدأ هذا الصراع بصفة ظاهرة بعد توصل الدولتين الى اصدارهما تصريح سنة ١٨٦٢م الذي تعهدتا فيه باحترام استقلال مسقط ، وتمتعهما بمركز متكافئ فيها ، وحماية سفنهما وتجارتهما التي تمر بذلك الميناء ومياهه . لكن كلا من الدولتين كانت تكيدهم للاخرى سرا وتحاول ان تشتري ذمم اكبر عدد من المتنفذين في مسقط فبينما كان الفرنسيون يمنحون بعض البحارة العرب اجازات بحمل العلم الفرنسي على سفنهم للتخلص من رقابة الانكليز واعمال التفتيش التي كانوا يقومون بها في الخليج ، كان الانكليز من الناحية الثانية يغدقون المساعدات المالية على سلطان مسقط لكي يظل اكثر

طوعا في ايديهم وليحرضوه ضد الفرنسيين والخارجين عليهم من العرب
ايضا .

كان تركي بن سعيد الذي تولى سلطنة مسقط سنة ١٨٧١ في مقدمة
الذين مهدوا لتغلغل النفوذ الانكليزي في مسقط . فقد استنجد هذا السلطان
بالانكليز ضد القواسم وغيرهم من القبائل العربية المناهضة لحكمه وكانت
الحكومة الانكليزية تدفع له منحة مالية قدرها اربعون الف كراون في السنة .
وحين توفي تركي خلفه ابنه فيصل سنة ١٨٨٨م لكن الحكومة
البريطانية لم تعترف به الا في سنة ١٨٩٠م وبعد ان استسلم نهائيا لها في
كل شأن من شؤون مسقط . ولقد ظهر ليفصل منازع قوى على العرش
هو السيد عبدالعزيز وهو من نفس عائلة آل سعيد . لكن الانكليز خدلوا
عبدالعزیز بعد اتفاقهم مع فيصل فارغموه على مغادرة مسقط الى الهند حيث
بقي فيها لاجئا سياسيا حتى وفاته .

ولقد ثارت مخاوف بريطانيا عندما اقدمت فرنسا على تزويد سكان
صور بالاعلام والوثائق الفرنسية التي يحملونها على سفنهم ، وحين عينت
فرنسا لها نائب قنصل في مسقط . ولذلك صدرت الاوامر الى الاسطول
الانكليزي بان يوقف حتى السفن الفرنسية اذا كان يشك بانها تحمل العبيد
من افريقيا واحتج نائب القنصل الفرنسي في مسقط على هذا الاجراء لكن
الحكومة البريطانية رفضت احتجاجه ذلك . وقد استطاع نائب القنصل
الفرنسي في مسقط ويدعى (اوتافي) ان يؤثر على السلطان فيصل بن تركي
ويقنعه بمنح ميناء « بندر جيزة » في مسقط ليكون مخزنا للوقود يتزود منه
الاسطول الفرنسي ، وما ان علمت بريطانيا بذلك حتى ثارت ثائرتها فامطرت
الحكومة الفرنسية بالاحتجاجات المتوالية والاندازات الشديدة . وقد ظل
السلطان فيصل يتذبذب في مواقفه من الانكليز والفرنسيين ازاء هذه
الحوادث واخيرا وجهت الحكومة البريطانية مذكرة الى السلطان فيصل بن
تركي تطلب اليه القيام بالامور التالية :

- ١ - ان يقوم السلطان بطرد وزيره الشيخ عبدالعزيز الذي كان من
المتحمسين لتحسين العلاقات مع فرنسا .
- ٢ - ان يقدم الى الانكليز تعويضات عن الخسائر التي تحملوها اثناء
ثورة عمان ضده في سنة ١٨٩٥ .
- ٣ - ان يكف عن جباية الضرائب عن التجارة الانكليزية بما يزيد على

نسبة ثلاث في المائة .

٤ - ان يعلن لجميع سكان مسقط وممتلكاتها في الخليج العربي بانه قد الغى جميع الامتيازات التي منحها لفرنسا ومنها امتياز بندر جيزة .
وفي سنة ١٩٠٠م قدمت بريطانيا مذكرة جديدة الى سلطان مسقط تطالبه فيها بان يزود رعاياه بالاعلام والوثائق الرسمية بدلا من الوثائق الفرنسية ، وان يوزع الاعلام البريطانية على السفن المسقطية ، وان يعلن عدم اعترافه بأوراق التجنس الفرنسية .
ومن يومها اخذ الميزان يميل الى صالح بريطانيا في مسقط حتى تمت لها السيطرة التامة على تلك البلاد في اوائل هذا القرن .

الفصل السابع

روسيا وتركيا تصارعان بريطانيا في الخليج بروز امارتي عربستان والمحمرة العربيتين

بالقضاء على ثورة القواسم ، وربطهم بمعاهدات تعسفية جائرة كتلك التي ربط بها حكام مسقط وعمان وهرمز والبحرين من قبل ، غدت بريطانيا في اوائل القرن التاسع عشر سيدة الخليج العربي بلا منازع . فلم يعد للفرنسيين فيه اثر يذكر . كما ان الدولة العثمانية كانت حتى ذلك الوقت بعيدة عن الخليج ومشاكله رغم احتلالها مصر والعراق وبلاد الشام وجزءا كبيرا من ارض الجزيرة العربية نفسها .

وعن طريق تلك المعاهدات ووكلائها السياسيين والتجارين الذين زرعتهم في كل جزء من اجزاء الخليج ، اصبحت بريطانيا تدير بنفسها تقريبا شؤون كل امارات الخليج واقاليمة . وقد تحول اهتمامها من الحفاظ على طرق الهند الى المحافظة على الهند ذاتها ، ومنع اية دولة قوية من التطلع اليها .

وبلغ من تركيز النفوذ الانكليزي في تلك الفترة ان الانكليز كانوا

يشعلون نيران الفتنة - وفقا لمصالحهم - بين الامراء والشيوخ من العرب ، او يتوسطون في المنازعات القبلية العربية والمنافسات الدامية بين المتصارعين على السلطة حتى بين الاخ واخيه . فقد توسط اللورد كاننغ نائب الملك في الهند سنة ١٨٦١م بين ماجد وثويني ولدي سعيد بن سلطان حاكم مسقط بعد ان ثار الشقاق على الملك بينهما . وقد اسفرت وساطة كاننغ تلك عن استقلال ثويني في مسقط بينما استقل اخوه ماجد في زنجبار ومباسا ومدغشقر .

لكن بريطانيا هذه قبل ان تهتأ بانتصاراتها على العرب ، وربط حكمهم بتلك الاتفاقيات والمعاهدات الظالمة فوجئت بتجدد النشاط الفرنسي في الخليج العربي في الفترة ما بين ١٨٣٩م و ١٨٤٨م .

ففي سنة ١٨٣٩م نجحت فرنسا في اقناع شاه ايران بان يطلب بعثة عسكرية فرنسية تحل محل البعثة الانكليزية في تدريب الجيش الايراني . واستطاعت فرنسا ان تنجح سنة ١٨٤٤ في عقد معاهدة تجارية مع سلطان مسقط ، كما عقدت مثل هذه المعاهدة مع ايران سنة ١٨٥٥م .

وعندما وقعت بريطانيا وفرنسا سنة ١٨٦٢م تصريحهما الشهير باحترام استقلال سلطنتي مسقط وزنجبار ، تشجعت فرنسا فتقدمت في سنة ١٨٦٤م بطلب الى تركيا للحصول منها على امتياز بانشاء شركة ملاحه فرنسية في الانهار العراقية على غرار شركة دجلة الانكليزية للملاحه في العراق .

ولقد وجدت بريطانيا ان حمايتها للهند لا تتم الا بالسيطرة على ايران ومنع الدب الروسي من الوصول الى البحار الدافئة . فقد كانت بريطانيا تنظر بعين القلق الى تحركات روسيا نحو الشرق منذ عهد بطرس الاكبر الذي دون وصيته الشهيرة الى الذين يخلفونه في الحكم من بعده ، والتي قال فيها « تقدموا ما استطعتم نحو الاستانة والهند . ان من يحكمهما سيكون سيد العالم بلا منازع . ولتحقيق ذلك اشهروا الحروب المتواصلة على ايران واذا ما سرى الانحلال في ايران فتوغلوا فيها حتى تبلغوا سواحل الخليج ثم واصلوا السير الى الهند محط كنوز العالم »

وقد تضاعف قلق بريطانيا هذا بعد التحالف الذي جرى بين نابليون بونابرت وقيصر روسيا بولس ، ثم القيصر اسكندر الاول من بعده ، ضد

انكلترا ، وفي سبيل الاستيلاء على ايران والهند .
ولذلك شرعت بريطانيا تعمل جاهدة على ابعاد كل من فرنسا وروسيا
عن ايران . فاستطاع مبعوثها جون مالكولم اقناع شاه ايران اعطاء تعهد
بابعاد الفرنسيين عن بلاده وذلك سنة ١٨٠٠م كما ذكرناه في الفصل
السابق . وفي سنة ١٨٠٨م عاود مالكولم الكرة لمفاوضة الشاه هذه المرة في
ابعاد روسيا عن ايران . ولما لم ينجح في محاولته تلك خلفه في هذه المهمة
السر هارفورد جونسن الذي أوضح للشاه ضرورة الاتفاق ضد روسيا ،
واستعداد بريطانيا لقاء ذلك لان تدفع له مائة وسبعين ألف تومان ، أي
حوالي ثمانية آلاف وخمسمائة دينار ، عن كل سنة تكون فيها ايران معادية
لروسيا .

ولقد قبل الشاه بتلك الاتفاقية وعلى أثرها استبدل المدرب الفرنسيين
في الجيش الايراني بأخرين من الانكليز . وجاء الكابتن جون مالكولم الى
ايران مرة ثالثة في سنة ١٨١٠م فعقد معاهدة جديدة تعهد الشاه فيها بالغاء
جميع الاتفاقات التي تضر بمصالح بريطانيا والتي سبق للشاه أن عقدها
مع الدول الاخرى ، وان لايسمح بمرور أي جيش معاد لبريطانيا في الاراضي
الايرانية ، وان يحمل أمراء خوارزم وسمرقند وبخاري على الامتناع عن
السماح لأية جيوش تمر عبر بلادهم في طريقها الى الهند ، وان يكون
لبريطانيا رأيها في مشاكل الحدود ما بين ايران وروسيا ، وان تتعاون
بريطانيا وايران في رد أي اعتداء خارجي يقع ضد هما . وقد تعهدت
بريطانيا مقابل ذلك أن تزيد مبلغ المنحة التي تقدمها للشاه الى مائتي ألف
تومان (حوالي عشرة آلاف دينار) في السنة ، وان يشرف الممثل البريطاني
على صرف هذه المنحة ، وان تقطع هذه المنحة اذا ما دخلت ايران في أية حرب
ضد بريطانيا .

اتجهت بريطانيا الآن اتجاها جديدا في الخليج . فحتى ذلك الوقت
كانت الحكومة البريطانية تطلع على شؤون الخليج عن طريق حكومة الهند
أو شركة الهند البريطانية بعبارة أصح . وكان ما تطلع عليه من هذه
الشؤون ضئيلا . غير ان الحكومة البريطانية أخذت بعد سنة ١٨٠٠م تبسط
تدخلها في كل صغيرة وكبيرة من أمور الهند والبلدان التي تقع في الطريق الى
الهند . ولهذا شرعت تستبدل الوكالات التجارية في الخليج والعراق
وايران بوكالات سياسية تحولت فيما بعد الى قنصليات ومفوضيات

فسفارات كما أخذت تمد هذه الوكالات السياسية بالمحنكين من الساسسة
ورجال الاستخبارات الذين يعرفون كيف يتوددون الى الحكام المحليين في تلك
الأصقاع ويحولونهم الى أدوات طيعة في أيديهم .

ففي العراق عينت بريطانيا لها مقيما سياسيا في بغداد بعد ان كان
ممثل الشركة يقيم في البصرة عادة . ثم تحولت هذه المقيمة في سنة ١٨٠٢م
الى قنصلية . وفي سنة ١٨٠٨م فين لهذا المنصب عالم الآثار والرحالة
المشهور كلوديوس جمس ريج الذي جاب العراق واطلع على أحواله ،
واستطاع ان يجتذب الكبار من الوجهاء والموظفين في بغداد اليه ، وان يجعل
من داره منتدى لهم يستمع فيه الى شكواهم ، ويتدخل لدى الوالي في سبيل
مصلحتهم .

وقد أغاز النشاط الذي كان يقوم به ريج الوالي داود باشا فنشب
الخلاف بينهما واذا ذلك عمد داود باشا الى الغاء ما كان الاوربيون يتمتعون
به من امتيازات في العراق ، كما ضاعف الرسوم الكمركية على البضائع التي
كانوا يرسلونها الى العراق ، وشرع يعرقل امور المستر ريج حتى انه لم
يسمح له بمغادرة بغداد ذاتها الا بعد مراسلات مطولة جرت في هذا الشأن
بين حكومتي لندن واسطنبول .

واستعداد الانكليز نفوذهم في العراق بعد عزل داود باشا وبسبب
ضعف الولاة الذين جاؤوا من بعده ، وقبولهم الرشاوى والهبات الى درجة
ان كثيرا من رؤساء العشائر العراقية ، ولا سيما في جنوبي العراق ، اخذوا
يسعون لدى المقيم البريطاني في بغداد لحمله على مقاومة بعض الولاة والسعي
لعزلهم من مناصبهم ، بل ان جواسيس الانكليز في تلك الفترة كانوا يوحون
لرؤساء العشائر العراقية بان وضع بريطانيا في العراق سيتغير في المستقبل
تغيرا أساسيا ، وان من مصلحة هؤلاء الرؤساء ان يوطدوا منذ الآن علاقاتهم
بالانكليز . وكان من جراء ذلك ان اتسع نطاق النفوذ الانكليزي في العراق
بحيث أصبح لبريطانيا قنصل ممتاز في بغداد وله معاونان في كل من البصرة
والموصل .

في هذا الوقت بالذات بدأت بريطانيا تربط أجزاء القارة الهندية
وايران والعراق والمناطق الرئيسية في الخليج العربي بأسلاك البرق مع
لندن رأسا . فأنشأت خطا يربط الهند ببغداد واسكدار في الاستانة ويتصل
بخطوط القارة الاوربية . ومدت خطا آخر بين الهند وابي شهر وطهران

ويرتبط هذا الخط ببغداد عن طريق أصفهان .

كذلك عمد الإنكليز الى الاكثار من انشاء شركات الملاحة بين موانئ الخليج والهند وبين انكلترا والهند أيضا ، هذا بالإضافة الى ارسال البعثات المتعددة الى العراق وايران والافغان للتحري عن الاوضاع السياسية والاقتصادية فيها والكشف عن الطرق البرية الصالحة التي تربط البحرين الاحمر والابيض المتوسط بالهند .

على ان بريطانيا ما لبثت وهي في قمة نشاطها هذا ان اصطدمت بالدولة العثمانية التي أخذت الآن تدرك أهمية الخليج العربي في المحافظة على امبراطوريتها في بلاد العرب ولذلك شرعت الدولة العثمانية تسعى الى اقامة مراكز قوية لها على سواحل هذا الخليج .

وقد وجدت تركيا بغيتها في شخص الرجل المصلح المتحرر مدحت باشا الذي تولى ولاية العراق في الفترة ما بين ١٨٦٨م و ١٨٧٣م .

على الرغم من تشجيع مدحت باشا بالانكار الحرة ، واعجابه بالحياة البرلمانية الانكليزية الا انه كان من الد أعداء بريطانيا وسياستها في العراق والخليج العربي . وقد استغل مدحت باشا النزاع الذي حدث بين الاخوين عبدالله وسعود ولدي الامام فيصل زعيم الوهابيين فجهز سنة ١٨٦٩م حملة كبرى استهدفت الاستيلاء على الاحساء والقطيف ونجد والبحرين ومسقط وعمان وحضرموت .

وقد زحفت هذه الحملة تحت قيادة نفيس باشا من البصرة في ايار سنة ١٨٧١م فاستقرت في رأس تنورة مقابل البحرين . فبعد ان تغلبت على المقاومة الطفيفة التي جابهتها في القطيف ودمام وتوجهت نحو الهفوف عاصمة الاحساء .

ولم تتعرض الحملة في زحفها الى المناطق التي تخص السلطات البريطانية مباشرة . بل ان بريطانيا لم تعلم بهذه الحملة وباهدافها لو لم تتلق اشعارا بذلك من خديو مصر اسماعيل باشا وعندئذ أخذت تراقبها بيقظة واهتمام .

استطاع مدحت باشا ان يستميل سعود بن الامام فيصل للانضمام الى جانبه . كما نجح نفيس باشا قائد الحملة هو الآخر في استمالة شيخ قطر اليه . على ان السفير البريطاني في الاستانة « السر اليوت » ما لبث ان سارع الى الاستفسار من الباب العالي عن أهداف حملة مدحت باشا

واتجاهها فأكدت السلطات العثمانية ان غرض الحملة هو إعادة نفوذ السلطان على نجد . لكن بريطانيا لم تقتنع بهذا القول وطلبت الى الحكومة العثمانية ان توافق على وضع حدود بين نجد وبين الامارات العربية على الساحل . على ان نقل مدحت باشا من ولاية العراق ، والذي نعتقد جازمين ان للانكليز اليد الطولى فيه ، قد أوقف الحملة عند الحدود التي بلغتها ، ووضع حدا لتطلع تركيا الى جزيرة العرب والخليج العربي . ومع ان الحملة لم تحقق كل أغراضها الا ان استيلاءها على الاحساء التي كانت تربط جميع الطرق الداخلية لشبه الجزيرة العربية بالخليج ، قد مكن تركيا من ان تمد نفوذها حتى الى حكام نجد ذاتها .

كان مشايخ البحرين ومسقط وقطر وهرمز وعمان وغيرها من مناطق الخليج الهامة ، مرتطين آنذاك ببريطانيا عن طريق المعاهدات التي فرضتها عليهم بالرشوة والقوة معا . وقد خشى أولئك المشايخ أن يهاجم الاتراك اماراتهم أو مشيخاتهم ولذلك أخذوا يطالبون المقيم البريطاني في ابي شهر بان يبحث حكومته على كبح جماح الدولة العثمانية في تلك الانحاء . ومع كل ذلك فان الاحساء قد ضمت بعد تلك الحملة الى العراق . ولم يكن هذا الضم بالامر المستغرب قط . فقبل حملة مدحت باشا بأكثر من مائة سنة كانت الاحساء قد ضمت الى العراق . ففي سنة ١٦٦٣م بعث حسن باشا والي البصرة بفرقة من بني خالد يقودهم الامير براك بن محسن الى الاحساء فانتزعوها من أيدي الوهابيين وحقوها بالعراق وقد سقطت اماره بني خالد ويسمون (آل حميد) أيضا ، بيد السعوديين في سنة ١٧٩٥م .

أما الكويت فان الحكومة العثمانية وان كانت لم تعترف بانفصاله عنها رسميا حتى بعد ان ارتبط الشيخ مبارك بمعاهدة مع بريطانيا وقعت في الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة ١٨٩٩م [راجع نص المعاهدة في الملحق الخاص بالمعاهدات والاتفاقات] فانها أي الحكومة العثمانية قد اعترفت ، طبقا لاتفاقية سنة ١٩١٣م بينها وبين بريطانيا ، بالاتفاقات التي عقدها شيخ الكويت مع بريطانيا .

ولقد كان من نتائج الحملة التركية على نجد ، ان دخلت « قطر » تحت حماية الدولة العثمانية . وكانت بريطانيا قد استغلت الاضطرابات التي نجمت عن مهاجمة شيوخ البحرين وابي ظبي لامارة قطر سنة ١٨٦٧م

فندخلت في الامر ، وارغمت شيخ قطر على أن يعقد معها معاهدة جديدة يعترف فيها بسيادة البحرين على بلاده . لكن شيخ قطر ما لبث ان ثار ضد تلك المعاهدة حين بلغته انباء الحملة التركية ، واعلن خضوعه للدولة العثمانية التي عينته قائمقاما على قطر ، وانشأت لها في ميناء « الدوحة » [وتسمى البدعة أيضا وهي عاصمة قطر اليوم] مرسى للسفن ومحطة للحم كما أنزلت فيه ثلة من الجند .

وظلت قطر تابعة لتركيا منذ ذلك الوقت حتى عقدت معاهدة التاسع والعشرين من تموز سنة ١٩١٣ بين بريطانيا وتركيا . ووفقا لهذه المعاهدة تنازلت تركيا عن كل ما لديها من حقوق في قطر لتحل بريطانيا محلها فيها .

* * *

اتجهت تركيا لمنازلة بريطانيا في جبهة اخرى من الخليج العربي هي منطقة شط العرب . ففي هذه المنطقة اخذت قوة عربية تظهر على مسرح الحوادث هناك وتتصدى الكل من تركيا وايران وحتى حكومة الهند الانكليزية . هذه القوة العربية الناهضة هي قبائل بني كعب التي نزحت في منتصف القرن الثامن عشر من أواسط الجزيرة العربية لتستقر في عربستان وعلى الضفة الغربية لشط العرب أيضا .

كانت عربستان لا تعترف بالحكم الايراني عليها ولا سيما في أوائل القرن الثامن عشر حيث لعب حاكمها العربي الشيخ سليمان دورا كبيرا في توطيد النفوذ العربي هناك .

وكان من جراء ذلك ان جردت ايران في سنة ١٧٥٧م حملة كبيرة كان يقودها « كريم خان الزند » لكسر شوكة النفوذ العربي هناك لكن هذه الحملة لم تنجح في مهمتها وكانت عاقبتها الهزيمة الشنعاء .

وقد خشيت كل من بريطانيا وتركيا من تعاضم النفوذ العربي في عربستان فاشتركتا في سنة ١٧٦٢ في ارسال قوة مشتركة منهما لمقاومة العرب هناك .

وفي سنة ١٨٢١ توصلت كل من تركيا وايران الى توقيع المعاهدة المعروفة باسم « معاهدة ارضروم الاولى » بينهما . ووفقا لهذه المعاهدة اعترفت الدولتان المتعاقدتان بالسيادة العثمانية

على المحمرة والسيادة الايرانية على خوزستان . لكن العرب الساكنين في عربستان لم يعترفوا ببند تلك المعاهدة حتى

ان الشيخ غيث بن غضبان أمير عربستان طلب المعونة سنة ١٨٢٧ من أمير مسقط لمحاربة ما قررته تلك المعاهدة .

وفي سنة ١٨٦٥ جردت حملة جديدة ضد عربستان قادها كريم الزند نفسه وشاركت كل من بريطانيا وتركيا فيها .

وقد أمر كريم خان الجيش الايراني بأن يعمد الى تهديم السدود والقنوات في حوض نهر كارون ليقطع الطريق على العرب هناك وحينئذ انتقل العرب من عاصمتهم « قبان » الى « الفلاحية » .

ولغرض اضعاف النفوذ العربي في عربستان والمحمرة ومنع توسعه الى جهات اخرى ، ولدراء الخطر الذي يمثله تعاظم النفوذ انكليزي على المصالح التركية في الخليج وايران والعراق ، اقدمت تركيا على بناء تحصينات عسكرية في شط العرب .

كان مدحت باشا أول من فكر بهذا المشروع سنة ١٨٦٩ حين جعل مدينة « الفاو » مركز قضاء يمتد حتى الزبير وشط العرب .

وقد تجددت محاولات تركيا هذه بعد فشل حملتها على نجد . وفي سنة ١٨٨٣ قام القائد العثماني في بغداد برحلة سرية الى الفاو رافقه فيها الاميرال رضا باشا متصرف البصرة آنذاك وكان الغرض من هذه الرحلة دراسة الاوضاع الملائمة لاقامة تحصينات عسكرية في الفاو قدرت تكاليفها بحوالي ثلاثة وتسعين الف ليرة . وكان العقيد « مولكير » الوكيل السياسي البريطاني في البصرة هو الذي أعلم حكومة الهند بانباء تلك الرحلة السرية ، وحينئذ نشطت بريطانيا في اخافة ايران من خطر اقامة مثل تلك التحصينات . وطلبت وزارة الخارجية البريطانية الى وزير الهند اللورد كروس في ١٦ نيسان ٨١٨٧ ان يستوضح رأي الحكومة الايرانية في هذا الشأن ، فقام المستر نكلسون الممثل البريطاني في طهران بافهام الحكومة الايرانية ان بريطانيا مستعدة لمساندتها في أي احتجاج تقدمه الى اسطنبول عن هذه القضية . كما بين الممثل البريطاني لشاه ايران مبلغ الخطر الذي يمثله وجود مثل هذه التحصينات .

واتفق السفير الايراني في اسطنبول محسن خان مع السفير البريطاني فيها المستر وليم وايت على اتخاذ خطوة موحدة في هذا المضمار . وفي الحادي والعشرين من شهر آب سنة ١٨٨٧ تقدم المستر وليم وايت باحتجاج شديد اللهجة الى سعيد باشا وزير الخارجية التركية ، وطالبه بالكف عن بناء

التحصينات في الفاو . لكن سعيد باشا رفض هذا الاحتجاج ورد عليه ان ما تقوم به الحكومة التركية لا يتعارض قط مع اتفاقية ارضروم الثانية المعقودة سنة ١٨٣٧ وفي مقابلة اخرى مع السفير البريطاني صرح سعيد باشا ان تركيا ماضية في بناء مراكز دفاعية لها في الفاو ، وان ايران حرة في بناء مثل هذه التحصينات في المحمرة وعلى الضفة الاخرى من شط العرب . لكن بريطانيا لم تقبل بهذه التفسيرات فقد استدعى اللورد سالسبوري وزير الخارجية السفير التركي رستم باشا في لندن اليه وافهمه عدم موافقة بريطانيا على اقامة هذه التحصينات .

ويظهر من هذا ان بريطانيا اعتبرت تلك التحصينات موجهة ضدها ، وانها تستهدف السيطرة على الملاحة في أنهار العراق ، وابعاد شركة لنج عنها على أساس ان الامتياز الذي منحت لهذه الشركة محصور في نهر الفرات ليس الا .

وقد أكد اللورد سالسبوري هذه المخاوف في مذكرة جديدة قدمها الى السفير التركي في لندن ذكر فيها ان هذه التحصينات تهدد مباشرة لمصالح بريطانيا الاقتصادية في العراق وحوض نهر الكارون . وهددت المذكورة بان البحرية الانكليزية في الخليج العربي ستعرف كيف تتصرف .

وقد لجأت بريطانيا الى اثارة العراقيين بوجه تركيا حتى في العراق حين شرع جواسيس الانكليز يحرضون بعض شيوخ القبائل العراقية على الثورة ضد الاتراك ومنها ثورة شيوخ المنتفق سنة ١٨٨٩ م .

هذا في حين ان تركيا نفذت مشروعها المزاحم لبريطانيا وذلك عندما انشأت شركة للملاحة في أنهار العراق سنة ١٨٩٢ برأسمال قدره مليون ليرة تركية . وكان مدحت باشا أول من فكر في هذا المشروع سنة ١٨٦٩ . وقد تعاطمت مخاوف شركة لنج الانكليزية من تأثير هذه الحركة على مصالحها فكتب صاحبها ستيفن لنج الى مساعد وزير الخارجية البريطانية في ٢٧ ايلول ١٨٩٢ يعلمه ان الغرض الاول من انشاء شركة الملاحة التركية هو التخلص من شركته ، أي شركة دجلة والفرات للملاحة المتحدة .

وقد زادت الحكومة التركية في ضغطها على شركة لنج فطلبت الى المساهمين فيها من تجار بغداد ، وجلهم من المسيحيين ، ان ينسحبوا منها وينضموا الى الشركة التركية الجديدة .

تصدت روسيا هي الاخرى لبريطانيا سواء في ايران أم في الخليج . وكانت روسيا قد تنبتهت الى خطورة الخليج العربي منذ عهد بطرس الاكبر كما المعنا الى ذلك قبلا . ولهذا أخذت روسيا منذ ذلك الوقت ترسم سياستها للوصول الى الخليج عن طريق التسلسل الى ايران والعراق . وكانت بريطانيا على ادراك تام بمدى الخطر على مصالحها اندي يمثله وصول الروس الى الخليج .

فلقد كتب اللورد نورثبروك نائب الملك في الهند الى وزارة الخارجية البريطانية رسالة في العشرين من ايار سنة ١٨٧٦ يقول فيها « علينا ان نعتبر اي امتداد للاقاليم الروسية باتجاه الخليج الفارسي ، او اية حماية روسية لسواحل ذلك الخليج ، خطرا مباشرا على الهند . وهذا ، حسبما اظن ، يكفي وحده لاستخدام القوة في المحافظة على سيادتنا الحالية في الخليج » . وفي رسالة بعث بها اللورد كروس نائب الملك في الهند في الخامس من اذار سنة ١٨٨٧م الى وزارة الخارجية البريطانية اكد على حكومة بريطانيا ان تتبنى النقاط التالية في سياستها ازاء الخليج .

١ - عدم السماح لاية قوة اجنبية تنافس السياسة البريطانية في جنوبي ايران .

- ٢ - السعي للحصول على امتياز بمد خط حديدي ما بين طهران والاهواز .
- ٣ - اقناع شاه ايران باهمية فتح نهر كارون للملاحة البريطانية .
- ٤ - توسيع نطاق التجارة البريطانية مع ايران لمنافسة التجارة الروسية .

كانت روسيا في ذلك الوقت قد باشرت بمد سكة حديد من « مرو » الى « كوجك » في مقاطعة خراسان . وكانت تعتزم الانحدار من هناك الى كرمان . كما أنها اتمت في سنة ١٨٩٨م بناء سكة حديد « قارص » تمهيدا لايصالها الى « اريقان » عاصمة ارمينيا ومنها الى « تبريز » . وكانت تفكر في ايصال هذه السكة من تبريز الى خانقين ومنها تمد خطا حديديا الى بغداد فالبصرة ثم الكويت .

وبالاضافة الى ذلك كانت روسيا تفكر أيضا في مد خط حديدي من « انزلي » الى طهران . وكان الانكليز يعتقدون أن تسلسل روسيا الى الخليج سيكون عن هذا الخط وذلك بايصاله الى أبي شاهر والفاو حيث تواترت الانباء عن وجود محاولات روسية للاستيلاء على جزيرة قشم ، وعن ظهور

بعض الوكلاء الروس في الكويت وسستان • فضلا عن ذلك حصل الروس على امتياز يخولهم حق الملاحة في الانهار الايرانية التي تصب في بحر قزوين وبانشاء الموانئ على الساحل الايراني لهذا البحر •

واذ وجدت بريطانيا ان تحذيراتها لشاه ايران من مغبة الخطر الروسي على بلاده لم تفلح حاولت اقناع كل من فرنسا وروسيا بان تشتركا معها في مد خط حديدي بين رشت وطهران والخليج العربي لكن روسيا رفضت المشاركة في مثل هذا المشروع وعلى الاثر اعلنت بريطانيا سنة ١٨٩٦ ان اى تقدم من جانب روسيا نحو الخليج يجب ان يقابل بهجوم بريطاني عسكري على عربستان وذلك بقصد سد الطريق امام روسيا الى الخليج والمحيط الهندي •

وردت روسيا على هذا التهديد بمثله واعلنت انها لا تعترف لبريطانيا بأية افضلية في الخليج ، وان منطقة الخليج يجب ان تظل ذات صفة تجارية دولية وليس منطقة نفوذ بريطانية ازاء ذلك اخذت بريطانيا تضغط على شاه ايران وتشترى ذمم بعض رؤساء العشائر الايرانية بالمال ولا سيما زعماء قبيلة البخيتاري الشهيرة حتى ان بريطانيا بعثت ببعض ضباطها لتدريب تلك القبائل على فنون القتال •

واخذت بريطانيا تحاول استمالة الشيخ خزعل امير عربستان الى جانبها فاعلمت قنصلها في بغداد ان يسعى الى الاتصال بالشيخ خزعل ويتعرف على نواياه ازاء ايران وبريطانيا وتركيا •

وفعلا قام القنصل البريطاني ببغداد في حزيران سنة ١٨٩٨ بزيارة الشيخ خزعل في المحمرة واستطاع بالحديث معه ان يستشف كل آماله ونواياه ومن حينها وقفت بريطانيا موقف المقاوم للشيخ خزعل ضد اية حركة يعترزم من ورائها اعلان استقلال عربستان •

ولم تنجح محاولات الممولين الانكليز والفرنسيين والبلجيكيين في الحصول على امتيازات لمد سلك الحديد ومزاحمة الالمان الذين استطاعوا الحصول رسميا على امتياز سكة حديد ديار بكر - بغداد في الخامس عشر من شباط سنة ١٨٩٢م .

وفي سنة ١٨٩٨م قام ولهم الثاني بزيارة جديدة الى تركيا ودعي لحضور بعض الحفلات الدينية في القدس وبعد أن زار بيت المقدس عاد الى دمشق فزار قبر البطل العراقي صلاح الدين الايوبي ، وألقى خطابا وجهه الى المسلمين اعرب فيه عن مؤازرته لهم ولخليفتهم السلطان عبدالحميد .
وقد أحدثت هذه الرحلة نشاطا كبيرا في الاوساط الدولية فقد قلقت منها روسيا اشد القلق ، واعتبرتها موجهة ضد مصالحها بالذات . في حين ارتاحت بريطانيا الى ما أحدثته تلك الرحلة من خصومة بين روسيا والمانيا .
وقد أفاد السلطان عبدالحميد الثاني افادة كبرى من هذه الرحلة لانها عززت موقفه ازاء الدول الاوربية التي كانت جد ناقمة عليه بسبب حوادث الارمن التي وقعت في تركيا آنذاك .

على ان الفون باولو وزير الخارجية الالمانية كشف الاغراض الحقيقية لرحلة القيصر الى الشرق في مذكرة قال فيها « ان من جملة المنافع التي تحققت لنا بفضل رحلة القيصر هي حصولنا على امتياز بانشاء مرافق حيدر باشا ، وامتياز مد الاسلاك البحرية بين كونستننرا واسطنبول ، وتعزيز الصلات بين الحكومة التركية والشركات الالمانية . . وسيكون في مقدورنا بفضل الاسلاك البحرية ، ان نتصل بالاستانة رأسا عن طريق المخابرات البرقية ، وقد يكون هذا الخط نواة خط عالمي جديد . ومما يجب ان ننوه به هنا هو تصميم ايصال سكة حديد الاناضول الى بغداد وهو ما نأمل به اكمال الفتح الاقتصادي في آسيا الصغرى » .

وعلى أثر هذه الرحلة انشأت احدى شركات الملاحة الالمانية محطة لها في اسطنبول وأخذت السفن الالمانية تبحر الى الموانئ التركية وسواحل البحر الابيض المتوسط والخليج العربي وكانت بريطانيا منذ سنة ١٨٩٠م قد سكنت عن النشاط التجاري الالمني في الخليج على أمل استئصال النفوذ الروسي فيه وفي سنة ١٨٩٩م اسس جماعة من الممولين الالمان البنك الالمني الفلسطيني في القدس وفتحوا له فروعاً في غزة وحيفا ويافا والناصره وطرابلس وبيروت ودمشق وحلب .

وحلت مصانع الاسلحة الالمانية محل المصانع الانكليزية والفرنسية في تزويد الجيش التركي بالسلح . وتبع ذلك جيش عرمرم من التجار الالمان الذين غزوا بسلمهم تركيا والشرق الادنى فاذا بالصادرات الالمانية تقفز من أحد عشر مليون مارك في سنة ١٨٨٨م الى أربعين مليون وتسعمائة الف مارك سنة ١٨٩٣ . وارتفعت قيمة الصادرات التركية في ذات المدة من مليونين وثلثمائة الف مارك الى ستة عشر مليون ونصف مليون مارك وارتفعت المانيا هذه الحملة الاقتصادية بحملة تبشير في تركيا والبلاد العربية على غرار ماكانت تفعله بريطانيا وفرنسا وروسيا حيث نشطت جمعيات التبشير الالمانية في فلسطين وسورية ولبنان . وقد كان لهذه الجمعيات التبشيرية خطرها الكبير على مستقبل فلسطين بصفة خاصة . ذلك ان اليهود استطاعوا عن طريق هذه الجمعيات الالمانية وبمساعدهتها المادية لهم ان يؤسسوا عددا من المستعمرات اليهودية في فلسطين سنة ١٨٩٦م ولا سيما في منطقتي القدس وحيفا .

يذكر المؤرخون المحدثون ان السلطان عبدالعزيز هو أول من فكر في مد خط حديدي بين اسطنبول وضاحية ازميد على بحر مرمره ، وانه استقدم في سنة ١٨٧١م أحد المهندسين الالمان لهذا الغرض .

غير ان المتفق عليه هو أن أعضاء هيئة الديون العثمانية العامة وهي لجنة انشأتها الدول الاوربية الدائنة لتركيا سنة ١٨٨١م هم الذين ابدوا اهتماما حقيقيا بمد سكك الحديد في تركيا . وقد كانت أولى الشركات التي عرضت على الباب العالي مد خط حديدي شركة روسية نمسوية طلبت في سنة ١٨٩٨م أن يوءذن لها بمد خط حديدي بين طرابلس الشام على ساحل البحر الابيض المتوسط والخليج العربي ، وان يكون لهذا الخط فرعان أحدهما يمتد الى بغداد والثاني الى خانقين .

وأعقب ذلك قيام جماعة من الممولين الفرنسيين بالسعي للظفر بامتياز مد خط حديدي يربط سواحل سوريا بالخليج العربي . ولما كان المال متوفرا لدى هذه الجماعة فقد صمم البنك الالمانى على المشاركة معهم في المشروع ، وجرت مفاوضات بهذا الشأن في برلين سنة ١٨٩٩م . وقد تم الاتفاق على أن يشترك البنك الالمانى والبنك العثماني في شركة سكة حديد

بغداد بنسبة أربعين في المائة من الاسهم لكل منهما • واذا ما رغب الانكليز
المساعدة في المشروع فسيطرح آنذاك مقدر متساو من اسهم كل من المصرفين
الاماني والعثماني لهذا الغرض •

وفي صيف تلك السنة ذاتها تقدم عدد من الممولين الانكليز بطلب لمسد
خط حديدي بين اسكندرونة وبغداد ويتصل بالخليج العربي • وكان اصحاب
الطلب متساهلين جدا في شروطهم مما حدا بوزارة الاشغال التركية الى
الاتفاق معهم • وقد نالت هذه الجماعة مساندة فعالة من محمود باشا صهر
السلطان عبدالحميد ، ومن السفير البريطاني في اسطنبول ، وقدمت لقاء ذلك
هدايا ثمينة الى السلطان وحاشيته غير ان انشغال بريطانيا آنذاك بحرب
« البوير » في افريقيا الجنوبية جعلها تهمل ذلك المشروع • وبانسحاب
هؤلاء الممولين الانكليز خلا الجو للامان حيث وافق السلطان بصفة مبدئية في
السابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٩٩م على منح البنك الاماني
امتيازاً بانشاء خط حديدي يمتد من « قونية » الى بغداد فالخليج العربي •
وقد سبق للسلطان في سنتي ١٨٨٨م و١٨٩٣م ان وعد شركة سكة حديد
الاناضول الالمانية بان تكون لها الافضلية في بناء الخط الجديد وذلك أخذت
الشركة منذ ذلك الوقت تقوم بالكشف عن الطريق الذي سيمر فيه الخط
ومسحه واعداد الخرائط والتصاميم اللازمة له • كان طول الخط من قونية
الى الخليج يبلغ زهاء ألف وخمسمائة وخمسين ميلا ، وكانت المسافة بين
برلين وقونية تبلغ حوالي ألف وثلثمائة ميل • على ان الارادة السلطانية
يمنح الامتياز المذكور لم تصدر بصفة رسمية الا في سنة ١٩٠٢م وقد نصت
اتفاقية الامتياز على أن يكون رأسمال المشروع خمسة عشر مليون فرنك
تساهم شركة سكة حديد الاناضول بعشرة في المائة من حصصه ، وان تكون
مدة الامتياز تسعا وتسعين سنة تؤول بعدها جميع ممتلكات الشركة الى
الحكومة العثمانية خالية من الديون •

أثار حصول الامان على امتياز سكة حديد بغداد عاصفة من القلق
والاضطراب لدى الاوساط المالية والسياسية في كل من بريطانيا وفرنسا
وروسيا • كما اثار المخاوف العديدة لدى شيوخ الخليج العربي الذين
ارتبطوا مع بريطانيا بمعاهدات او اتفاقات لا تخرج عن نطاق العمالة لها •
ذلك ان خطورة المشروع لم تكن تنحصر في ربط برلين بخط حديدي مع
العراق والخليج وما سيتبع ذلك من تعاضم النفوذ الالمني الاقتصادي

وحتى العسكري في تركيا والبلدان العربية التي سيمر بها الخط حسب ،
وانما ستتعداه الى أهم من ذلك بكثير الا وهو الامتياز الذي منح للشركة
الالمانية صاحبة المشروع في التنقيب عن الثروات المعدنية في جميع الاراضي التي
يمر بها الخط وعلى عرض عشرين ميلا من كل جانب منه . كذلك نص الامتياز
على منح الشركة حق الملاحة في نهري دجلة والفرات وانشاء الموانئ
والمراسي والمخازن في بغداد والبصرة وفي النقطة التي ينتهي عندها الخط
على الخليج .

كانت بريطانيا تعتقد اول الامر ان مشروع سكة حديد بغداد لم يكن
يمثل هذه الخطورة والاهمية التي أظهرهما تحمس الانكليز له ولا سيما
بعد ان استطاعت بريطانيا السيطرة على قناة السويس ، واحتكار اقصر
طريق يربط اوربا بالشرق والهند . ولقد ذكر اللورد كرز في كتابه « فارس
والقضية الفارسية » ان مشروع سكة حديد بغداد لم يعد ضروريا .

لكن بريطانيا ما لبثت ان تنبهت الى هول الضربة التي اصابتها بسبب
ظفر المانيا بامتياز ذلك الخط . فلقد كانت بريطانيا آنذاك مهيمنة على
النشاط التجاري والاقتصادي في تركيا والبلدان التابعة لها في آسيا اذ ان
صادراتها الى تركيا كانت تزيد على ثلاثة ملايين باون في السنة ، كما ان
شركاتها كانت تحتكر الملاحة في انهار دجلة والفرات وشط العرب ، وتملك
امتيازات واسعة لها في العراق وسوريا ولبنان . وعلى هذا فان تلك المصالح
ستتعرض للخطر نتيجة استئثار الالمان بهذا المشروع .

والحقيقة ان تردي العلاقات بين بريطانيا و تركيا قبل منح امتياز خط
بغداد الى الالمان كان هو السبب الرئيس في مقاومة المشروعات البريطانية في
الامبراطورية التركية . وكان العامل الاساس في تردي تلك العلاقات
اقدام الانكليز على احتلال مصر ، وانتزاعها من ايدي السلطان العثماني ولو
أن سيادته عليها لم تتعد الاسم قط . . فبعد ان صعب على السلطان عبد
الحميد منازلة الانكليز حربيا أخذ ينازلهم دبلوماسيا واقتصاديا فشرع يعرقل
مشاريعهم في العراق ، وأخذ يقيم التحصينات في الفاو لضرب التجارة
الانكليزية ، وبذل المال لامراء العرب في البصرة والكويت لمقاومة النفوذ
الانكليزي ، وشجع أمراء قطر على احتلال البحرين التي تعاهد حاكمها مع
الانكليز ، وحرص أمراء عمان ومسقط والهند وابن الرشيد على التصدي
للانكليز ، ونادى بالجماعة الاسلامية واعادة الخلافة ليجمع المسلمين وراءه

- ولا سيما مسلمو الهند - ويؤلبهم على الانكليز .
وكان من اثار عقد اتفاقية سكة حديد بغداد ان خشي الشيخ مبارك
أمير الكويت ما ينطوى عليه هذا المشروع من تقوية تركيا واقدامها على ضم
امارة الكويت اليها بصفة نهائية ولذلك سارع - كما اشرنا الى ذلك قبلا -
الى الاتصال بالانكليز طالبا الحماية منهم .

وعندما بعث الالمان ببعثة منهم الى الكويت يرأسها القنصل الالمانسي
العام في تركيا الهر « شتمرخ » ومع عدد من المهندسين الالمان للحصول على
اذن باقامة محطة في « كاظمة » تنتهي عندها سكة حديد بغداد - برلين ،
رفض الشيخ مبارك تلبية هذا الطلب .

وكان الالمان يدركون من ناحيتهم خطورة المقاومة التي ستجابههم بها
كل من بريطانيا وروسيا وفرنسا . ولذلك حاولوا اضافة صفة اقتصادية
بجحة على مشروع السكة ، وسعوا الى اشراك الممولين من تلك الدول فيه .
فاتصلوا بالانكليز والفرنسيين لهذا الغرض حيث جرت مفاوضات بين رجال
المال في الدول الثلاث أما روسيا فانها منعت الممولين في بلادها من الاشتراك
بالمشروع وكانت بريطانيا تشعر أكثر من غيرها بالخطر الذي يهدد مصالحها
في الخليج وفي تركيا والعراق اذا ما وصل الخط الحديدي الالمانسي الى الكويت
ولذلك قررت محاربته واحباطه بكل السبل .

وأبدت روسيا هي الاخرى معارضتها للمشروع لانه يحطم آمالها في
التوسع على حساب الامبراطورية التركية ولذلك سارع السفير الروسي في
اسطنبول المسيو زينوفيف الى ابلاغ الباب العالي بأن حكومته تعتبر مد
سكة حديد الاناضول الى الموصل عن طريق ارمينيا يهدد حدود ممتلكاتها في
القفقاس ، وانها لا تستطيع السكوت عن هذا المشروع ، وهي لذلك ستطالب
الحكومة التركية بتسديد كل ما بقي في ذمتها من تعويضات الحرب التي
أقرها مؤتمر برلين المنعقد في سنة ١٨٧٨م اذا ما اصرت تركيا على انشاء ذلك
الخط . وطبقا لذلك اختارت الحكومة التركية طريق قونية بدلا من
ارمينية ، وتعهدت للحكومة الروسية في اتفاقية البحر الاسود سنة ١٩٠٠م
ان تمتنع عن منح اية امتيازات لمد سكة الحديد شمالي الاناضول الى غير
الشركات الروسية .

أما فرنسا فقد أجمعت عن معارضة المشروع بعد أن اعطيت شركائها
فيه حصة تعادل حصة الشركات الالمانية ولذلك اتخذ السفير الفرنسي في

اسطنبول موقف الحياد تجاه المفاوضات التي أجراها الالمان مع الباب العالي للظفر بامتياز المشروع .

كانت معارضة بريطانيا وروسيا لمشروع سكة حديد بغداد من العوامل التي أدت الى عقد الاتفاق البريطاني الروسي سنة ١٩٠٧م لكن بريطانيا ثارت ثائرتها عندما علمت بانباء الاتفاق الذي وقعه قيصر روسيا في بوتسدام في التاسع من آب سنة ١٩١١م والذي تعهدت فيه روسيا بالكف عن مقاومة مشروع سكة حديد بغداد مقابل تعهد المانيا بعدم التدخل في شؤون إيران ، والتخلي عن مشروع سكة حديد بغداد - خانقين ، وعدم المساس بامتيازات روسيا في إيران .

وحيث فشل الانكليز في عرقلة مشروع الخط عمدوا الى تسوية قضية الكويت والخليج مع تركيا حيث توصلت الدولتان البريطانية والتركية الى اتفاق في التاسع والعشرين من تموز سنة ١٩١٣م بينهما نصت المادة الاولى منه على أن « الكويت جزء من الامبراطورية العثمانية » . واعترفت تركيا في المادة الثانية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لشيخ الكويت بما في ذلك مسألة الوراثة على العرش مقابل أن يرفع الشيخ العلم العثماني ، وان يتولى منصب القائم مقام في الكويت لحماية الرعايا والمصالح التركية في تلك المنطقة .

كذلك اعترفت تركيا في المادة الثالثة من الاتفاق بالمعاهدات التي عقدها بريطانيا مع شيخ الكويت في السنوات ١٨٩٩ و ١٩٠٠ و ١٩٠٤م بينا تعهدت بريطانيا في المادة الرابعة ان لا تبسط حمايتها على الكويت .

وقد جدد هذا الاتفاق سنة ١٩١٤م باتفاقية جديدة اعترفت فيها تركيا ان تكون نهاية الخط في البصرة الا اذا وافقت بريطانيا على مدها الى الكويت ، وان يكون للانكليز عضوان في مجلس ادارة شركة سكة حديد بغداد برلين .

لكن بريطانيا ما فتئت ان اتصلت بالمانيا سرا واتفقت معها على اقتسام مناطق النفوذ في الامبراطورية العثمانية وذلك طبقا للاتفاقية التي وضعت مسودتها في الخامس عشر من حزيران سنة ١٩١٤م والتي تعهد الانكليز فيها بمساندة مشروع السكة ، وان يتفاوض الطرفان حول ايصاله الى الخليج العربي . كما تعهد الالمان بالكف عن انشاء ميناء لهم على الخليج العربي ، والامتناع عن مساندة اية دولة اجنبية تحاول ذلك .

وما هي الا ايام قلائل حتى انفجرت شرارة الحرب العالمية الاولى فاذا
ببريطانيا ترى في هذه الحرب فرصة نادرة للانتقام من غريماتها المانيا
فتحالف كلا من فرنسا وروسيا وتركز كل ثقلها العسكري في العراق
والجزيرة العربية لتنتزعها من أيدي الرجل المريض ولتستأثر بمواردها
وخيراتها ومواقعها الاستراتيجية ولا سيما العراق مفتاح الهند .

الفصل التاسع

خاتمة المطاف في الصراع على البترول في الخليج

في الوقت الذي كانت فيه الدول الاوربية الكبرى ، بريطانيا وفرنسا والمانيا وروسيا ، تتصارع على امتلاك طرق المواصلات وموارد التجارة في الخليج العربي والامبراطورية العثمانية ، أخذ عامل جديد بالظهور ، وراح يصبغ هذا الصراع بصبغته الخاصة . هذا العامل الجديد هو معرفة النفط واستعماله في الوقود بدلا من لفحم في السفن والقطارات والمحركات الاخرى كان الاميرال اللورد فيشر قائد البحرية البريطانية أول من كشف سنة ١٨٨٢م ان في الامكان استعمال النفط في تسيير البواخر ، وان ذلك من شأنه ان يضاعف من أهمية الاسطول البريطاني ويزيد من قوته بمقدار الثلث ولهذا السبب كان اللورد فيشر يدعو الانكليز دائما قائلا « استعدوا للحرب النفط ! »

وكانت الولايات المتحدة الامريكية قد عرفت النفط ، واستخرجته من باطن الارض ، واستخدمته في الوقود قبل غيرها من البلدان الاخرى فسي العالم . ففي سنة ١٨٦٢م أسس جون دافيسون روكفلر أول شركة للنفط

الفصل السابع

الصفحة الاخيرة للصراع البريطاني التركي الروسي في الخليج

باقتراب سنى القرن التاسع عشر من الاختتام بدأت الصفحة الاخيرة من الصراع على السيادة في الخليج العربي بين تركيا وبريطانيا وروسيا كانت بريطانيا ، بعد ان تخلصت من منافسة البرتغال وهولندا واعاقت فرنسا عن امتلاك أي موقع قوي لها على طريق الهند ، قد عمدت الى ربط شيوخ ورؤساء الخليج العربي معها باتفاقات ومعاهدات لا تخرج في تطبيقها العملي عن اتفاق الذئب مع الحمل .

فبالنسبة الى الكويت كانت الحكومة البريطانية تزعم ان الشيخ عبدالله الصباح قد طلب في سنة ١٨٠٥م حمايتها له من خطر الوهابيين ، ولذلك حاولت بعد سنتين من ذلك التاريخ حمله على عقد اتفاق معها بهذا الشأن فلم يقبل بذلك وقد جددت بريطانيا محاولتها تلك في عهد الشيخ جابر الصباح سنة ١٨٥٦م . لكن أهمية الكويت برزت في نظر بريطانيا بصفة جدية بعد تجريد الحملة التركية على نجد سنة ١٨٧١م فقد اخضعت تلك الحملة

الاحساء للحكم التركي ، ووطدت تبعية الكويت للباب العالي اذ ان شيخ الكويت كان قد رفع العلم التركي على قصره ، وجهاز قوة برية وبحرية لمعاونة الاتراك في حملة الاحساء . وازاء ذلك حصل شيخ الكويت على لقب « باشا » وعلى املاك واسعة له في منطقة الفاو . كما ان بريطانيا ذاتها قد اعترفت بسيادة تركيا على الاحساء والقطيف والكويت والعقير مقابل بقاء السيادة البريطانية على السواحل .

لكن مخاوف بريطانيا من النفوذ التركي في الخليج بلغت ذروتها سنة ١٨٨٧م عندما شرع والي البصرة سليمان نظيف باشا يقوي علاقاته مع امراء الخليج العربي ، ويضمهم الى الحماية التركية ، وكان من بين هؤلاء آل خليفة امراء البحرين الذين رفعوا العلم التركي على بلادهم في تلك السنة اعترافا منهم بالحماية التركية .

ومما تجدر الاشارة اليه ان بريطانيا هاجمت البرتغاليين في البحرين واخرجتهم منها سنة ١٦٢٢م كما اسلفنا ذكره ، لكنها لم تحتل البحرين بل سلمتها الى ايران حتى سنة ١٧٨٣م عندما هاجمت قبائل « العتوب » العربية البحرين من « زيارة » فحررتها من الفرس ، واقامت حكومة لها فيها . وقد حاول سلطان مسقط مهاجمة البحرين فاستنجد اهلها بالوهابيين الذين مكثوا فيها حتى سنة ١٨١٠م ، وبعد عشر سنوات اقدمت بريطانيا على ربط شيخ البحرين بمعاهدة مماثلة . ولم تكثف بريطانيا بذلك بل حاولت احتلال البحرين واعلان حمايتها عليها . ولما لم تستطع الى ذلك سبيلا جددت معاهدتها السابقة باخرى جديدة في سنة ١٨٦١م التي فرضت الحماية البريطانية على البحرين .

وبعد ان تمركز الاتراك في الاحساء والقطيف واخذوا يتقربون الى شيخ البحرين عادت بريطانيا فالزمته بتوقيع معاهدة جديدة معها تعهد فيها بان « لا يتنازل ولا يبيع ولا يؤجر ولا يأذن باحتلال أي جزير من املاكه لغير بريطانيا » . واعقبت ذلك بتعيين معاون وكيل سياسي لها في البحرين سنة ١٩٠٠م . رفع الى درجة وكيل في سنة ١٩٠٤ .

ويرجع اهتمام الانكليز بالكويت لاول مرة الى سنة ١٧٧٩م عندما هاجمت ايران البصرة واخطرت الوكالات الاجنبية ، ومنها الوكالة الانكليزية ، الى الانتقال منها الى الكويت وحين هدأت الامور عادت الوكالة الانكليزية الى البصرة ثم انتقلت منها ثانية الى الكويت سنة ١٧٩٣ .

ومثل هذا فعلته بريطانيا مع قطر حيث عقدت مع حاكمها معاهدتين
الاولى كانت في سنة ١٨٢٠ والثانية في سنة ١٨٣٥ .

وحين اراد شيوخ البحرين وابي ظبي مهاجمة قطر سنة ١٨٦٧م تدخلت
بريطانيا في الامر واستغلت تلك الحادثة فربطت شيخ قطر بمعاهدة جديدة
تعهد فيها ان يعترف بسيادة البحرين على بلاده ، وان يرفع كل خلاف يقع
بينه وبين جيرانه الى المقيم البريطاني في الخليج .

ولقد وجد شيخ قطر في حملة مدحت باشا على الاحساء فرصة سانحة
له للتحرر من المعاهدة التي كبله الانكليز بقيودها أعلن خضوعه للحماية
التركية ، وعين لقاء ذلك قائمقاما على قطر وكانت تركيا قد انشأت لها قوة
بحرية في البدعة [الدوحة] عاصمة قطر الآن ، ومرسى للسفن ومحطة
للنحم . ويبدو ان من بين ما اقدم عليه سليمان نظيف باشا والي البصرة في
قطر هو انه شرع بتقوية الحامية التركية في البدعة والاتفاق مع شيوخ عمان
وشيخ حائل عبدالعزيز بن متعب الرشيد .

وضاعفت تركيا من نشاطها هذا بان بعثت باحد رجال الدين ، هو
الشيخ احمد بن اسعد الى نجد وذلك التهيئة الاذهان لبسط الحماية التركية
على قطر بصفة رسمية .

وما ان علمت بريطانيا بهذه الاحداث حتى هددت تركيا على لسان
السفير البريطاني في اسطنبول الذي اتى وزارة الخارجية التركية في ٢٢
نيسان ١٨٩٣ بعزم حكومة الهند على ارسال حملة عسكرية هندية الى قطر .
ولقد استاء سعيد باشا رئيس الوزارة التركية من لهجة السفير البريطاني
تلك ورد عليه بان تركيا تعتبر جميع المناطق الواقعة على ساحل الخليج
جنوبي البصرة حتى ساحل عمان ، مناطق تابعة لولاية البصرة ذاتها وان
تركيا سبق لها ان وضعت حاميات تركية في تلك المناطق .

ولم تقنع بريطانيا برد سعيد باشا هذا وكررت طلباتها الى تركيا بان
تسحب قواتها من قطر ، وان تعترف باستقلالها تحت حكم عائلة آل ثاني .
وازاء ذلك تعاظمت اطماع الشيخ جاسم آل ثاني فطلب الى اخيه احمد
بان يدخل في مفاوضات مع الانكليز لعقد معاهدة جديدة معهم على غرار
معاهدة سنة ١٨٦٨ . وقد سمح الانكليز لقاء ذلك للشيخ جاسم بان يدفع
ضريبة سنوية الى السلطان العثماني لكن السلطان عبد الحميد الثاني لم يقنع
بهذه التسوية وأراد تجريد حملة عسكرية على قطر لولا تدخل السيد ابي

الهدى الصيادي الذي حال دون ارسال تلك الحملة . وحينئذ بعث الشيخ جاسم الى السلطان عبدالحميد برسالة مطولة يعتذر فيها عما بدر عنه ، ويطلب العفو منه ، ويعلن انه مطيع وموال للخليفة ، وانه يرحب برفع العلم العثماني على قصره .

وحين بدأ الانكليز يتحرشون بشيخ قطر استعدت قبائل « البوعلي » وهي من قبائل العتوب التي نزلت البحرين سنة ١٧٨٣م ثم هجرتها الى الزبارة فاستقرت فيها، لمساعدة شيخ قطر ومهاجمة الانكليز . وقد اتصلت هذه القبائل بالسلطات التركية فبعثت هذه اليها بقوات جديدة لكن الانكليز ما فتئوا قبل وصول النجدة التركية ان ارسلوا قطعاً من اسطولهم الى زبارة هاجمت قبائل البوعلي ، ودمرت ما لا يقل عن أربعين سفينة من سفنهم . وقد احتجت تركيا على هذا العدوان وبعثت بمذكرات احتجاج عديدة الى بريطانيا بشأنه . ومع ذلك ظلت قطر تابعة لتركيا اسمياً حتى سنة ١٩١٢ عندما اعترفت الاستانة بالحماية البريطانية على قطر .

اتجهت بريطانيا بعد ذلك الى روسيا لوقفها عند الحدود التي بلغتها في شمالي ايران . وكانت بريطانيا قد أخذت تفكر بالخطر الروسي منذ الاتصالات التي جرت بين نابليون والقيصر الروسي ، وكان وكلاء بريطانيا في ايران والخليج العربي والعراق وتركيا، يتعقبون نشاط روسيا بكل دقة ، ولذلك كانت بريطانيا تدرس جميع الاحتمالات المترتبة على وقوع تصادم مسلح مع روسيا في الشرق الادنى ، كما دأبت على احداث الشقاق بين روسيا والمانيا لان وقوع الحرب بينهما من شأنه أن يضعف كلا منهما ويوقف الخطر الروسي الذي يهدد شمالي الهند .

ويبدو ان روسيا وجدت ان افضل طريق امامها للوصول الى الخليج هو التغلغل في الافغان وايران . ولذلك شرع الانكليز يقوون اتصالاتهم مع عرب المحمرة وعربستان وقبائل البختيارية الايرانية تمهيدا لاستخدامهم في مقاومة النفوذ الروسي عند الحاجة .

وفضلاً عن ذلك فقد اقترح بعض المسؤولين في بريطانيا والهند ومنهم اللورد كرزن وضع قوات انكليزية بصفة دائمة في شبه جزيرة « مسندم » لاستخدامها ضد الروس . وكان الانكليز يفكرون في الميناء الذي ستستخدمه روسيا نقطة وثوب لها في الخليج لان تمرکزها في ميناء كهذا ولو تحت ستار اقامة محطة وقود للسفن الروسية ، سيمكنها من الاتصال

بشيوخ الخليج ومحاولة اجتذابهم الى جانبها . وقد حدث ما كانت بريطانيا تخشاه فعلا حين حاول الروس الاتصال بالشيخ مبارك أمير الكويت ، وعبدالعزیز بن السعود أمير نجد سنة ١٩٠٢ واغراضهما بعقد معاهدات معهم . كانت وسائل المواصلات ، ولاسيما سكك الحديد ، من أهم ما اعتمدت عليه روسيا في النفاذ الى ايران والخليج العربي . وقد أعدت الخطة لمد خط حديدي يربط قزوين في الشمال بميناء بندر عباس في الجنوب ، وقد عالج اللورد هاملتون نائب الملك في الهند خطر هذه السكة في مذكرة سرية بعث بها الى وزير الخارجية البريطانية في الثالث من نيسان سنة ١٩٠٠ . ومما جاء فيها قوله « اننا نحتكر التجارة في الخليج الفارسي بصفة عملية فهل في مقدورنا ان نحتفظ بذلك في وجه امتداد خط حديدي الى الخليج الفارسي لانه سيخرق احتكارنا لطرق النقل البحري التي نملكها هناك ؟ هل نستطيع ان ندعي انه لما كانت ايران مجاورة لبلوخستان فهي مجاورة للهند ، ولئلا لا يحق لاي طرف ان يمتلك اي جزء يسهل معه غزو الهند أو يقلل من مكانتنا السياسية هناك ! »

ورغم كل هذه الاحتياطات التي اتخذتها بريطانيا وجهودها المتواصلة لتثبيت نفوذها في ايران والعراق ، فان روسيا كانت نشطة جدا في ايجاد موطىء قدم لها في الخليج وقد عمدت حتى الى الاحتيال في ذلك . ففي الرابع عشر من آذار سنة ١٩٠٠ رسا الطراد الروسي « جلياك » في ميناء بندر عباس لشراء كمية من الفحم وقد تم شحن قسم منه وبقى قسم آخر في الميناء بدعوى ان عنابر الطراد لا تتسع له وانه سيعود ثانية الى الميناء لنقل الفائض من الفحم غير ان الانكليز فطنوا الى هذه اللعبة فالحوا على شاه ايران أن يرفض طلب السفينة الروسية ، وان يرغمها على نقل الفحم كله مرة واحدة .

كان القنصل الروسي في بغداد على ظهر ذلك الطراد . وحين عاد من رحلته في الخليج كتب الى العاصمة بطرسبرغ يقترح عليها فتح خط للباخرة الروسية بين الموانيء الروسية والخليج العربي ، وتأسيس بنك روسي في أحد موانيء الخليج ، وانشاء محطة للفحم في بوشهر ، وتأسيس قنصلية روسية فيها ، وابقاء طراد روسي بصفة دائمة في ميناء بندر عباس . وفي الحادي والعشرين من آذار سنة ١٩٠١ زار قنصل روسيا في اصفهان ، وهو من الاسرة المالكة ، ميناء بوشهر واجتمع بالعقيد كابيل

المقيم البريطاني هناك وقد قوبلت هذه المحاولة الروسية بالقلق والامتعاض من لدن بريطانيا . حتى اذا تجددت الاشاعات عن عزم روسيا على مد خط حديدي الى الكويت ثارت ثائرة بريطانية حيث أعلن اللورد لانسدون وزير الخارجية البريطانية في مجلس اللوردات « اننا نعتبر اقدام أية دولة أخرى على تأسيس قاعدة بحرية أو ميناء محصن في الخليج الفارسي تجاوزا على المصالح البريطانية من واجبا ان نرده بكل ما لدينا من الوسائل .

وما لبث الصراع البريطاني الروسي على ايران والخليج ان لبس لبوسا جديدا . فقد أخذت كل من الدولتين تتظاهر بالعطف على اهالي الشعب الايراني في الحرية والتخلص من الحكم الفردي الاقطاعي والتمتع بالحياة الديمقراطية . ولذلك شرعت كلتا الدولتان تتظاهران بتأييد الحركة الدستورية في ايران ومساندة المعارضة فيها مما سهل لوكلاء الانكليز والروس التغلغل داخل تلك الحركة وشراء ذمم بعض رجالاتها الكبار بالمال .

على أن عاملا جديدا كان قد ظهر على المسرح آنذاك ودفع بروسيا وبريطانيا الى ايقاف الصراع بينهما ذلك العامل هو بروز النفوذ الالماني الذي أخذ يكتسح تركيا والولايات التابعة لها ويشق طريقه نحو العراق والخليج . هنا وجدت الدولتان المتنازعتان روسيا وبريطانيا ان مصالحهما تقضي عليهما بالاتفاق على تقسيم ايران الى منطقتي نفوذ لهما وقد تم ذلك فعلا بالمذكرة المشتركة التي قدمها السفيران الروسي والبريطاني في ايران في الحادي عشر من شهر ايلول سنة ١٩١٧ الى الحكومة الايرانية .

وقد ظل هذا الاتفاق الروسي الانكليزي بشأن ايران ساري المفعول حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى وقيام الثورة الشيوعية في روسيا .

الفصل الثامن

سكة حديد بغداد - برلين والزحف الألماني نحو الشرق

جاء ظهور الثورة الصناعية وبروز الرأسمالية في ألمانيا متأخرا عنه في غيرها من البلدان الأوروبية الأخرى ولا سيما بريطانيا وفرنسا . وكان من نتيجة ذلك ان تأخرت ألمانيا في مسابقة دول أوروبا على اقتسام العالم الجديد (الأمريكتان وأستراليا) وأفريقيا وآسيا . حتى اذا غدت ألمانيا دولة صناعية قوية ذات رأسمالية متحفزة للحصول على المواد الخام والأسواق الخارجية وجدت ان منافسيها من انكليز وفرنسيين وبرتغاليين وهولنديين وبلجيكيين قد سبقوها الى انشاء المستعمرات الكبرى ، واحتكار الأسواق الواسعة ، والاستثمار بالمواد الخام في بقية العالم خارج القارة الأوروبية . ولذلك اندفعت ألمانيا بكل قوتها نحو القارتين القديمتين آسيا وأفريقيا تبحث فيهما عن موطئ قدم لها ، ومنازعة منافساتها من الدول الأوروبية الأخرى هناك فاستطاعت في أفريقيا أن تضع يدها على الكمرن وجنوبي أفريقيا . أما في آسيا فقد ركزت اهتمامها في تركيا والعراق بصفة خاصة وذلك

لان الاوضاع فيهما كانت مهيأة للتوغل ، وللاستحواذ على ما فيهما من اسواق وخامات .

كان الكونت هتزفيلد سفير المانيا في اسطنبول في مقدمة العاملين على توطيد النفوذ الالماني في تركيا . . فقد استطاع هذا أن يستغل نفور الباب العالي من الانكليز والفرنسيين ، وان يتقرب من السلطان وحاشيته . وقد أثمرت مساعيه تلك سنة ١٨٨٣م حين وافق السلطان على أن تتولى بعثة عسكرية المانية تدريب الجيش التركي بدلا من البعثة الفرنسية . وسارعت المانيا في ارسال تلك البعثة الى تركيا في الحال وكان يقودها الفيلد مارشال فون در غولز الذي أصبح له مقامه المرموق في تعزيز النفوذ الالماني في الاستانة .

ولقد هيا التدهور الاقتصادي والارتباك المالي في تركيا مجالات واسعة امام المغامرين من الممولين الانكليز والفرنسيين والالمان . وكانت مشاريع مد خطوط البرق ، وسكك الحديد ، وانشاء المصارف في مقدمة الاهداف التي سعت الدول الاوربية المتنافسة الى تحقيقها لأول مرة في تركيا ولا سيما بعد الافلاس الذي أصاب الخزينة التركية سنة ١٨٧٥م . ولذلك اعقب وصول البعثة العسكرية الالمانية الى تركيا قيام « شركة هاندل شفرين » الالمانية بارسال وفد منها الى لبنان لجمع المعلومات الاقتصادية عن الشرق العربي .

وفي سنة ١٨٨٨م نجح المصرف الالماني في التوقيع على اتفاقية مع الحكومة التركية لمد سكة حديد حيدر باشا - انقره البالغ طولها اربعمائة وخمسة وثمانين ميلا . ومن وقتها اشيع ان هذا الخط لن يقف عند انقره وانما سيمتد منها الى العراق فالخليج العربي وبذلك يدق باب الهند .

عندما تولى ولهم الثاني عرش المانيا سنة ١٨٨٩م أظهر رغبة شديدة في توطيد النفوذ الالماني في تركيا والبلاد التابعة لها . فخرج اثناء جولته في اوربا على الاستانة حيث لقي من السلطان عبدالحميد الثاني بالسخاء والتكريم والترحاب . واعقب هذه الزيارة التوقيع على معاهدة تجارية بين تركيا ومانيا سنة ١٨٩٠م .

وكانت شركة خطوط الاناضول ، وهي شركة المانية ، قد تألفت سنة ١٨٨٨م وبعد ان ضمننت تأييد البنك الالماني لها شرعت بمد خط حديدي من أزمير الى انقره وكان مقررا ان يمتد هذا الخط الى ديار بكر فالموصل فبغداد .

في العالم كله برأسمال قدره مليون دولار . وفي سنة ١٨٩٠م تأسست في لاهاي شركة النفط الملكية الهولندية برأسمال قدره مليون وثلاثمائة ألف فلورين وذلك لاستغلال البترول في جزر الهند الهولندية ، أي اندونيسيا . وقد عرفت هذه الشركة مؤخرا باسم شركة « شل » .

اما الانكليز فقد دخلوا ميدان النفط متأخرين حيث اسسوا أول شركة لهم سنة ١٩٠٢م وهي شركة نفط بورما لاستثمار النفط في بورما وآسام . ومع ذلك فقد كان الالمان اسبق من غيرهم في التنقيب عن النفط في الشرق الاوسط وفي العراق بالذات فقد استغلوا تقاربهم مع الحكومة العثمانية فشرعوا يرسلون البعثات والمستكشفين بحثا عن النفط والمعادن في تركيا والبلاد التابعة لها .

ففي سنة ١٨٤٦م اكتشف المهندس الالماني الدكتور رورباخ بئر نفط في القيارة جنوبي الموصل . وفي سنة ١٨٧١م كشف الجيولوجي مايسنر آبار نفط في مندلي .

وفي الخامس من شهر رجب سنة ١٣٠٦ هجرية رومية ، اي سنة ١٨٨٩م أصدر السلطان عبدالحميد الثاني ارادة سنية (فرمان) حصر بها امتيازات التنقيب عن النفط في الامبراطورية العثمانية بخزائنه الخاصة . ويذكر المستر « لونفريخ » صاحب المؤلفات الشهيرة عن العراق والبتترول في الشرق الاوسط ، ان الوسيط الارمني المشهور «غلبنكيان» هو الذي حمل السلطان عبدالحميد على أن يضم جميع مناطق البترول في الامبراطورية العثمانية الى خزائنه الخاصة وذلك على أساس التقارير السرية التي وضعها غلبنكيان عن النفط في تركيا الاسيوية ومنطقة الموصل .

وعندما كان التنافس على أشده بين بريطانيا وروسيا في ايران استطاع احد الجواسيس الانكليز ، وهو البارون جوليس رويتر ، ان يجوب مناطق ايران الشاسعة بحثا عن مصادر الثروة فيها . ولقد تمكن بدائه وبالعلاقات الودية التي أقامها مع اركان الحكومة الايرانية ، ان يظفر منها بامتياز لد سكة حديد تمتد من بحر قزوين حتى ساحل الخليج العربي . وعلاوة على ذلك منح البارون رويتر حق استثمار المعادن كالفحم والحديد والنحاس والنفط وغيرها في ايران بدون ان ينافسه في ذلك منافس آخر . وقد وقع على اتفاقية هذا الامتياز في الخامس والعشرين من شهر حزيران سنة ١٨٧٢م الحاج مرزا حسين خان رئيس الوزارة الايرانية والمستر « كوت »

مندوب البارون رويتر ، ثم اقترن توقيعها بمصادقة الشاه ناصرالدين عليها . ونصت الاتفاقية على أن تكون مدة الامتياز سبعين سنة .

غير ان الحكومة البريطانية لم تكتثرت كثيرا لهذا الامتياز الذي ناله أحد رعاياها النشطين لانها كانت متأكدة ان امتيازها كهذا لا يمكن أن يدوم طويلا حتى ولو لم تقاومه روسيا . ولسنا نعرف سبب هذا الموقف الغريب الذي وقفته الحكومة البريطانية من امتياز رويتر ، ولا أن تفسر ابتهاج اللورد كرزن بالغاء الامتياز من قبل الشاه بدعوى ان ما انجز منه لا يتناسب مع المدة المقررة له . وقد أعرب اللورد كرزن عن موقفه هذا من المشروع حين قال « ما دام هدف السياسة البريطانية هو دعم ايران وتقويتها فانه ليسرنا ان نرى المشروع الذي كاد يشل حيويتها يتحطم وينهار » .

والحقيقة ان الروس هم الذين قاوموا امتياز البارون رويتر ، وهم الذين أثاروا الشاه ضده . فحين كان الشاه ناصرالدين خارج ايران ، واعتقد في زيارة بريطانيا ، اعلن عن ندمه لمنح ذلك الامتياز فكتب بهذا الى عمه الذي كان ينوب عنه في الحكم في ايران ، فاستغل عمه هذه الفرصة وأثار التظاهرات الصاخبة ضد الشاه ناصرالدين في كل انحاء ايران ، وجعل المتظاهرين يشترطون الغاء لامتياز رويتر مقابل السماح للشاه ناصر الدين بالعودة الى بلاده وعرشه وقد اغرى رجال الدين بالمال فاصدروا الفتاوى بتحريم السلع الاجنبية وهكذا تم الغاء الامتياز وقنع البارون رويتر من الغنيمة بحق انشاء مصرف مالي له في ايران .

وفي سنة ١٨٨٤م حصل شخص آخر يدعى (م . هوتز) على امتياز بالتنقيب عن النفط في جزيرة قشم واسس لهذا الغرض شركة دعاها شركة التعاون الحقوقية . وقد حفرت هذه الشركة آبارا في منطقتي « دالكي » و « صالح » في جزيرة قشم على عمق مائتين وسبعين مترا . ولما لم تعثر على النفط هناك انحلت والغي امتيازها .

وفي سنة ١٨٩٩م أقدم شاب انكليزي يدعى وليم نوكس دارسي على مغامرة عجيبية في سبيل البحث عن البترول في ايران والعراق . كان هذا الشاب قد هاجر من موطنه انكلترا الى استراليا وبعد ان جمع بعض المال هناك وعاد الى انكلترا استهوته مغامرات البحث عن النفط ولاسيما بعد ان قرأ تقريرا للعالم الأثاري الفرنسي الشهير « مورغان » الذي اكتشف مسألة حمورابي في انقاض مدينة « سوسة » بايران وذكر في تقريره ذلك وجود

آثار للنفط في تلك الاصقاع . وبعد سفرة محفوفة بالاخطار الى شمالي
ايران قام بها دارسي عاد الى بريطانيا واخذ يغري بعض الممولين الانكليز
بالاسهام معه في هذه المغامرة غير ان احدا لم يأبه بمشروعاته تلك .

ورحل دارسي ثانية الى ايران وانشأ خطاً حديدياً صغيراً فيها در
عليه بعض الربح فعاوده اذ ذاك هوسه القديم في البحث عن النفط ،
واستطاع وهو في طهران ان يوثق علاقاته مع الشاه مظفرالدين وان يصور
له مدى الثراء الذي سيحصل عليه من وراء الكشف عن الذهب الاسود
في بلاده . واذ ذاك وافق الشاه على منحه امتيازاً بالبحث عن النفط مقابل
عشرين لف باون يدفعها دارسي الى الشاه ، وهكذا تم التوقيع على ذلك
الامتياز الخطير في الثامن والعشرين من أيار سنة ١٩٠١ .

وبعد سنوات من البحث المضني وتأرجح بين اليأس والامل تفجر
النفط في منطقة « تستر » (ششتر) . وصقع العالم لدى سماعه ذلك
النبا الخطير وتسابق ملوك النفط في البحث عن دارسي ومراودته في بيع
امتيازها او المشاركة فيه واخيراً استطاعت البحرية البريطانية عن طريق
احد جواسيسها الذي تزيا بزى راهب ورافق دارسي في السفينة التي كانت
تقله من ايران الى استراليا ، ان يخدع دارسي وينتزع منه الامتياز الخطير
عن طريق تحويله الى احدى بعثات التبشير الموهومة التي يمثلها ذلك
الراهب المزيف . وحين رست السفينة في ميناء نيويورك اسرع ذلك الراهب
الى دائرة البرق ليظير البرقية التالية الى العاصمة البريطانية :

لندن ١٠ داونغ ستريت

لاجل الامير تم التوفيق

سدني

وكان شرح هذه لبرقية يعني « بلغوا امير البحرية البريطانية ان امتياز
دارسي قد اصبح في حوزتها » اما ذلك الكاهن لمزيف فلم يكن سوى
الجاسوس البريطاني اليهودي الاشهر « روزنبوم » او المعروف باسم
« سدني رايلي » .

وحين احتاجت شركة دارسي الى بعض المال سارعت الحكومة
البريطانية الى مدها به لقاء شراء عدد كبير من اسهمها . وقد كشف النقاب
فيما بعد ان السر ونستون تشرشل الذي تولى وزارة البحرية البريطانية

سنة ١٩١٢ كان قد سح شركة دارسي مليوني باون بصفة سرية • ولم
تمض بضعة اشهر حتى اصبحت الحكومة البريطانية تمتلك اثنين وخمسين
في المائة من مجموع اسهم شركة دارسي التي اصبحت تدعى (شركة النفط
الانكليزية الفارسية) •

* * *

ومع ان الالمان كانوا اسبق من غيرهم في البحث عن النفط في تركيا
والعراق الا ان الامريكيين كانوا اول الذين حاولوا الحصول على امتيازات
بالتنقيب عن البترول في تركيا والاقطار التابعة لها • وهذا بعد ذاته يمثل
مرحلة جديدة من مراحل الصراع على الخليج العربي بعد ان تبدلت صفة
هذا الصراع في اوائل القرن العشرين واصبح الغرض منه السيطرة على
منابع البترول فيه وليس احتكار اللؤلؤ وطرق المواصلات والتجارة فيه
حسب •

كان الاميرال • كولبي جستر - وهو من موظفي وزارة البحرية
الامريكية اول الذين حاولوا الحصول على امتيازات للتنقيب عن البترول في
العراق وذلك اثناء وجوده في الاستانة سنة ١٨٩٦ م •
كذلك حاول وليم دارسي في سنة ١٩٠٤ ان يحصل على امتياز بالبحث
عن النفط في الامبراطورية العثمانية وكاد ينجح في ذلك لولا المعارضة التي
اثارها الالمان ضده •

وحين حدث الانقلاب العسكري الذي قام به اعضاء جمعية الاتحاد والترقي
بقيادة البطل العراقي الشهيد محمود شوكت باشا شقيق المرحوم حكمت
سليمان ، ذلك الانقلاب الذي نعتقد ان الانكليز لعبوا دورا كبيرا في الاعداد
له وانجاحه ، تنفس الانكليز الصعداء لان الاتحاديين فتحو المجالات الواسعة
امام بريطانيا للظفر بامتيازات عديدة في الاراضي التركية ومنها البحث عن
النفط حيث تم في سنة ١٩١٠ م تأسيس البنك العثماني برؤوس اموال
انكليزية ليقوم بهذه المهمة •

وقد توحدت المصالح الانكليزية والالمانية بوجه المنافسة الامريكية
حيث تم تأسيس شركة الامتيازات الافريقية الشرقية برأسمال قدره
خمسون الف دينار • وكان التنقيب عن النفط من الامتيازات التي ظفرت
بها هذه الشركة من الحكومة التركية سنة ١٩١١ م وما لبثت بعد ذلك ان
غيرت اسمها الى « شركة النفط التركية » وحصل البنك الالمانى على خمسة

وعشرين في المائة من اسهمها . ومنح غلبنكيان خمسة في المائة من الاسهم تقديرا لجهوده في حمل الحكومة التركية على منح امتياز البترول الى الشركة المذكورة . اما بقية الاسهم فقد ذهبت الى الشركات الانكليزية . والفرنسية وبهذه الوسيلة نال الانكليز حصة الاسد من نفط العراق بعد ان احتكروا وحدهم نفط ايران حتى سنة ١٩٥٣ .

* * *

كانت البحرين ثاني بلد عربي بعد العراق واولى بلدان الخليج الذي اتجهت انظار شركات النفط الاحتكارية اليه . ففي سنة ١٩١٤م اعطى شيخ البحرين تعهداً الى بريطانيا بان لا يستثمر هو بنفسه اي حقل للنفط في بلاده ولن يسمح لغير بريطانيا بذلك ايضا . وقد ورد هذا التعهد في صورة كتاب وجهه شيخ البحرين عيسى بن خليفة الى المقيم البريطاني في يوشهر انذاك السر برس كوكس .

وفي اواخر الحرب العالمية الاولى ظهر فرنك هولمز على مسرح النفط في الخليج العربي وكان هذا الرجل في الاصل مهندسا انكليزيا عمل في مناجم الذهب بنيوزيلندا والمكسيك ثم عاد الى بريطانيا والتحق بالبحرية البريطانية ووصل الى رتبة مقدم . وما لبثت احلام الشرق والنفط ان راودته فاقنع بعض اصدقائه من المهندسين في لندن بانشاء شركة في سنة ١٩٢٠م باسم « الشركة الشرقية العامة » . وكان من بين آمال هذه الشركة ان تحصل على امتيازات بالتنقيب عن النفط في الشرق .

وفي عام ١٩٢١ رحل هولمز الى الخليج العربي واستغل وجود الامير عبدالعزيز بن سعود في مؤتمر العقير الذي عقده السر برس كوكس لتسوية الحدود بين العراق ونجد والكويت فعرض هولمز على ابن السعود ان يمنحه اذنا بالتنقيب عن النفط في نجد لكن السر برس كوكس نصح ابن السعود ان يرفض هذا العرض . وفي سنة ١٩٢٥ استطاع هولمز ان يقنع ابن السعود بمنحه امتيازاً للبحث عن البترول ، كما حصل على وعود بامتيازات مماثلة من شيخ البحرين ومن شيخ الكويت . وقد عرض هولمز تلك الامتيازات على الممولين الانكليز في لندن فاغربوا عنها ولم تقبل بالاشترك فيها او شرائها حتى شركة شل البريطانية وشركة النفط الانكليزية الفارسية واذك رحل هولمز الى امريكا فباع امتيازاته تلك الى شركة الخليج الامريكية والتي باعتها بدورها الى شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا ثم انتقل في النهاية

الى شركة « سوكال » الامريكية في الحادي والعشرين من كانون الاول
سنة ١٩٢٨ .

وما ان علمت بريطانيا بالامر مؤخرا حتى طلبت ان يحصر امتياز
النفط في البحرين باسم شركة بريطانية وحدها . وبعد مداولات بين
الحكومتين الامريكية والبريطانية تقرر ان يتم تسجيل الشركة في كندا
باسم الامريكان وان تكون ادارتها بيد الانكليز . وهكذا كسبت أمريكا
الجولة الثانية في صراع البترول في الشرق الاوسط فأصبح نفط البحرين
خالصا لها كله . وقد بوشر بالحفر في منطقة العوالي في تشرين اول ١٩٣١
وفي ٣١ ايار ١٩٣٢ تدفق النفط من بئر يزيد عمقه على ألفي قدم .
وانتقل الصراع على النفط بين الشركات الامريكية والانكليزية الى
السعودية أيضا .

كان أمير نجد عبدالعزيز بن سعود قد منح الانكليز سنة ١٩١٥ حق
الاعتراض من قبلهم على أي امتياز للتنقيب عن النفط في بلاده يمنحه الى
أية جهة غير بريطانية . وقد استطاع فرنك هولمز ان يحصل في ايار سنة
١٩٢٣ على اجازة من ابن السعود بالبحث عن البترول في بلاده مقابل
مبلغ سنوي وان تتجدد هذه الاجازة كل سنتين . وارسلت شركة هولمز
احد المهندسين السويديين فقامت بالبحث عن النفط في المنطقتين الشرقية
والشرقية الشمالية أي الاحساء . وفي سنة ١٩٢٧ وقع ابن سعود أول
معاهدة له مع بريطانيا وبموجبها ألغى حق بريطانيا في الاعتراض على منح
امتيازات النفط في بلاده . ولما كانت شركة هولمز قد اخفقت في العثور على
النفط فقد اشترت شركة سوكال الامريكية حق الامتياز منها أيضا . كما
انسحبت شركة نفط البحر الاحمر - وهي فرع من شركة النفط المصرية
الانكليزية - من الميدان أيضا سنة ١٩٢٩ بعد ان اخفقت في العثور
على النفط .

وبفضل الدور الهام الذي لعبه جون فلبس الذي اشتهر باسم الحاج
عبدالله فلبس منح امتياز النفط في السعودية سنة ١٩٣٣ الى شركة سوكال
الامريكية وهكذا استأثرت امريكا وحدها بنفط السعودية منذ ذلك
الوقت .

وكانت شركة النفط الفارسية الانكليزية أول من فكر بالتنقيب
عن النفط في الكويت وقد ارسلت في سنة ١٩١٧ مهندسين عنها للبحث

عن النفط في القرب من امديرة وتامرون .
واستطاع فرنك هولمز رغم تحذيرات السر برس كوكس ومنافسة
شركة النفط الفارسية الانكليزية ان يحصل من الشيخ أحمد الصباح حاكم
الكويت في سنة ١٩٢٢ على امتياز بالبحث عن النفط في المنطقة المحايدة
وحدها وما لبث ان حول ذلك الامتياز الى شركة الخليج الامريكية .

وبعد مباحثات بين الانكليز والامريكان استمرت سنوات عديدة تم
الاتفاق في ١٣ كانون اول سنة ١٩٣٣ على انشاء شركة انكلو امريكية
للبحث عن النفط في الكويت وفي ٢٣ كانون اول ١٩٣٤ وقعت هذه
الشركة ، شركة نفط الكويت ، على اتفاقية الامتياز مع شيخ الكويت أحمد
جابر الصباح وجعلت مدة الامتياز خمسا وسبعين سنة .

وفي أوائل سنة ١٩٣٦ ارسلت شركة النفط الانكليزية الفارسية
بعثة خاصة الى مناطق وامارات الخليج برئاسة وليم ريتشارد وليمسن
المشهور باسم الحاج عبدالله وليمسن في العراق خلال الحربين العالميتين .
وقد استطاعت هذه البعثة ان تربط شيوخ قطر وابي ظبي ودبي ورأس
الخيمة ومسقط والشارقة وظفار باتفاقيات حول احتكار حقول
النفط فيها .

لكن الذي حدث هو ان شركة نفط العراق وليست شركة النفط
الفارسية الانكليزية هي التي استطاعت في النهاية ان تظفر بامتيازات
النفط في كل من قطر وابي ظبي .

وكانت اليمن من الاماكن الاولى التي بوشر بالتحري عن النفط فيها
فمنذ سنة ١٩٢٣ سمح لبعض الجيولوجيين الامريكان باجراء مسح نفطي
في ذلك البلد . وتجددت هذه المحاولات مرات عديدة في السنوات التي
سبقت الحرب العالمية الثانية وما بعدها غير ان احدا لم يعثر على النفط
في اليمن لان الامام يحي حميد الدين ومن بعده ولده أحمد ، لم يسمحا
بوجود بعثات تقوم بالتنقيب عن هذه المادة هناك .

وفي ذات الفترة تقريبا ، أي سنة ١٩٢٣ قامت احدى فروع شركة
شل البريطانية بالتحري عن النفط في امارة عسير ، كما حصلت ذات
الشركة في سنة ١٩٢٩ على امتياز للنفط في سلطنة شحر الواقعة شرقي
عدن . وظلت مسودات اتفاقية الامتياز يجري تبادلها ثلاث سنوات حيث

عرضت في النهاية على شركة نفط العراق لكن هذه لم تحفل بها في تلك الايام .

وفي سنتي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ قامت شركة النفط الانكليزية الايرانية بالتنقيب عن النفط في عمان لكن النفط لم يتدفق في تلك الامارة الا في سنة ١٩٦٤ .

وفي ابي ظبي احتكرت شركة نفط العراق كل امتيازات النفط وبوشر بالحفر في جزيرة « داس » حيث تدفق النفط فيها بغزارة سنة ١٩٥٨ ، كما تقوم الآن شركة بريطانية فرنسية مشتركة بالبحث عن النفط في مياه ابي ظبي .

لقد تتابع تنافس الانكليز والامريكان بصفة خاصة على النفط في الاجزاء الباقية من الخليج العربي وقد انتقل هذا التنافس الآن الى المياه أيضا . فبالاضافة الى وجود شركات امريكية وايطالية ويابانية تنقب عن النفط في المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت في الوقت الحاضر تقوم شركتان بريطانية وفرنسية بالتعاون في التنقيب عن النفط في مياه ابي ظبي ودبي . كما تقوم احدى شركات شل بالبحث عن النفط في مياه قطر والساحل السعودي على البحر الاحمر ، وشركات امريكية في مياه الاحساء ، وشركات بريطانية وامريكية في مياه مسقط وعمان فضلا عن سواحل البحرين والكويت وشط العرب . فبعد ان اقتسم الانكليز والامريكان فيما بينهم كل موارد النفط التي اكتشفت حتى الآن في بر الخليج العربي عادوا الى احتكار هذه الموارد في مياهه أيضا .

* * *

ان الخليج العربي الذي كان يؤلف مخزن العالم من اللؤلؤ حتى بداية القرن العشرين ، ويعد اقصر طريق بين اوربا والهند ، وكان مفتاح الحملات العسكرية والتجارية الى الشرق كله ، ان هذا الخليج غدا اليوم من اعظم مخازن العالم للنفط والغاز وراح يتحكم بهذه الصناعة الخطيرة تحكما اساسيا .

ان اغلاق الخليج العربي في اوقات الازمات الدولية فيما مضى ، أو عند ظهور فوران شعبي في احدى مناطقه ما كان ليؤثر تأثيرا اساسيا في ميادين القتال في الشرق . اما اليوم فان ايقاف تدفق النفط في الكويت أو البحرين أو السعودية من هناك الى اوربا - ولو لاسباع قليلة جدا -

يجعلها تقف على حافة الهاوية فيهدد مصانعها بالدمار وجيوشها وإساطيلها بالهزيمة بل ويقضى على حياة الملايين من سكانها قضاء مبرما في فصل الشتاء .

إن القواعد العسكرية التي أنشأتها بريطانيا قبلها في كل جزء من أجزاء الخليج لتحمي بها الطريق إلى الهند والشرق ، إن هذه القواعد قد تحولت الآن إلى مراكز قوية لحماية النفط وتأمين تدفقه إلى أوروبا والعالم . كما إن وجود الأسطول الأمريكي السادس في مياه البحر الأبيض المتوسط بصورة دائمة وزياراته « الودية !! » التي يقوم بها لبعض الموانئ العربية بين فترة وأخرى ، إنما يقصد من ورائه حماية الشركات الأمريكية التي تستغل النفط العربي وترسم سياسة أمريكا في العالم العربي كله . وحتى الاتفاقات والمعاهدات التي ربطت بها بريطانيا شيوخ الخليج العربي وسلطينه منذ أكثر من قرن ونصف لتؤمن بها سلامة طريقها إلى الهند والشرق ، حتى هذه المعاهدات قد تغيرت مهمتها فأصبح القصد منها حماية النفط العربي والشركات الأجنبية التي تحتكره .

لقد أصبح الخليج العربي الآن بحق خليج النفط والغاز بعد أن كان خليج اللؤلؤ والقرصنة . وبعد أن ظل آلاف السنين مسرحا للصراع بين أعظم الإمبراطوريات التي ظهرت على وجه الأرض غدا الآن ميدانا للصراع بين إمبراطوريتين نشأتها من أصل واحد هما بريطانيا وأمريكا وكانت ثابتيهما مستعمرة ذليلة لاأولى فإذا بها الآن تتولى زعامة العالم الخارج عن النطاق الشيوعي كله ، وتتحكم بالسياسة الدولية كلها وتمد نفوذها واستعمارها المستتر حتى إلى الأجزاء التي تحررت من الاستعمار الأوربي القديم .

ملحق

اتفاقات ومعاهدات الخليج العربي

18

18th of the month being the

١ - المعاهدة العامة بين الحكومة البريطانية وشيوخ الخليج العربي

في كانون الثاني ١٨٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الامان نعمة للعاطلين ، لقد تم عقد السلام بين الحكومة البريطانية والقبائل العربية المشتركة في هذا الاتفاق حسب الشروط التالية :

المادة الاولى : يتوقف النهب والقرصنة برا وبحرا الى الابد من جانب العرب المشتركين في هذا لاتفاق .

المادة الثانية : اذا هاجم أى فرد من العرب المتعاقدين مسافرا ما برا او بحرا مهما كانت جنسيته بقصد النهب والقرصنة في غير ما حرب معترف بها نستعيد عدوا للنوع الانساني وسيعتبر كأنما أبيع ماله . ان الحرب المعترف بها هي التي يتم اعلانها جهارا وتشنها حكومة ضد حكومة اخرى . ان قتل الناس وسلب اموالهم بدون اعلان صريح من حكومة ما او اوامر منها، هو نهب وقرصنة .

المادة الثالثة : يحمل العرب المتصالحون (اثناء السفر) في البر او البحر علما احمر ولهم الخيار ان يحمل هذا العلم شيئا من الكتابة أم لا ، ضمن حاشية بيضاء ويكون عرض البياض في الحاشية مساويا لعرض الاحمر كما يظهر لنا الهامش ويؤلف مجموع الابيض والاحمر العلم المعروف لدى البحرية البريطانية باسم بياض تتوسطه حمرة وهذا سيكون علم العرب المتصالحين دون غيره .

المادة الرابعة : ان القبائل العربية المتصالحة ستستمر في علاقاتها السابقة مع بعضها الا أنها ستكون في صلح مع الحكومة البريطانية وانها لن تحارب بعضها بعضا وان العلم سيكون رمزا لهذا لا أكثر من ذلك .

المادة الخامسة : ان سفن العرب المتصالحين جميعها ستحمل معها ورقة « سجلا » تحمل توقيع الشيخ وتحتوي على اسم السفينة وطولها وعرضها وكم طنا حمولتها وكذلك سيكون عندها وثيقة أخرى (رخصة من سلطة الميناء) تحمل توقيع الشيخ وتحتوي على اسم المالك واسم النوخذة وعدد

الرجال والسلاح ومن اين ابحرت ووقت ابجارها والميناء المتوجهة اليه واذا واجهت هذه السفن سفينة بريطانية فسيقدمون لها السجل والرخصة .

المادة السادسة : من الممكن للعرب المتصالحين اذا ارادوا ارسال مندوب الى دار المقيم السياسي في الخليج مع ما يلزم من الوسائل ويبقى هناك للقيام بأعمالهم مع دار المقيم السياسي وللحكومة البريطانية اذا شاءت ارسال مندوب عنها اليهم على نفس المنوال وسيضيف المندوب توقيعاً الى توقيع الشيخ في الورقة (السجل) التي لسفنتهم والتي تحتوي على طول السفينة وعرضها وحمولتها بالاطنان ويجب ان يجدد توقيع المندوب سنويا . هذا وسيكون جميع هؤلاء - المندوبون على نفقة الطرف الذي ينتمون اليه .

المادة السابعة : اذا لم تتوقف اية قبيلة أو جماعة عن النهب والقرصنة فان جميع العرب المتصالحين سيعملون ضدها حسب طاقاتهم وظروفهم وسيجري اتفاق بهذا الخصوص بين العرب المتصالحين والبريطانيين عندما يحدث مثل هذا النهب والقرصنة .

المادة الثامنة : ان اعدام الناس بعد تسليم اسلحتهم هو عمل ممن أعمال القرصنة وليس من أعمال الحرب المعترف بها فاذا قامت قبيلة باعدام جماعة ما سواء كانوا مسلحين أو غير مسلحين بعد أن يكونوا قد سلموا اسلحتهم فستعتبر مثل هذه القبيلة قد خرقت الامن وسيشترك العرب المتصالحون في العمل ضدها مع الانكليز واذا اراد الله فان الحرب ضدها لن تتوقف حتى يجرى تسليم أولئك الذين ارتكبوا تلك الفعل والذين أمروا بها .

المادة التاسعة : ان حمل الرقيق سواء كانوا رجالا أم نساء أم أطفالا من سواحل أفريقيا أو غيرها ونقلهم في السفن هو نهب وقرصنة . ان العرب المتصالحين لن يقوموا بعمل من هذا القبيل .

المادة العاشرة : لسفن العرب المتصالحين التي تحمل العلم الآنف الذكر ان تدخل الموانئ البريطانية وموانئ حلفاء البريطانيين ما دامت تستطيع الدخول ولها ان تبيع وتشتري هناك فاذا هاجمها مهاجم فان الحكومة البريطانية ستهتم بهذا الامر .

المادة الحادية عشر : ان الشروط المتقدمة ستكون مشاعة لجميع القبائل والاشخاص الذين يتمسكون بها فيما بعد على هذه الصورة . حررت في رأس الخيمة في ثلاث نسخ ظهر السبت الثاني والعشرين من

شهر ربيع الاول ١٢٣٥ هجرية الموافق ٨ كانون الثاني ١٨٢٠ ميلادية ووقع عليها المتعاقدون في الامكنة والتواريخ التالية :

وقعت في رأس الخيمة عقب تحريرها .

الجنرال وليم غبرانت كير

حسن بن رحمة

شيخ (?) سابقا شيخ رأس الخيمة

رجب بن احمد شيخ جزيرة الحمراء .

جي . بي ثومبسون - كاتب

وقعت في رأس الخيمة يوم الثلاثاء ٢٥ من شهر ربيع الاول ١٢٣٥

هجريه الموافق ١١ كانون ثاني لسنة ١٨٢٠م

شخبوط شيخ بو ظبي

وقعت في رأس الخيمة ظهر السبت ٢٩ ربيع الاول ١٢٣٥ هجرية

الموافق ١٥ كانون ثاني لسنة ١٨٢٠

حسن بن علي شيخ زبارة .

نسخة من المعاهدة العامة مع العرب المتصالحين تحمل توقيعات

الذين اشتركوا فيها حتى ١٥ كانون الثاني ١٨٢٠ وقد قدمت موقعة بامضائهم

وختمهم .

صدقت من قبل الحاكم العام في ٢ نيسان ١٨٢٠

وقعت في الشارقة عن محمد بن هزاع شيخ دبي يوم الجمعة ٢٠ ربيع

الاول ١٢٣٥ الموافق ٢٨ يناير ١٨٢٠ .

سعيد بن يوسف - عم شيخ محمد

٢ - تعهد من الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين

للحكومة البريطانية بخصوص تجارة الرقيق

لقد ابلغني الميجر هينل المقيم السياسي في الخليج العربي ان صاحب السمو امام مسقط وغيره من الدول قد عقدوا مؤخرا بعض الاتفاقات مع الحكومة البريطانية ترمي الى تحريم تصدير الرقيق من السواحل الافريقية وغيرها فضلا عن ذلك فقد اوضح لي أن معاونة شيوخ الموانئ المختلفة

الواقعة على السواحل العربية في الخليج العربي ملزمة كي يتسنى تحقيق الاهداف التي ترمي اليها الاتفاقات المذكورة تحقيقا تاما . ولذلك فأنسي أنا الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين كما اعزز من روابط الصداقة القائمة بيني وبين الحكومة البريطانية بهذا أتعهد ان احرم تصدير الرقيق من سواحل افريقيا وغيرها على سفني وسفن رعيتي أو من يتعلق بهم ويسرى هذا التحريم ابتداء من ١ محرم ١٢٦٧هـ (أو ١٠ كانون الاول ١٨٤٧م) .

وكذلك أوافق على أنه متى صادفت الطرادات البريطانية بعض سفني أو سفن رعيتي أو من يتعلق بهم ويشتهبها انها تمارس تجارة الرقيق فلها أن توقف تلك السفن وتفتشها وفي حالة وجود بعض السفن الآنفة الذكر مخللة بهذه الاتفاقية بتصدير الرقيق من سواحل أفريقيا أو غيرها مهما كان عندها فلها (أي طرادات الحكومة البريطانية) ان تصدر تلك السفن مؤرخ ٢٢ جمادي الاولى ١٢٦٣ أو ٨ مايس ١٨٤٧ .

وقع مثل هذه الاتفاقية الشيخ سلطان بن صقر شيخ الشارقة في ١٤ جمادي الاولى ١٢٦٣ الموافق ٣٠ نيسان ١٨٤٧ .

والشيخ عبدالعزيز - شيخ عجمان في ١٥ جمادي الاولى ١٢٦٣ الموافق ١ مايس ١٨٤٧ .

والشيخ عبدالله بن راشد - شيخ أم القوين في ١٥ جمادي الاولى ١٢٦٣ - ١ مايس ١٨٤٧ .

والشيخ سعيد بن طنحون - شيخ أبي ظبي في ١٢ جمادي الاولى

٣ - تعهد شيخ البحرين سنة ١٨٦٨

نحن الموقعون ادناه علي بن خليفة وسكان ورعايا البحرين عموما بهذا نصرح ان محمد بن خليفة بما أنه ارتكب مرارا وتكرارا أعمال القرصنة وغيرها من الاخلال بالامن وبما انه قد فر الان بعد عمله القرصني الاخير من البحرين فقد فقد جميع حقه في لقبه كشيخ البحرين الاول ورئيسها وبما انه ليس للبحرين شيخ في الوقت الحاضر فاني أنا الشيخ علي بن خليفة قد استلمت كتاب المقيم السياسي الموجه الى محمد بن خليفة وفهمت المطالب التي فيه وبهذه الاتفاقية اوافق على قبول الشروط التالية :-

اولا : ان اقدم غدا صباحا ١٩ جمادي الاول ١٢٨٥ (٧ ايلول ١٨٦٨)
الى سامي المقام القبطان براون قائد سفن صاحبة الجلالة جميع البغلات
والتباتيل (نوعان من السفن) العائدة لي والى محمد خليفة .
ثانيا : ان ادفع الى المقيم السياسي مبلغ لك (مائة الف) ريال على الصفة
التالية ٢٥٠٠٠ ريال نقدا تدفع فورا .

٧٥٠٠٠ ريال على ثلاثة اقساط سنوية كل قسط منها ٢٥٠٠٠ يدفع
في ٨ ايلول من كل سنة تالية حتى يتم دفع المبلغ كله .
ثالثا : ان اعتبر محمد بن خليفة مبعدا نهائيا عن التدخل في شؤون
البحرين وانه لاحق له في تلك البلاد وفي حالة عودته الى البحرين اتعهد ان
القي الفبض عليه وان اسلمه الى المقيم السياسي واذا لم اعلم بمقتضى
الشروط المتفق عليها الان فاعتبر ترصانا كمحمد بن خليفة نفسه .
رابعاً : بقصد المحافظة على الامن في البحرين والحيولة دون حدوث
اضطرابات اخرى ولكي ابغ المقيم السياسي بما حدث اتعهد ان اعين وكيلا
عني في ابي شهر . كتبت في ١٨ جمادي الاول ١٢٨٥ هـ - ٦ ايلول ١٨٦٨ .

٤

قولنامه (١) NOTE VERBALE من امام مسقط في سنة ١٧٩٨
وثيقة اتفاق من ولاية الملاذ العماني تحت اشراف الامام المدير سيد
سلطان دام أمره . الى الشركة السامية المقتدرة دامت عظمتها مضمنة في
المواد التالية :

مادة (١)

من وقت وصول كتاب اتماندي الدولة ميرزا مهدي على خان بهادور
جونج لايحوز الانحراف عن هذه القومنامه .

مادة (٢)

من وقت قراءة الكتاب المذكور أخذ قلبي يميل الى توثيق الصداقة
مع تلك الدولة ومنذ هذا اليوم سيصبح صديق أحدنا الاخر وعوده
تدوره . .

مادة (٣)

ونظرا الى ان طلبات مختلفة قدمت ولا تزال تقدم من قبل الفرنسيين

(١) قولنامه يقصد بها « معاهدة » باللغة الانكليزية .

والهولنديين لاقامة مصنع او بعارة اخرى ليركزوا أنفسهم أما في مسقط
أو في جومبردم أو في المواني الاخرى . لهذا السركار فقد كتبت على نفسي
انه طالما الحرب مستمرة بين الشركة الانكليزية وبينهم فلن اعطي لهم
مكانا في اراضي ما رعاية منى لصداقة الشركة ولن يجدوا لانفسهم فيها
موضعا لقدم .

مادة (٤)

وبما أن هناك شخصا فرنسيا ظل السنوات العديدة الماضية يعمل
في خدمتي وقد ذهب الان على رأس احدى سفني الى جزائر الموريشيوس
فانني سأفصله من خدمتي بمجرد عودته واطرده من بلدى .

مادة (٥)

في حالة دخول احدى السفن الفرنسية مياه مسقط فلن يسمح لها
بالدخول الى المرفأ الذى يسمح للقوارب الانكليزية بدخوله بل تبقى
خارجه ، وفي حالة وقوع اعتداء في هذه الجهة بين السفن الفرنسية ،
والسفن الانكليزية فان قوة هذه الولاية في البر والبحر وكذلك شعبي
سيشتركون فيه الى جانب الانكليز فأما في البحار المكشوفة فانني لا
اتدخل .

مادة (٦)

في حالة غرق سفينة أو سفن تابعة للانكليز فأنها تلقى حتما المساعدة
اللازمة وتتوفر لها وسائل الراحة من جانب هذه الحكومة كما أن ما عليها
من متاع لا يغتصب ولا يستولى عليه .

مادة (٧)

إذا رغب الانكليز في اى وقت في انشاء مصنع بميناء أباسي
(بجومبردم) فلا اعتراض لي على تحصينهم لهذا الميناء ، ووضع المدافع
بقدر ما يترأى لهم ولا اعتراض على اقامة اربعين او خمسين رجلا انكليزيا
هناك ، ومعهم سبعمائة او ثمانمائة جندي من الهنود . أما فيما عدا ذلك
فان الرسوم التي تجبى على البضائع عند البيع والشراء ستكون في نفس
المستوى المعمول به في البصرة وابو شهر .
حرر في أول جمادى الاول سنة ١٢١٣ هجرية الموافق ١٢ اكتوبر
سنة ١٧٩٨

اتفاقية معقودة من جانب امام ولاية عمان مع انكابتن جون
مالكولم بهادور - رسول الرايت اونورا بل الحاكم العام
مؤرخة في ٢١ شعبان سنة ١٢١٣هـ . الموافق
١٨ يناير سنة ١٨٠٠

مادة (١)

تبقى القولنامه التي اتفق عليها مع امام عمان مع مهدي علي خان
بهادور نافذة المفعول دون تغيير .

مادة (٢)

بالنظر الى ان تقارير سيئة تهدف الى تعكير التفاهم القائم ، والى
خلق جر من سوء التفاهم بين الولايتين ، قد ذاعت في خارج البلاد ووصلت
الى سمع الرايت اونورا بل الحاكم العام ايرل اوف موننجتون
فاننا رغبة منا في منع مثل هذه المساوىء في المستقبل . تحذونا الى ذلك
عواطف الصداقة المتبادلة ، نوافق على ان يبقى واحد من افاضل الانكليز
ومن ذوي المكانة بينهم مقيما في ميناء مسقط بصفة مستديمة نيابة عن
الشركة الموقرة تجري عن طريقه جميع المعاملات بين الولايتين حتى تعرض
اعمال كل حكومة عرضا عادلا منصفا ، وحتى لا تتاح فرصة لنوى الاغراض
الذين لا هم لهم الا بذر بذور الفرقة ، وتبقى الصداقة بين الولايتين ثابتة
غير مضطربة حتى يوم الدين ، والى ان تكف الشمس والقمر عن الدوران .

ختم بحضوري

جون مالكولم

المندوب

وانق عليه الحاكم العام وهو بمجلسه في ٢٦ أبريل سنة ١٨٠٠

معاهدة تجارية بين صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة
لبريطانيا العظمى وايرلندا ، وبين صاحب السمو سلطان
سيد سعيد بن سلطان - امام مسقط في عام ١٨٣٩

مقدمة

لما كانت صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى

وايرلندا وصاحب السمو سلطان مسقط وملحقاتها حريصين على توكيد حسن التفاهم الذي يقوم الان بينهما ولما كان سمو سلطان مسقط راغبا فوق ذلك في ان يسجل في صورة ذات طابع رسمي أقوى الارتباطات السابقة التي تعهد بها سموه في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٢٢ بشأن الغاء تجارة الرقيق الغاء مستديما بين ممتلكات سموه ، وبين جميع الشعوب المسيحية . فقد عينا كوزراء مفوضين عنهما كلا من السيد روبرت كوجان - الكابتن في الخدمة البحرية في شركة الهند الشرقية ، نيابة عن صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا ٠٠ الخ وحسين بن ابراهيم وعلى بن ناصر - نيابة عن سمو سلطان مسقط الخ ٠٠ وبعد أن تبادل هؤلاء أوراق اعتمادهم ووجدوها مستكملة اتفقوا على المواد الآتية وتعاهدوا عليها .

مادة (١)

يكون لرعايا صاحب السمو سلطان مسقط حرية الدخول والاقامة والتجارة وحمل بضائعهم في جميع ممتلكات صاحبة الجلالة البريطانية في اوروبا وفي اسيا ويكون لهم حق التمتع في هذه الممتلكات في شؤونهم التجارية وغيرها بجميع الامتيازات والمزايا الممنوحة أو التي تمنح لرعايا او مواطني الشعوب الاكثر رعاية . ويكون لرعايا صاحبة الجلالة البريطانية كذلك مطلق الحرية في الدخول والاقامة والتجارة والمرور ، وحمل بضائعهم في جميع انحاء ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط - ويكون لهم حق التمتع في هذه الممتلكات : في شؤونهم التجارية وغيرها بجميع الامتيازات والمزايا الممنوحة او التي قد تمنح لرعايا او مواطني الشعوب الاكثر رعاية .

مادة (٢)

يكون للرعايا البريطانيين الحرية في أن يبيعوا ، ويشتروا ويستأجروا ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط . ولا يجوز الدخول عنوة الى المنازل ، والمخازن ، أو غيرها من المباني التابعة لرعايا بريطانيين ، أو لاشخاص في خدمة الرعايا البريطانيين فعلا - داخل ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ، ولا يجوز تفتيشها بأي عذر دون موافقة شاغليها الا ان يكون ذلك بعلم القنصل ، أو الوكيل البريطاني المقيم . وعلى القنصل أو الوكيل المقيم في هذه الحالة عند وجود

أسباب مقنعة تقدمها سلطات صاحب السمو سلطان مسقط ان يرسل شخصا مسؤولا يشترك مع موظفي صاحب السمو سلطان مسقط في أعمال التفتيش ، ويمنع استعمال العنف في غير ضرورة ويحول دون كل مقاومة غير مشروعة .

مادة (٣)

يعترف الطرفان المتعاقدان - كل منهما للآخر - بحقه في تعيين قناصل يقيمون في ممتلكات الآخر . كلما اقتضت مصالح التجارة وجود مثل هؤلاء الموظفين ويكون هؤلاء القناصل في جميع الاوقات - في البلد الذي يقيمون فيه - في مصاف قناصل الامم الاكثر رعاية . وكذلك يوافق كل من الطرفين الساميين المتعاقدين على ان يسمح لرعاياه بأن يعينوا قناصل الطرف الاخر بشرط ان لايزاول الاشخاص الذين يعينون في هذه الوظائف أعمالهم الا بموافقة سابقة من صاحب السلطان الذي يتبعه هؤلاء الاشخاص .

ويتمتع الموظفون العموميون في أي من الحكومتين - المقيمون في ممتلكات الحكومة الاخرى - بنفس الامتيازات والحصانات والاعفاءات التي يتمتع بها في نفس هذه الممتلكات - نظائرهم من الموظفين العموميين التابعين للدول الاخرى .

مادة (٤)

رعايا صاحب السمو سلطان مسقط الذين يعملون فعلا في خدمة رعايا بريطانيين في ممتلكات سموه يتمتعون بنفس الحماية الممنوحة لرعايا البريطانيين أنفسهم . على انه اذا حكم على أحد من رعايا صاحب السمو سلطان مسقط هؤلاء لجناية ارتكبها أو لمخالفة للقانون تقتضى العقاب . فان على الرعايا البريطانيين الذين يعمل هؤلاء في خدمتهم أن يفصلوهم من خدمتهم ويسلموهم لسلطات صاحب السمو سلطان مسقط .

مادة (٥)

لا تتدخل سلطات صاحب السمو سلطان مسقط في المنازعات التي تقوم بين رعايا بريطانيين او بين رعايا بريطانيين ورعايا او مواطنين تابعين لشعوب مسيحية اخرى .

وفي حالة قيام خلافات بين احد رعايا ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط واجد الرعايا البريطانيين تسمع الدعوى امام القنصل البريطاني

أو الوكيل المقيم اذا كان الطرف الاول هو المدعي كي يقضي بينهما اما اذا كان المدعي من الرعايا البريطانيين وكانت دعواه ضد واحد من رعايا سمو سلطان مسقط أو ضد احد رعايا دولة اسلامية اخرى فتتولى الفصل بينهما اعلى سلطة من قبل سلطان مسقط او من يرشحهم سموه لذلك . وفي جميع مثل هذه الحالات لا تسير الاجراءات المحاكم الا بحضور القنصل البريطاني او الوكيل المقيم أو مندوب عن احدهما يذهب الى دار القضاء أو الى حيث يكون التقاضي في هذه المسألة .

وفي الدعاوي التي تقوم بين احد الرعايا البريطانيين واحد الوطنيين من سكان ممتلكات سمو سلطان مسقط يكون القضاء فيها أمام القنصل البريطاني او الوكيل المقيم او أمام السلطة التابعة لسمو سلطان مسقط التي سبقت الاشارة اليها ولا يجوز سماع شهادة شخص ثبتت عليه شهادة الزور في قضية سابقة .

مادة (٦)

الرعايا البريطانيين الذين يموتون في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ورعايا سمو سلطان مسقط الذين يموتون في الممتلكات البريطانية . تسلم املاكهم الى وريثة كل منهم أو لمنفذي تركته أو المشرفين عليها أما في حالة تغيب الورثة أو المنفذين أو المشرفين فتسلم تركته الى القنصل او الى الوكيل المقيم التابع له .

مادة (٧)

اذا أفلس أحد الرعايا البريطانيين في ممتلكات سمو سلطان مسقط فان القنصل البريطاني أو الوكيل المقيم يستولي على كل املاك هذا المفلس ويعطيها لدائنيه لتقسم فيما بينهم . فاذا تم هذا أبرأ المفلس ذمته أمام دائنيه ولا يجوز في اي وقت بعد ذلك ان يطالب بسد العجز ، ولا يجوز استخدام الاملاك التي يحوزها بعد ذلك التاريخ لوفاء هذا العجز . ولكن للقنصل البريطاني أو الوكيل المقيم مع ذلك أن يبذل جهده ليحصل ، رعاية لمصلحة الدائنين على ما قد يكون للمفلس من املاك في بلاد أخرى وأن يتأكد ان كل ما في حيازة المفلس عند افلاسه قد سلم دون تحفظ .

مادة (٨)

اذا تهرب أحد رعايا صاحب السمو سلطان مسقط من دفع ديونه المستحقة عليه لاحد الرعايا البريطانيين أو ماطل في دفعها فان سلطات صاحب

السمو يجب أن تقدم الى الرعية البريطانية كل مساعدة لاستعادة المبلغ المستحق له ، وكذلك يقدم القنصل أو الوكيل المقيم كل مساعدة الى رعايا صاحب السمو سلطان مسقط لاسترداد الديون المستحقة لهم قانونا قبل أي رعية بريطاني .

مادة (٩)

لا يجوز ان تجبى ضريبة تزيد على ٥٪ على حدود ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط على أية بضاعة أو غلة أو أنتاج او صناعة من صناعات الممتلكات التابعة لصاحبة الجلالة البريطانية المستوردة على سفن بريطانية .

وتعتبر هذه الضريبة شاملة لرسوم الاستيراد والتصدير وضريبة الحمولة ومصاريف الرخص التجارية ونفقات الارشاد والارساء وغير ذلك من الرسوم التي تحصلها الحكومة على المراكب أو البضائع المستوردة أو المصدرة بهذه الطريقة .

ولا يجوز فرض ضريبة على البضائع اذا نقلت فيما بعد من مكان الى آخر داخل ممتلكات صاحب السمو واذا دفعت الضريبة المذكورة آنفا جاز بيع البضائع بالجملة والقطاعي دون ان يترتب على ذلك أية زيادة في الضريبة ولا يجوز كذلك فرض ضريبة على السفن البريطانية التي تدخل موانئ صاحب السمو بقصد الاصلاح او التموين او التبين حالة السوق .

مادة (١٠)

لا يجوز منع استيراد اي سلعة داخل اراضي صاحب السمو سلطان مسقط او تصديرها منها بل تبقى التجارة بين ممتلكات صاحب الجلالة البريطانية وممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط حرة طليقة فلا تخضع الا للرسوم الكمركية على السلع المستوردة التي سبقت الاشارة اليها ويتعهد صاحب السمو سلطان مسقط بالا يسمح بانشاء أي احتكار او منع امتيازات خاصة للبيع داخل ممتلكاته فيما عدا البضائع العاجية وصمغ القوبال في تلك الجهة من الشاطيء الشرقي لافريقية من مرفأ تايبخت الذي يقع على خط ٥٠ درجة تقريبا من خطوط العرض الجنوبية الى ميناء كويلا الذي يقع حوالي ٧ درجات جنوبي خط الاستواء بما في ذلك هذان المرفآن . أما في سائر الموانئ والاماكن من ممتلكات صاحب السمو فلن يسمح فيها بأي نوع من الاحتكار . ويكون لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية

ملء الحرية في البيع والشراء لأي كان وممن كان • غير خاضعين في ذلك
لأية ضريبة غير ما سبقت الإشارة إليه •

مادة (١١)

إذا نشب نزاع في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط حول
قيمة البضائع التي يستوردها تجار بريطانيون وتجبى عليها ضريبة ٥٪
جاز لمدير الجمارك أو لاي موظف مسؤول يعمل نيابة عن حكومة صاحب
السمو سلطان مسقط ان يطلب جزءا من عشرين جزءا من البضاعة بدلا
من دفع ٥٪ وعلى التاجر ان يسلم هذا الجزء عند الطلب ما دامت طبيعة
البضاعة تسمح عمليا بهذا الاجراء فاذا نفذ التاجر ذلك لم يعد ملزما
بدفع اية رسوم جمركية على ال ٢٠/١٩ جزء المتبقية من البضاعة في أي
أي مكان من ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ينقل اليه بضاعته
أما اذا اعترض مدير الجمارك على جباية الضريبة بالطريقة المذكورة سابقا
يأخذ جزءا من عشرين جزءا من البضاعة او كانت البضاعة لا تسمح طبيعتها
بأن تقسم على هذا النحو ، فيحال موضوع النزاع على شخصين ممن هم
اهل لذلك احدهما يختاره مدير الجمارك والآخر يختاره المستورر ليقوما
بتقييم البضاعة ، فاذا اختلفا عينا حكما بينهما تكون قراراته نهائية ،
ويجنى الضريبة وفق القيمة التي تحدج على هذا النحو •

مادة (١٢)

لا يجوز لاي تاجر بريطاني ان يعرض بضاعته للبيع خلال ثلاثة
أيام من تاريخ وصولها الا اذا اتفق المستورد ومدير الكمارك على تمشين
البضاعة المذكورة قبل انتهاء فترة الايام الثلاثة • فاذا لم يوافق مدير
الجمارك خلال ثلاثة ايام على قبول احدى الطريقتين المقترحتين لتحديد
قيمة البضاعة ، فان سلطات صاحب السمو سلطان مسقط - بناء على طلب
يقدم اليها لذلك - تلزم مدير الجمارك باختيار احدى الطريقتين التي يبين
ان تجبى الرسوم الكمركية على اساسها •

مادة (١٣)

اذا وقعت حرب بين ملكة انكلترا او صاحب السمو سلطان مسقط
وبين بلد آخر فان رعايا صاحبة الجلالة البريطانية ، ورعايا صاحب السمو
سلطان مسقط : يسمح لهم بالمرور الى مثل ذلك البلد عبر ممتلكات اي
من الدولتين المتعاقدين حاملين معهم البضائع على اختلاف أنواعها ما عدا

المعدات الحربية • ولكن لايسمح لهم بدخول اي مرفأ او مكان محذور او محاصر •

مادة (١٤)

اذا التجأت سفينة تحمل العلم البريطاني الى مرفأ واقع في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط وهي في مازق ، فان السلطات المحلية في ذلك المرفأ تقدم كل المساعدات اللازمة لاصلاح السفينة ومعاونتها على استئناف رحلتها • واذا تحطمت سفينة بهذا الوصف على شواطئ ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ؛ فان على سلطات صاحب السمو ان تقدم جميع المساعدات التي في مكنتها لتسلم اصحاب السفينة كل ما يمكن انقاذه من الحموله التي عليها ، وتقدم نفس المساعدة والحماية التابعة لممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ، كما تتبع نفس الاجراءات بازاء ما ينفذ من حمولتها في الاحوال المشابهة في موانئ او شواطئ الممتلكات البريطانية •

مادة (١٥)

يجدد ويؤكد صاحب السمو سلطان مسقط تعهداته التي التزم بها سموه مع بريطانيا في ١٠ سبتمبر ١٨٢٢ • بخصوص القضاء على تجارة الرقيق بين ممتلكاته وبين جميع البلاد المسيحية • ويتعهد سموه زيادة على ذلك بان يسمح للسفن والمراكب الحربية التابعة لشركة الهند الشرقية بمساندة مواد هذه المعاهدة ، والمساعدة على تنفيذها طبقا للشروط الواردة فيها بنفس الطريقة التي يسمح بها في ذلك لسفن صاحب الجلالة البريطانية ومراكبها •

مادة (١٦)

يعترف الطرفان الساميان المتعاقدان ويعلنان بان هذا الاتفاق لا يتضمن ما يقصد منه بحال من الاحوال التدخل في الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها حاليا رعايا صاحب السمو سلطان مسقط بالنسبة للتجارة والملاحة في حدود ميثاق شركة الهند الشرقية ، او الغاء هذه الحقوق والامتيازات •

مادة (١٧)

يتم التصديق على هذا الاتفاق ويجري تبادل التصديق عليه في مسقط او زنجبار في اسرع وقت ممكن ، وفي مدة لا تتجاوز في أي الحالات خمسة عشر شهرا من تاريخ عقده •

صدر في الجزيرة بمدينة زنجبار في هذا اليوم الحادي والثلاثين من
شهر مايو في سنة ١٨٢٩ . الموافق السابع عشر من شهر ربيع الاول
١٢٥٥ هجرية .

- ٧ -

حجة تنازل عن جزائر كوريا موريا أصدرها صاحب السمو
امام مسقط بحضور الكابتن (فريمنتل) - قائد سفينة
صاحبة الجلالة (جونو) بتاريخ ١٤ يونيو سنة ١٨٥٤

من المتواضع لله سعيد بن سلطان الى كل من يقع بصره على هذا
المكتوب مسلما كان أو غير مسلم : حضر لدي من الامة العزيزة (انكلترا)
الكابتن (فريمنتل) التابع للبحرية الملكية لصاحبة الجلالة يطلب مني
(جزائري : بن كولفيم) جزائر كوريا موريا ، أي رولانيا ، جبلية ، سودا
هامسكي جورزوند) .

وانني بمقتضى هذا أتنازل عن الجزائر المذكورة أعلاه الى الملكة فكتوريا
لتكون ملكا لها ولورثتها ولخلفائها من بعدها .

واثباتا لهذا قد أثبت هنا توقيعي وخاتمي عن نفسي وعن ابني من
بعدي ، وذلك بمحض ارادتي ورضاي ومن غير قهر أو ارهاب ، أو منفعة مالية
أيا كانت . وليكن هذا معلوما لكل من يطلع على هذا .

حرر في مسقط في السابع عشر من شهر شوال سنة ١٢٧٠ هجرية
الموافق ١٤ يوليو سنة ١٨٥٤

من وضع يدي

تم بحضوري

سعيد بن سلطان ، امام مسقط
ستيفن . ج . فريمانتل
قبطان سفينة صاحبة الجلالة (جونو)

- ٨ -

رسالة الى صاحب السمو السيد تويني بن سعيد بن سلطان .

سلطان مسقط - عام ١٨٦١

صديقي العزيز المحترم :

أكتب لسموكم في موضوع الخلاف المؤسف الذي شجر بينكم وبين شقيق سموكم - حاكم زنجبار ، وتعهدتم سموكم ، في سبيل تسويته أن تقبلوا تحكيم نائب الملك والحاكم العام للهند ، وتقديرا للعلاقات الودية التي ظلت قائمة بين حكومة صاحبة الجلالة الملكة ، وحكومة عمان وزنجبار ، ورغبة في منع الحرب بين الاهل والاقارب ، قد قبلت مهمة التحكيم بينكم وحرصا مني على جمع أكبر قسط من المعلومات عن جميع نقط الخلاف قد طلبت الى حكومة بومباي أن توفد ضابطا الى مسقط وزنجبار لاجراء الاستعلامات اللازمة . وقد اختير البريغادير (كوهلان) لهذه الغاية وهو ضابط تضع حكومة الهند كل ثقته في حكمته وذكائه وجهاده . وقد قدم البريغادير كوهلان تقريرا كاملا أوضح فيه جميع المسائل التي هي من هذه المسائل وفيما يلي القرار الذي وصلت اليه .

أولا : أن ينادي بصاحب السمو السيد مجيد حاكما لزنجبار والممتلكات الافريقية التابعة للمرحوم سمو السيد سعيد .
ثانيا : أن يدفع حاكم زنجبار سنويا الى حاكم مسقط اعانة قدرها أربعون ألف كراون .

ثالثا : أن يدفع سمو السيد مجيد الى سمو السيد ثويني متأخرات الاعانة عن سنتين أي ثمانين ألف كراون .

واني على ثقة بان هذه الشروط عادلة ومشرفة لكليهما . ولما كنتم قد قبلتم تحكيمي راضين مخلصين ، فأنتي أتوقع منكم أن تقبلوا ما حكمت به ببشر ووفاء . وإن يوضع موضع التنفيذ من غير تأخير لا مبرر له .

على أنه لا ينبغي أن يفهم من دفع أربعين ألف كراون سنويا انه اعتراف بتبعية زنجبار لمسقط . أو انه مسألة شخصية بين سموكم وبين أخيكم السيد مجيد ، بل هو ينسحب على خلفاء كل منكم ، ويجب اعتباره على أنه تسوية نهائية ودائمة تعويضا لحاكم مسقط عن تنازله عن كل دعوى له في زنجبار وتصحيحا لعدم المساواة فيما ورثتماه عن والدكما المرحوم السيد سعيد الصديق المبجل للحكومة البريطانية ، وبذلك يصبح نصيبكما في تركته منفصلين وقائمين بذاتيهما منذ اليوم .

صديق سموكم المخلص الذي يتمنى لكم كل خير

كانينغ

قلعة وليام

في ٢ ابريل سنة ١٨٦١

الى صاحب السعادة المعظم اللورد (كانينغ) الحاكم العام للهند . . الخ

بسم الله العلي العظيم

بعد التحية في أنسب الاوقات وأسعدها تشرفنا بتلقي رسالتكم الكريمة وقد سررنا بما تضمنته . فان ما قررتموه سعادتكم يرضينا أتم الرضا ، ولا سيما ما يتعلق بحكمكم بيننا وبين أخي مجيد . ونحن نقبله من قلبنا وان كنا لا ندرى كيف نعبر لكم عن أسفنا لما سببناه لكم من ازعاج ، وعن تقديرنا لعطفكم الذي أبديتموه نحونا في هذه المسألة .

اننا نحمد الله على جهودكم من أجلنا ، ونسأله أن يجزيكم خيرا عن حسن مقصدكم . وان يحفظكم عوننا لنا دائما . ونرجو أن يظل حيننا ووفائنا موجها دائما نحو الحكومة (البريطانية) العظمى ، وأن يظل دائما في نمو وازدياد وأن نحظى فوق ذلك بودكم المقيم ، وعطفكم الكريم ، وأن لا نحرم منهما أبدا .

أما فيما يتعلق بأخينا مجيد فانا نسأل الله ألا يرى منا مدى حياتنا الا كل نية خالصة . ونحن نعتمد اعتمادا كلياً على أن ينفذ حكمكم الذي حكمتم به بيننا .

ويكفينا اشارة منكم في كل ما تحتاجون اليه سعادتكم من صديقكم الوفي كي نلبيه . ونحن فخورون بذلك .
حفظكم الله في أعلى درجات الشرف وفي أكمل صحة .

وتقبلوا منا السلام كأحسن خاتمة

٤ ذي القعدة سنة ١٢٧٧ هجرية ١٥ مايو سنة ١٨٦١

من صديقكم المخلص الوفي خادم الله الذي
يعتمد عليه ويؤمن بأنه مصدر كل خير

ثويني بن سعيد بن سلطان

- ٩ -

اعلان بشأن احترام استقلال مسقط وزنجبار سنة ١٨٦٢

رأت صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا

وصاحب الجلالة امبراطور الفرنسيين ، تقديرا منهما لما للمحافظة على
على استقلال صاحب السمو سلطان مسقط وصاحب السمو سلطان زنجبار
من أهمية ، ان يتعهد كل منهما قبل الاخر باحترام استقلال هذين الحاكمين .
والموقعان أدناه ، سفير صاحبة الجلالة البريطانية فوق العادة ،
والمفروض بكامل الاختصاصات لدى البلاط الفرنسي ، ووزير خارجية صاحب
الجلالة امبراطور الفرنسيين بما عهد اليهما من السلطات اللازمة ، يعلنان
بناء عليه وبمقتضى هذا أن جلالتيهما قد تبادلنا هذا العهد قبل بعضهما
البعض .

واشهدا على ذلك قد وقع مندوبان على هذا الاعلان ووضعنا خاتميهما
عليه .

حرر في باريس في اليوم العاشر من شهر مارس سنة ١٨٦٢

- ١٠ -

مواد الاتفاقية التي اتفق عليها صاحب السمو السيد تويني بن سعيد بن
سلطان - سلطان مسقط - في اليوم السابع عشر من شهر نوفمبر ١٨٦٤
بحضور اللتنتانت كولونيل (تويس بيلي) المقيم السياسي لصاحبة الجلالة
البريطانية في الخليج الفارسي واللتنتانت كولونيل (هلابرت داسبراو)
الوكيل السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في بركة بمسقط

المادة (١)

يكون لحليفتي القديمة المخلصة الحكومة البريطانية الحرية في انشاء
خط أو أكثر من خطوط المواصلات التلغرافية في أية جهة داخل الاراضي
التابعة لولاية مسقط .

المادة (٢)

وللحكومة البريطانية كذلك الحرية في انشاء خط أو أكثر من خطوط
المواصلات التلغرافية في أية أراضي يمكن ان استأجرها من شاه فارس .
أتعهد عن نفسي وعن ورثتي وخلفائي بأن اقدم ما جاء بهذا وأن أمتنع
عن كل تدخل ، وأي تدخل في العمليات التلغرافية التي تقوم بها الحكومة .

البريطانية داخل أراضي مسقط ، أو على مقربة منها .

- ١١ -

معاهدة صداقة وتجارة وصلاحية بين بريطانيا العظمى ومسقط

عام ١٨٩١

(وقعت هذه المعاهدة بمسقط في ١٩ مارس سنة ١٨٩١

وتم تبادل التصديق عليها في سنة ١٨٩٢)

لما كانت صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا وامبراطورة الهند وصاحب السمو لسيد فيصل بن تركي بن سعيد يرغبان في دعم علاقات الصداقة القائمة بين بلديهما وتوثيقها وفي تعزيز علاقاتهما التجارية ، وتوسيع نطاقها ، فقد اختارا كمفوضين عنهما في ابرام معاهدة لهذا الغرض كلا من :

عن جلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا وامبراطورة الهند الكولونيل ادوارد شارل روس ، حامل وسام نجمة الهند ، والمقيم السياسي لجلالتهما البريطانية في الخليج الفارسي .

صاحب السمو سلطان مسقط عن نفسه

ومن ثم فقد أبرما المواد التالية :

مادة (١)

المعاهدة المبرمة بين الحكومة البريطانية والسلطان سعيد بن سلطان سلطان مسقط وعمان في ٣١ مايو سنة ١٨٣٩ الموافق ١٧ ربيع أول سنة ١٢٥٥ هجرية قد ألغيت بمقتضى هذا ، وأصبحت باطلة ، وتحل المعاهدة التالية محلها بعد التصديق عليها .

المادة (٢)

يشمل رعايا صاحبة الجلالة البريطانية لاغراض هذه المعاهدة الرعايا الوطنيين لولايات الهند المتحالفة مع جلالتهما ، فيكون لهؤلاء ، فورا ومن غير شرط في جميع ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ، فيما يتصل بالتجارة والملاحة والتبادل التجاري وغيرها من النواحي جميع الحقوق والامتيازات والحصانات والمزايا والحماية أيا كانت طبيعتها التي يتمتع بها .

أو التي يمكن أن يتمتع بها مستقبلا رعايا أو مواطنو الشعوب الأكثر رعاية وبصورة خاصة فانهم لا يخضعون لآعباء إضافية ، أو ضرائب ، أو قيود أو التزامات مهما كان نوعها غير ما يخضع له رعايا أو مواطنو الشعوب الأكثر رعاية ، سواء في الحاضر أو المستقبل .

المادة (٣)

يعترف الطرفان الساميان المتعاقدان بالتبادل بحق كل منهما في تعيين قناصل يقيمون في ممتلكات الآخر ، كلما اقتضت المصالح التجارية وجود هؤلاء الموظفين ، ويكون لهؤلاء القناصل في البلاد التي يقيمون فيها المكانة التي لقناصل الشعوب الأكثر رعاية . ويوافق كل من الطرفين الساميين المتعاقدين كذلك على السماح لرعاياه بأن يعينوا في الوظائف القنصلية لدى الطرف المتعاقد الآخر على شريطة أن لا يزال الشخص المعين في هذه الوظائف عمله ، إلا بعد موافقة سابقة من الحكومة التي يتبعها ، ويتمتع الموظفون العموميون لكل من الحكومتين ممن يقيمون في ممتلكات أخرى بنفس الامتيازات والحصانات والاعفاءات التي يتمتع بها في تلك الممتلكات الموظفون العموميون المماثلون القابعون لدول أخرى .

المادة (٤)

تسود بين الطرفين الساميين المتعاقدين الحرية الكاملة في التجارة والملاحة ويسمح كل منهما لرعايا الآخر بدخول جميع الموانئ والخلجان والانهار بمراكبهم ، بما عليها من حمولة وإن يسافروا ويقوموا ويزاولوا التجارة بالجملة والقطاعي في ممتلكاته ، أو أن يستأجروا فيها المنازل والمخازن والمتاجر والمستودعات والأراضي ، وأن يشتروها ويملكوها ويسمح للرعايا البريطانيين في كل مكان بدون قيد أو شرط ، سواء بأنفسهم ، أو عن طريق وكلائهم في المساومة والشراء والمقايضة والبيع بالنسبة لجميع أنواع البضائع والمواد سواء المستوردة أو المصنوعة محليا ، يستوى في ذلك إذا كانت معدة لبيعها في ممتلكات صاحب السمو أو للتصدير ، ويكون لهم الحق في أن يتفقوا مع صاحبها أو وكيله على أسعار جميع هذه البضائع بدون تدخل من أي نوع من جانب سلطات صاحب السمو ، ويتعهد صاحب السمو سلطان مسقط بالا يسمح أو يعترف بإنشاء أي نوع من الاحتكارات ، أو الامتيازات التجارية الاستثنائية في ممتلكاته لاية حكومة ، أو مؤسسة أو فرد .

المادة (٥)

يسمح لرعايا صاحبة الجلالة البريطانية أن يملكوا في جميع أرجاء ممتلكات صاحب السمو ، سواء عن طريق الهبة ، أو الشراء ، أو الميراث أو الوصية وبأية طريقة قانونية أخرى الاراضي والمنازل والاموال من أي نوع سواء كانت منقولة ، أو عقارية وأن يحوزوها ، وأن يتصرفوا فيها بالبيع ، والمقايضة والهبة أو غيرها .

المادة (٦)

يسمح لصاحب السمو السلطان بأن يجبي ضريبة دخولية لا تزيد على ٥٪ من قيمة البضائع بجميع أنواعها التي تستورد من البلاد الاجنبية بالبحر عند دخولها الى ممتلكات سموه . وتدفع هذه الضريبة في الميناء التابع لسموه الذي تصل اليه هذه البضائع . وعند دفعها تعفى هذه البضائع من جميع الضرائب والرسوم الكمركية داخل ممتلكات سمو السلطان ولا تتعرض لضرائب أخرى سواء من قبل حكومة السلطان أو نيابة عنها أيا كان نسوع السلعة ، ولا يجوز أن يطالب الرعايا البريطانيون بضرائب استيراد أعلى مما يدفعه رعايا أو مواطنو الشعوب الاكثر رعاية ، وهذه الضريبة بمجرد دفعها تعفى من جميع الرسوم الاخرى التي يفرضها صاحب السمو السلطان على البضائع المختلفة المستوردة من بلاد أجنبية بطريق البحر ، سواء كان الغرض منها الاستهلاك المحلي أو التصدير الى مكان آخر بالجملة أو خلافها وسواء بقيت بحالتها التي استوردت عليه أو حورت عن طريق التصنيع . وتعفى من دفع اية ضريبة المواد التالية :

١ - جميع البضائع والسلع الواردة باسم ميناء أجنبي ، وتنقل بسبب ذلك من سفينة الى اخرى في أحد المرافئ التابعة لصاحب السمو سلطان مسقط ، أو تنزل الى البر بصفة مؤقتة . وتودع في احد مخازن الجمارك التابعة للسلطان ريثما يصل المركب الذي يعاد شحنها عليه الى الخارج . ولا تعفى السلع والبضائع التي تنزل الى البر على هذا النحو من الضريبة الا أن يسلمها المرسل اليه أو وكيله عند وصول المركب كي تختم وتحفظ تحت رقابة الجمارك وأن يخطر الجهات المسؤولة بأنها تنزل الى البر بقصد نقلها الى مركب آخر مع تحديد الميناء الاجنبي المرسل اليه ، وعلى شريطة أن يعاد شحن هذه البضائع بالفعل الى الميناء الاجنبي المعين في فترة لا تزيد

عن سنة أشهر من تاريخ انزالها الى البر أول مرة والا يتغير اصحابها خلال هذه الفترة .

٢ - جميع البضائع والسلع التي لم تكن في الاصل مرسله برسم احد المرافىء الواقعة في ممتلكات السلطان . ثم انزلت فيه خطأ ، وعلى شريطة ان تشحن خارج البلاد خلال شهر من تاريخ انزالها . اما اذا فتحت هذه البضائع او السلع المذكورة او نقلت من تحت الحراسة الكمركية ففي هذه الحالة تدفع عنها الضرائب الكمركية كاملة .

٣ - الفحم ، والمؤن البحرية والمخزونات ، والادوات التي تملكها حكومة صاحبة الجلالة ، وتنزل الى البر في ممتلكات صاحب السمو لاستعمال السفن التي تعمل في بحرية صاحبة الجلالة .

٤ - جميع البضائع أو السلع التي تشحن من سفينة الى أخرى أو تفرغ في النهر لاصلاح الخسائر التي تسببت عن سوء الاحوال الجوية أو النكبات الاخرى التي تقع في البحر بشرط أن يعاد شحنها على نفس المركب ، أو على مركب آخر اذا كان المركب الذي أصابه العطب قد أصبح غير صالح للسفر ، او تعطل سفره لاي سبب آخر .

المادة (٧)

لا يجوز تحريم استيراد أية سلع ، الى ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط أو منع تصديرها منه ولا تجبى رسوم تصدير على البضائع المصدرة من تلك الممتلكات الا بموافقة حكومة صاحبة الجلالة البريطانية بالشروط التي تتضمنها المذكرات التي تتبادل في هذا الصدد .

المادة (٨)

اتفق الطرفان الساميان المتعاقدان ، وأحاطا علما بأنه في حالة وضع ترتيبات مستقيلة فيما بين صاحب السمو السلطان والدول التي تربطها بمسقط معاهدات بموافقة بريطانيا العظمى وتقضي بأن تدفع المراكب التي تدخل ميناء مسقط رسوما للشحن ، أو الحمولة ، أو رسوم موانيء ، وأن توضع هذه الرسوم تحت تصرف مجلس خاص لتحسين الميناء وانشاء وصيانة المنارات ٠٠٠ الخ فان هذه الترتيبات لا يجوز أن تؤل شروطها لكي تعفى المراكب البريطانية من دفع رسوم الشحن ، أو رسوم الميناء أو

الحمولة التي قد يتفق عليها فيما بعد .

المادة (٩)

يكون للرعاية البريطانيين في كل حالة عند دفع النسبة المئوية للرسوم الكمركية المنصوص عنها في المادة (٦) الخيار في دفعها اما نقدا او عينا اذا سمحت بذلك طبيعة البضاعة وذلك باعطاء قدر مواز لهذه النسبة من البضائع أو المنتجات وفي حالة الدفع نقدا تحدد قيمة البضائع ، أو السلع أو المنتجات التي تجبى عنها الرسوم طبقا للسعر السائد في السوق المالية وقت جباية الرسوم . أما البضائع المستوردة من الخارج فتحدد قيمتها حسب السعر في سوق مسقط . وبالنسبة للبضائع والمنتجات المحلية تحدد قيمه حسب سعر السوق في المكان الذي يختاره التاجر لدفع الرسوم . وفي حالة قيام أي نزاع بين الرعايا البريطانيين وسلطات الكمارك بخصوص قيمة مثل هذه البضائع بغض النزاع بالرجوع الى خبيرين اثنين يعين كل طرف واحدا منهما وتكون القيمة التي يحددها نهائية وملزمة أما اذا لم يتفق الخبيران على رأى فعليهما ان يختارا حكما ويعتبر قراره نهائيا .

المادة (١٠)

يتعهد سمو سلطان مسقط بمقتضى هذه المعاهدة بأن يضع الترتيبات اللازمة ويصدر التعليمات لموظفيه التي تكفل عدم عرقلة سير البضائع (الترانزيت) أو تعويقها ، أو تأخيرها بسبب الاجراءات الكمركية المثيرة للنفوس ، ويتعهد بأن تعطى جميع التسهيلات لنقل هذه البضائع .

المادة (١١)

المراكب البريطانية التي تدخل موانيء في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط وهي في ضيق يجب ان تتلقى من السلطات المحلية كل المساعدات اللازمة لتمكينها من التموين والاصلاح حتى تتمكن من اتمام رحلتها .

واذا جنح مركب بريطاني على سواحل ممتلكات صاحب السمو فان على سلطات صاحب السمو تقديم كل مساعدة في مكنتها لمساعدة المركب المعطوب حتى تتمكن من انقاذه وانقاذ حمولته ، ولكن عليه ، وعليها كذلك أن تقدم المساعدة والحماية للأشخاص الذين يتم انقاذهم . وان تساعدهم

على الوصول الى اقرب قنصلية بريطانية . وان تتخذ كل وسيلة لخزن
البضائع التي تنقذ في مكان أمين ، وحفظها الى ان تسلم الى صاحبها . أو
الى قبطان أو وكيل المركب ، أو القنصل البريطاني مع عدم الاخلال بالحقوق
المرتبطة على الانقاذ .

وعلى السلطات التابعة لصاحب السمو - علاوة بذلك - أن تتأكد من
أن القنصلية البريطانية قد أخطرت على الفور بوقوع الكارثة ، وفي حالة
نهب مركب بريطاني بعد جنوحه على شواطئ ممتلكات صاحب السمو فان
على السلطات التابعة لسموه بمجرد علمها بذلك أن تقدم المساعدة العاجلة
وأن تتخذ الاجراءات لاقتفاء أثر اللصوص ومعاقبتهم واسترجاع الاموال
المسروقة . وكذلك اذا جنح مركب من مراكب صاحب السمو على شواطئ
ممتلكات صاحبه الجلالة فان السلطات البريطانية ستقدم اليها نفس المساعدة
والمعاونة .

المادة (١٢)

اذا هرب بحارة أو غيرهم من التابعين لسفن بريطانية حربية أو لمراكب
تجارية والتجأوا الى شواطئ صاحب السمو أو على سفنه فان لسلطات
صاحب السمو سلطان مسقط بناء على طلب رسمي من القنصل أو في حالة
غيابه من قبطان السفينة أن تتخذ جميع الاجراءات للقبض عليهم ، وتسليمهم
الى الموظف القنصلي أو القبطان ويقوم الموظف القنصلي والقبطان في مثل هذه
الحالات بتقديم المساعدات التي يقتضيها الامر .

المادة (١٣)

يتمتع رعايا صاحبة الجلالة البريطانية فيما يختص بأشخاصهم
وممتلكاتهم في داخل ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط بجميع حقوقهم
الاقليمية التي كانت لهم ولا يحق لسلطات صاحب السمو أن تتدخل في
المنازعات القائمة بين رعايا صاحبة الجلالة البريطانية بعضهم البعض . أو
بينهم وبين أفراد شعوب مسيحية اخرى ويفصل في مثل هذه الامور سواء
كانت مدنية أو جنائية في نوعها السلطات القنصلية المختصة ، وتكون
المحاكمات والعقوبات في الجنح والجنايات التي قد يتهم فيها رعايا بريطانيون
في ممتلكات صاحب السمو السلطان . وكذلك سماع تسوية القضايا
المدنية أو الدعاوى والمنازعات التي يكرنون فيها مدعى عليهم وهي من

اختصاص السلطات القنصلية البريطانية ومحاكمها وحدها ، ولا تخضع لولاية قضاء صاحب السمو السلطان وفي حالة قيام منازعات بين رعايا صاحب السمو السلطان أو رعايا دولة غير مسيحية ليس لها تمثيل قنصلي في منقط ، وبين أحد رعايا صاحبة الجلالة البريطانية ويكون فيها الرعية البريطاني هو المدعي أو الشاكي فإن الدعوى تدفع ويفصل فيها أمام أعلى سلطات السلطان أو امام شخص ينتدبه السلطان وخصيصا لهذا الغرض ، ولا تعتبر اجراءات المحاكمة في هذه الحالة أو الاحكام التي تصدرها شرعية الا اذا سبق ذلك انذار في فسحة من الوقت تسمح للقنصل البريطاني أو نائبه بحضور المحاكمة والاستماع الى حكمها .

المادة (١٤)

رعايا صاحب السمو السلطان أو أفراد أية أمة غير مسيحية ليس لها ممثلون قنصليون في منقط الذين يعملون في خدمة رعايا بريطانيين بصفة مستمرة داخل ممتلكات صاحب السمو سلطان منقط. يتمتعون بنفس الحماية التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون أنفسهم .
وفي حالة اتهامهم بارتكاب جنایات أو جرائم خطيرة يعاقب عليها القانون . فان مخدوميهم البريطانيین يسلمونهم ، بعد قيم الأدلة الكافية التي تسوغ اتخاذ اجراءات أخرى ضدهم أو بناء على أمر القنصل البريطاني الى السلطات التابعة لسمو السلطان لمحاكمتهم ومعاقبتهم .

المادة (١٥)

إذا أعلن اشهار افلاس أحد رعايا صاحبة الجلالة من المقيمين في ممتلكات صاحب السمو سلطان منقط ، فان القنصل البريطاني يضع يده على كل أمواله الموجودة وله حق استردادها وتجميعها كي ينصرف بها ، ويتولى توزيعها طبقا لاحكام قانون الافلاس البريطاني ٥

المادة (١٦)

إذا امتنع أحد رعايا صاحب السمو سلطان منقط عن دفع الحقوق العادلة المستحقة لاحد رعايا بريطانيين أو تهرب من دفعها ، فان سلطات صاحب السمو السلطان تقدم الى الدائن البريطاني كل مساعدة وتيسر له سبل الحصول على المبالغ المستحقة . ويقدم القنصل البريطاني بطريقة

مماثلة كل مساعدة لرعايا صاحب السمو سلطان مسقط ، وييسر لهم سبل استرداد الديون العادلة المستحقة لهم قبل احد الرعايا البريطانيين .

المادة (١٧)

اذا توفي احد الرعايا البريطانيين في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط أو توفي في مكان آخر تاركا فيها أموالا منقولة أو غير منقولة . فان للقنصل البريطاني السلطة في تحصيل وجمع أمواله . وفي وضع يده على ممتلكات المتوفي كي يتصرف فيها تبعا لنصوص القانون البريطاني .

المادة (١٨)

لا يجوز لموظفي سمو سلطان مسقط أن يدخلوا المنازل ، والمسكن والمخازن أو غيرها من الاملاك الخاصة برعايا البريطانيين . أو بالأشخاص الذين هم فعلا في خدمتهم بصفة دائمة داخل اراضي سموه ، أو تفتيشها لاي سبب من غير موافقة شاغلها الا أن يكون ذلك بعلم القنصل البريطاني أو من ينوب عنه ، أو بمساعدته .

المادة (١٩)

يوافق الطرفان الساميان المتعاقدان بمقتضى هذا على أنه في حالة الوصول مستقبلا الى اتفاق بين صاحب السمو سلطان مسقط والدول المختلفة ، بما في ذلك بريطانيا العظمى ، التي قد يرتبط سموه معها بمعاهدات ، توافق عليها بريطانيا حتما وتقضي بأن يدفع المقيمون في أحد الاقسام ، أو احدى المدن - بغض النظر عن جنسياتهم - ضرائب لاغراض بلدية أو صحية تحددها وتشرف على ادارتها هيئة مخصوصة - اتفقا على ان المعاهدة الحالية لا تتضمن ما يفهم منه اعفاء الرعايا البريطانيين من دفع مثل هذه الضرائب .

المادة (٢٠)

يتمتع رعايا الطرفين الساميين المتعاقدين كل منهم في ممتلكات الاخر بحرية العقيدة والتسامح الديني ، وبحرية ممارسة الطقوس الدينية علنا ويحق بناء الاماكن المخصصة للعبادة .

المادة (٢١)

تسرى شروط المعاهدة على جميع المستعمرات والممتلكات الخارجية التابعة لصاحبة الجلالة البريطانية في حدود ما تسمح به القوانين ما عدا الجهات الواردة فيما بعد يستثنى من ذلك

دومينون كندا

رأس الرجاء الصالح

ناتال

ويلز الجنوبية الجديدة

فيكتوريا

كوينزلاند

تاسمانيا

جنوبي استراليا

أستراليا الغربية

نيوزلاند

على أنه يشترط في جميع الحالات لسريان بنود هذه المعاهدة على أي من المستعمرات أو الممتلكات الخارجية المذكورة آنفا ان يقدم ممثل صاحبة الجلالة البريطانية بمسقط مذكرة بذلك نيابة عن جلالتهما الى صاحب السمو السلطان خلال عامين من تاريخ تبادل التصديق على المعاهدة الحالية .

المادة (٢٢)

حررت هذه المعاهدة من أربع نسخ : نسختين منها بالانكليزية ونسختين بالعربية ، ومن المسلم به ان هذه النسخ متماثلة في مدلولها ومعناها ومعناها على أنه في حالة حدرت أي التباس في المستقبل بشأن التغيير الصحيح للنص العربي أو الانكليزي فيما يتعلق بنص أو أكثر من نصوص هذه المعاهدة يكرن النص الانكليزي هو الفصل في كل خلاف ويعمل بهذه المعاهدة قبل مضي شهر على تاريخ تبادل التصديق عليها .

المادة (٢٣)

يجوز تعديل هذه المعاهدة بعد مضي اثني عشر عاما من تاريخ سريانها وبناء على اخطار مدته اثنا عشر شهرا من أحد الطرفين للطرف الاخر ويتولى تعديلها وزراء مفوضون يعينهم كلا الطرفين ويكون لهم سلطة تقرير التعديلات

التي أثبتت التجربة ضرورتها والموافقة عليها .
واشهادا على ذلك قد وقع على هذه المعاهدة وأثبت خاتمه عليها كل من
الكولونيل ادوارد شارلس روس نيابة عن صاحبة الجلالة ملكة
بريطانيا العظمى وايرلندا وامبراطورة الهند ، وصاحب السمو سيد فيصل
بن تركي سلطان مسقط بالاصالة عن نفسه .
حرر في مسقط في هذا اليوم التاسع عشر من شهر مارس سنة ١٨٩١
الموافق لليوم الثامن من شهر شعبان سنة ١٣٠٨ هجرية .

أدوارد شارلز روس كولونيل

المقيم السياسي بالخليج الفارسي

ويلى ذلك توقيع صاحب السمو سلطان مسقط باللغة العربية .

- ١٢ -

اتفاقية بشأن تنازل سلطان عمان عن اراضيه بتاريخ

٢٠ مارس سنة ١٨٩١

الحمد لله وحده

الغرض من تحديد هذا الميثاق الشرعي المبجل هو اثبات ما اعتمده
ووافق عليه صاحب السمو سيد فيصل بن تركي - سلطان مسقط وعمان
من ناحية الكولونيل ادوارد شارلز روس - حامل وسام نجمة الهند ،
والمقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في الخليج الفارسي ، بالنيابة عن
الحكومة البريطانية من الناحية الاخرى ، وهو أن السيد فيصل بن تركي
بن سعيد المذكور - سلطان مسقط وعمان ، يتعهد ويرتبط عن نفسه وورثته
وخلفائه بالأب يتنازل ، أو يبيع أو يرهن أو يسمح باحتلال أي جزء من اراضيه
في مسقط أو عمان أو في أي من ملحقاتها لغير الحكومة البريطانية واثباتا
لابرام هذا الميثاق القانوني المبجل فان السيد فيصل بن تركي بن سعيد
سلطان مسقط وعمان والكولونيل شارلز روس - حامل وسام نجمة الهند
والمقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في الخليج الفارسي - الاول
بالاصالة عن نفسه وعن ورثته وخلفائه والثاني بالنيابة عن الحكومة
البريطانية - قد وقع عليه كل منهما بامضائه في حدود الشهود في يومنا هذا

التاسع من شعبان سنة ١٣٠٨ هجرية الموافق لليوم العشرين من شهر
مارس سنة ١٨٩١ .

السيد فيصل بن تركي بن سعيد

سسلطان مسقط وعمان

لانسسدون

نائب الملك والحاكم العام للهند

اى ٠٠ ش ٠ روس - كولونيل

المقيم السياسي في الخليج الفارسي

صدق عليه صاحب السعادة نائب الملك والحاكم العام للهند في

اليوم الحادي والثلاثين من شهر مايو سنة ١٨٩١

سكرتير حكومة الهند للادارة الخارجية

ه ٠ م ٠ ديواند

- ١٣ -

التعهد المقدم من سلطان عمان في ٣١ مايو سنة ١٩٠٢

للكيل السياسي البريطاني في مسقط بشأن مناجم الفحم

(بعد التحية المعتادة) بالاشارة الى رسالتكم التي بعثتم بها الي بشأن
تقرير الخبير الجيولوجي ، ووجهة نظر الحكومة في موضوع رواسب الفحم
احيطكم علما ان لسيادتكم الحرية في اخطار الحكومة نيابة عني بانني في
الوقت الحاضر لا أنوي الاضطلاع بهذا العمل بنفسي ، واننا اذا طلبت اية
حكومة أو شركة اذنا مني في المستقبل لمباشرة مشروع استخراج المعادن
فلن أوافق على ذلك قبل الاتصال أولا بالحكومة البريطانية لكي تتولى هي
العمل معي - ان رغبت في ذلك قبل الاتصال أولا بالحكومة البريطانية لكي
تتولى هي العمل معي - ان رغبت في ذلك هذا ما وجب تحريره حفظكم الله .

- ١٤ -

تعهد من سلطان مسقط بالانضمام إلى اتفاقية الاتجار بالاسلحة

سنة ١٩١٩ - ١٩٢١

بتاريخ ٤ جمادي الثانية سنة ١٣٣٩ هـ الموافق ١٧ فبراير سنة ١٩٢١

من تيمور بن فيصل (صاحب السمو السلطان)

الى مستر اي . ال . ونجت - قنصل صاحب الجلالة البريطانية بمسقط

بعد التحية ، تلقينا رسالتكم المؤرخة في ١٦ فبراير سنة ١٩٢١ .
وقد علم صاحبكم بما أشرتم اليه فيها بشأن الاتفاقية الدولية التي تم
الاتفاق عليها في مسألة الاسلحة . وقد دعوتونا سعادتكم ، بالنيابة عن
حكومتكم الى الانضمام الى اتفاقية ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ . ونحن نقدر
هذه الاتفاقية وننضم اليها ونقبل شروط الاتفاقية الخاصة بالاتجار في
الاسلحة .

تيمور

- ١٥ -

تعهد من سلطان مسقط بشأن زيت البترول سنة ١٩٢٣
(رسالة مؤرخة بتاريخ ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٤١هـ
الموافق ١٠ يناير سنة ١٩٢٣ من تيمور بن فيصل
صاحب السمو السلطان . الى الميجور راي - قنصل
صاحب الجلالة البريطانية بمسقط) .

بعد التحية : ردا على رسالتكم رقم ١٧٥١ بتاريخ ١٦ ديسمبر سنة
١٩٢٢ نحيط سعادتكم علما باننا نوافق على ألا نقوم باستغلال أي بترول
قد يوجد في أي مكان داخل أراضينا ، او نمنح تصريحا باستغلالها دون
مشاورة الوكيل السياسي في مسقط وموافقة حكومة الهند السامية .
ان ما سمعناه من وجود الزيت المعدني بجهة (مسيرة) فلم يتأكد
بعد وقد أخذنا نتحرى عن وجود هذا المعدن فيها ، فاذا علمنا عنه شيئا
أعقب ذلك مباحثات بين سيادتكم وبيننا حول استغلاله ، واتخاذ الاجراءات
والتدابير اللازمة للعمل . والشروط الضرورية ، وسيكون أمره بطبيعة
الحال احتكارا فنحن نثق بالمساعدة التامة من حكومة الهند السامية في هذه
المسألة الهامة على نحو ما سبق أن امدتنا به دائما من المساعدات التي
نحفظها لها .

- ١٦ -

(تعهد من شيخ الشارقة بشأن زيت البترول سنة ١٩٢٢)
رسالة من الشيخ خالد بن أحمد - رئيس الشارقة الى النبيل
اللفتنانت كولونيل أ . ب . تريفور G.S.T.G.L.E المقيم السياسي .

بالخليج الفارسي ببوشير بتاريخ ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤٠ (١٧ فبراير سنة ١٩٢٢) .

بعد التحية

ان هدي من كتابة هذه الرسالة الودية هو ابلاغ تحياتي لكم ولكي

أسأل عن صحتكم .

وثانيا ؛ ليس بخاف عليكم أنني أكتب هذه الرسالة بمحض ارادتي

لاتعهد لسيادتكم بأنه اذا كان ثمة أمل في أن يوجد في أراضي منجم للبترول

فلن أعطي امتيازه لاحد من الاجانب ، اللهم الا للشخص الذي تعينه

الحكومة البريطانية السامية .

هذا ما وجب تقريره .

ملاحظة : تعهد مماثل أعطي من شيخ راس الخيمة في ٢٢ فبراير

سنة ١٩٢٢ .

- ١٧ -

تعهد من شيخ دبي بشأن زيت البترول في سنة ١٩٢٢

رسالة من الشيخ سعيد بن مكتوم - رئيس دبي - الى اللفتنانت

كولونيل تريفور G.S.T.G.L.E المقيم السياسي بالخليج الفارسي

- بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣٤٠ (٢ مايو سنة ١٩٢٢) .

بعد التحية

لا يخفى عليكم أننا نوافق اذا ما اصبح من المنتظر وجود النفط فعلي

ان لانعطي الي امتياز في هذا الشأن لاحد ما الا للشخص الذي تعينه الحكومة

البريطانية السامية .

ملحوظة : اعطيت تعهدات مماثلة للتعهد المذكور اعلاه من كل من

الشيخ المذكورين بعد وفي التواريخ المبينة .

شيخ أبو ظبي بتاريخ : ٣ مايو سنة ١٩٢٢

شيخ عجمان بتاريخ : ٤ مايو سنة ١٩٢٢

شيخ أم القوين بتاريخ : ٨ مايو سنة ١٩٢٢

تعقيب .

هذه هي الترجمة الحرفية لنص المعاهدات والاتفاقات التي فرضتها

بريطانيا منذ اكثر من قرن ونصف القرن من الزمان على حكام القطر العماني
ومن دراستها يتبين للمرء كيف سلبت بريطانيا حرية ذلك القطر العربي ،
وانزلته من مرتبة السيادة الى مرتبة التبعية ، كما يتبين لليبب كيف سعت
في فصل أملاك عمان في شرق افريقية عن عمان في عهد نويني وماجد ابنا
سعيد بن سلطان ، وجعلت من نفسها حكما بين الاخوة وكيف تدرجت في
ذلك حتى آلت أملاك عمان في شرق افريقية الى مستعمرات بريطانية !
وأترك للقارىء التفكير مليا في ما تضمنته هذه الانفاقات العجيبة
ليرى بنفسه مدى الهوة التي تردى فيها اجدادنا باعتمادهم على عدوهم ،
واتخاذها صاحبا وصديقا . . . وصدق الله العظيم
« ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار »

- ١٨ -

معاهدة ١٨٩٩

المعاهدة مع حاكم الكويت في ٢٣ جنوري ١٨٩٩

المقصود من تحرير هذا الصك الحقانية المعتبر انه قد تحقق العهد
والقبول بين كرمل ملكم جان ميد اندين ستاف كار باليوز جلالة الملكة
البريطانية العظمى من جانب الدولة البهية القيصرية في طرف وجناب
الشيخ مبارك بن صباح شيخ الكويت في الطرف الثاني بأن جناب الشيخ
مبارك بن صباح المذكور برضائه واختياره يعطي العهد ويقيده نفسه وورثته
واخلافه الى الابد بأن لا يقبل وكيفا أو قائم مقام من جانب دولة أو حكومة
في الكويت او في قطعة اخرى عن حدوده بغير رخصة الدولة البهية القيصرية
الانكليسي ولا يفوض ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا ينقل بنوع آخر ولا
يعطي للسكون قطعة من اراضيه الى دولة او رعيه احد من الدول الاخر
يفيد ان يحصل الاجازة اولا من الدولة جلالة الملكة البريطانية العظمى لاجل
هذه الارادة وهذه المقابلة أيضا تشتمل على كل قطعة في اراضي الشيخ
المذكور التي تكون حالا في تصرف رعايا كل واحد من الدول الغير ولاجل
الشهادة لتكميل هذه المقابلة الحقانية المعتبرة المحترمة كذلك ملكم جان
ميد اندين ستاف كار باليوز جلالة ملكة البريطانية العظمى في خليج فارس
وجناب الشيخ مبارك الاول منهما من جانب الدولة البهية القيصرية الانكليسي

والثاني منهما من جانب نفسه وورثته واخلافه كل واحد منهما بمحضر
الشهود وضعا صحيحهم في هذا اليوم العاشر من شهر ربيعان المبارك سنة
١٩١٦ مطابق ٢٣ جنوري سنة ١٨٩٩ .

توقيع

الكولونيل ميد

المقيم السياسي في الخليج الفارسي

توقيع

مبارك الصباح

توقيع

الكابتن ويكهام هور

محمد رحيم بن عبد النبي صفر كالكوت كاسكن
صودق عليها من قبل سعادة نائب الملك والحاكم العام في الهند في
قلعة وليام في السادس عشر من فيبروري ١٨٩٩ .

توقيع

كالكوت كاسكن

توقيع

الكابتن ويكهام هور

توقيع

محمد رحيم بن عبد النبي صفر

ختم

دبليو جي كنغهام

سكرتير حكومة الهند

للشؤون الخارجية

توقيع

كرزن

أوف كدلستون

نائب الملك والحاكم العام في الهند

ولما أرسلت نسخة من تلك الاتفاقية الى لندن انتقد اللورد
(لانسدون) بشدة موقف حكومة الهند في بريقة أرسلها بتاريخ ٧ أيلول
عام ١٩٠٠م للغموض الوارد في تلك الاتفاقية .

أما سفير الدولة العثمانية في لندن (انتو بيلو باشا) عندما وقف
على مضمون تلك الاتفاقية قدم احتجاجا رسميا الى الحكومة البريطانية
لقيامها بعقد مثل تلك الاتفاقية مع الشيخ مبارك الذي هو أحد رعايا الدولة
العثمانية وعد ذلك تحديا لسيادة حكومته . فأجابه اللورد (لانسدون)
بكتاب مؤرخ ١١ أيلول ١٩٠٠م يقول فيه (ان الحكومة البريطانية لا تعترف
التدخل بالوضع القائم في الكويت) فأكتفى بذلك الجواب .

- ١٩ -

اتفاقية لندن بين بريطانيا وتركيا

بدأت في التاسع والعشرين من تموز ١٩١٣ في لندن مفاوضات بين
الحكومتين العثمانية والبريطانية اشترك فيها المستر ادوارد غراي وزير

الخارجية البريطانية والسيد ابراهيم حقي باشا سفير تركيا هناك لحل الخلافات القائمة بين الدولتين وقد اشتركت المانيا في تلك المفاوضات عن طريق سفيرها في لندن الامير لخنووسكي وتورد هنا بعض النصوص الهامة في الاتفاقية التي تم التوصل اليها .

المادة الخامسة : يمارس شيخ الكويت الاستقلال الذاتي داخل الاراضي التي تشكل نصف دائرة والتي مركزها مدينة الكويت وقد اشر هذا الخط باللون الاحمر على الخارطة المرفقة بهذه الاتفاقية .
ان جزر وريه ، وبوبيان ، ومسكان وفيلكا ، وعوهة وقارورة ، وكبر ، وام المرادم ، مع الجزيرات والمياه الاقليمية (الملاصقة) هي من ضمن هذه المنطقة .

المادة السادسة : « ان القبائل الموجودة داخل الحدود المشار اليها في المادة التي تلي هذه المادة ، معترف بكونها بمعية شيخ الكويت والذي يستوفى عشورهم كما كان في الماضي كما يباشر في حقهم المنح الادارية التي تسلم اليه . . . هذا وان الحكومة الامبراطورية العثمانية لا تباشر في هذه المنطقة أي عمل اداري بدون علم ودراية شيخ الكويت كما تمنع عن اقامة حامية عسكرية هناك أو القيام بعمل عسكري مهما كانت دون اتفاق سابق على ذلك مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية . . »

المادة السابعة : ان حدود الاقليم المبحوث عنها في المادة السابقة قد ثبتت كما يلي : ان خط الحدود يبدأ من الساحل عند مصب خور الزبير الشمالي الغربي ويمر مباشرة في جنوب ام قصر وصفوان وجبل سنام بحيث تترك هذه المحلات وآبارها الى ولاية البصرة ، ويصل الى الباطن ويتبع ذلك نحو الجنوب الغربي حتى حفر الباطن بحيث يترك ذلك الى جهة الكويت . ومن هذه النقطة فان الخط المذكور يتجه نحو الجنوب الشرقي تاركا الى الكويت آبار الصفا وآبار الكرعة وجبال الوربا واتنا حتى يصل الى البحر قرب جبل منيفة هذا الخط قد اشر باللون الاحمر على الخريطة الملحقة بهذا الاتفاق .

آخر تعهد من الحكومة البريطانية للكويت

عند نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ودخول تركيا فيها
صد بريطانيا وجهت الحكومة البريطانية الى الشيخ مبارك الصباح شيخ
الكويت التعهد التالي :

بسم الله

سعادة الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت

بعد التحية :

الحاقا برسالتنا المتضمنة خبر نشوب الحرب بين الحكومة البريطانية
وتركيا اخبركم بان الحكومة البريطانية قد امرتني ان ابلغ سيادتكم
شكرها لولائتكم ولعرضكم العون وان ارجوكم ان تهاجموا ام قصر وصفوان
وبوبيان وتحتلوهما وعليكم بعد ذلك ان تحاولوا بالتعاون مع الشيخ خزعل
والامير عبدالعزيز بن سعود وغيرهم من الشيوخ الوثوق بهم تحرير البصرة
من يد الاتراك فاذا ما كانت هذه المهمة فوق طاقتكم فعليكم ان تجروا
الترتيبات اذا كان ممكنا للحيلولة دون وصول الامدادات التركية الى البصرة
او حتى القرنة الى ان يصل الجند البريطانيون الذين سنرسلهم في اقرب
وقت باذن الله واني لارجو كذلك ان تصل سفينتان من سفننا الحربية الى
البصرة قبل وصول جنودكم اليها ومع ان هدفكم الاول سيكون في هذا
الشان تحرير البصرة الا اننا نرجو ان تبذلوا كل ما لديكم من جهد لمنع
الجنود وغيرهم من سلب بضائع التجار البريطانيين في البصرة وتوابعها وان
تحموا الاوربيين في البصرة وان تؤمنوهم ضد أي خسارة واضطهاد .

ولقد امرتني الحكومة البريطانية ان اقدم لسعادتكم مقابل هذه
المساعدة وعدا باننا اذا ما نجحنا باذن الله فاننا لن نعيد البصرة الى الحكومة
التركية ولن نسلمها لهم ابدا .

كما انني اتقدم لكم نيابة عن الحكومة البريطانية ببعض الوعود الخاصة
بسعادتكم شخصيا وهي :

١ - ان بساتينكم الموجودة في حوزتكم وهي بساتين النخيل الواقعة في

- الفاو والقرنة ستبقى ملكا لكم ولابنائكم وستكون معفاة من أية ضريبة .
- ٢ - اذا هاجمتم صفوان وأم قصر وبوبيان وتمكنتم من احتلالها فان الحكومة البريطانية تتعهد بحمايتكم من كل ما ينجم من هذا العمل .
- ٣ - تقر الحكومة البريطانية وتعترف بان مشيخة الكويت حكومة مستقلة تحت الحماية البريطانية .
- وتفضلوا

رصدنت وقنصل جنرال الدولة
نوكس
البريطانية العظمى في الخليج العربي

المصادر

١ - المصادر الانكليزية والفرنسية :

1. Voyage En Arabie By K. Niebuhr.
2. A Golden Dream By Ralph Hewins.
3. The Portuguese Off The South Arabian Coast By R. B. Serjeant.
4. In The High Yemin By Hugh Scott.
5. Arabian Adventurer By Stanton Hope.
6. Oil In The Middle East By H. Longrigg.
7. Aden 1839-1939 By J. Garsto.
8. Anglo-Turkish Antagonism in Persian Gulf By Ravindar Kumar.
9. An Arab State In The Dawn Of History By P.B. Cornwall.
10. The Go Devils By Wayne Mineav.

٢ - المصادر العربية :

- ١١ - الامارات السبع على الساحل الاخضر - احمد قاسم البوريني *
- ١٢ - عمان والامارات السبع - عبدالقادر زلوم *
- ١٣ - تاريخ الكويت السياسي ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - حسين خلف الشيخ خزعل *
- ١٤ - الخليج العربي - تأليف جان جاك بيري - ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز *
- ١٥ - جزيرة العرب - تأليف جان جاك بيري - ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز *
- ١٦ - بتروال الصحراء - تأليف دافيد فيني - ترجمة اسماعيل الناظر
- ١٧ - تاريخ المدينة الاوربية - علي حيدر سليمان

- ١٨ - مدحت باشا - قدرى قلعهجى
١٩ - جغرافية جزيرة العرب - عبد المنعم الغلامى
٢٠ - الاستعمار فى الخليج الفارسى - الدكتور صلاح الدين العقاد
٢١ - العرب والملاحه فى المحيط الهندى - جورج فاضلو حورانى
٢٢ - الجغرافية العمومية - تأليف اسمندار وكوك .
٢٢ - البحر الاحمر والاستعمار - الدكتور جلال يحيى
٢٤ - نهاية الاستعمار - تأليف هوير ديشان - ترجمة زهير السعداوى
٢٥ - البرتغال فى الخليج العربى - محمد عبدالله الطائى (مجلة المعارف)
٢٦ - قنب اليمن - تأليف محمد حسن المحاويلي
٢٧ - آسيا والسيطرة الغربية - تأليف ك . م بانىكار - ترجمة عبدالعزيز جاويد
٢٨ - موارز البترول فى الخليج العربى - تأليف محمود قلعهجى
٢٩ - العلاقات التجارية بين العرب و الهند - السيد سلمان النداوى
٣٠ - رحلة السيرافى الى الهند والصين - تأليف ابى زيد السيرافى
٣١ - على طريق الهند - تأليف عبدالفتاح ابراهيم
٣٢ - جزيرة العرب فى القرن العشرين - تأليف حافظ وهبة
٣٣ - تجارة العراق قديما وحديثا - تأليف يوسف غنيمه
٣٤ - العصور القديمة - تأليف جيمس برستيد - ترجمه داود قربان
٣٥ - موجز التاريخ الفارسى - سعيد على
٣٦ - التاريخ العثمانى - عبدالهادى الاعظمى
٣٧ - أضواء جديدة على الحروب الصليبيه - الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور
٣٨ - المسألة العمانيه - اسماعيل ابو هلال
٣٩ - الجغرافيون العرب - مصطفى الشهابى
٤٠ - لمحات من تاريخ العالم - جواهر لال نهرو
٤١ - موجز تاريخ العالم - تأليف هوج ولز - ترجمة عبدالعزيز جاويد
٤٢ - الخليج العربى والعلاقات الدولية - الدكتور محمود على الداود
٤٣ - اكتشاف جزيرة العرب تأليف جاكلين بيرين - ترجمة قدرى قلعهجى
٤٤ - بريطانيا والشرق الاوسط - تأليف زيدر بولارد - ترجمة حسن أحمد السلطان

- ٤٥ - معركة النفط في ايران - سليم طه التكريتي
 ٤٦ - معركة النفط في العراق - سليم طه التكريتي
 ٤٧ - الاستعمار الامريكى في البلاد العربية - سليم طه التكريتي (مخطوط)
 ٤٨ - سكة حديد بغداد - برلين وانتانفس على العراق - سليم طه التكريتي
 (مخطوط)
 ٤٩ - الصراع على البترول في الخليج العربي - سليم طه التكريتي
 (مخطوط)
 ٥٠ - مشاهدات بريطاني في العراق بقلم جاكسون - ترجمة سليم طه
 التكريتي
 ٥١ - جولة في الخليج العربي بقلم وليمنسن - ترجمة سليم طه التكريتي
 ٥٢ - حرب البترول في الشرق الاوسط - الدكتور راشد الراوي
 ٥٣ - النفط مستعبد الشعوب - يوسف ابراهيم يزبك
 ٥٤ - البترول في البلاد العربية (مجلة العروة عدد خاص آذار ١٩٣٩)
 ٥٥ - الكويت - للعميد المتقاعد محمود بهجت سنان
 ٥٦ - البحرين - للعميد المتقاعد محمود بهجت سنان
 ٥٧ - تاريخ قطر العام - للعميد المتقاعد محمود بهجت سنان
 ٥٨ - حقائق عن الجنوب العربي - كامل المشاهدي

الفهرس

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٣	مقدمة
	الفصل الاول - الصراع على الخليج العربي بين العرب واليونان
٩	والفرس والرومان
١٦	الفصل الثاني - الخليج بحيرة عربية في العصر الاسلامي
٢٣	الفصل الثالث - العرب يقاومون الغزو البرتغالي للخليج
	الفصل الرابع - اصطراع العرب مع الهولنديين وبوادر التدخل
٤١	الانكليزي في الخليج
٥١	الفصل الخامس - التنافس بين فرنسا وبريطانيا وتركيا في الخليج
	الفصل السادس - روسيا وتركيا تصارعان بريطانيا في الخليج -
٧٠	بروز امارتي عربستان والمحمرة العربيتين
	الفصل السابع - الصفحة الاخيرة للصراع البريطاني التركي الروسي
٨١	في الخليج
	الفصل الثامن - سكة حديد بغداد - برلين ، والزحف الالماني نحو
٨٧	الشرق
٩٦	الفصل التاسع - خاتمة المطاف في الصراع على البترول في الخليج
١٠٧	ملحق اتفاقات ومعاهدات الخليج العربي
١٤٤	المصادر

هذا الكتاب ..

... فبعد ان كان ينظر الى الخليج العربي على انه موطن صيد اللؤلؤ الثمين الذي يدر الارباح الطائلة على المتاجرين به من انباء الشرق والغرب معا . اصبح الخليج العربي في نظر اوربا المتحفزة الى الفتح حين بدأت اول حملة صليبية على الشرق المسلم ، المفتاح الذي يفتح مغاليق الشرق كله والباب الذي تستطيع اوربا ان تدخل منه الى الهند والصين تلك العوالم الجديدة الفنية بالكنوز الفريدة والمنتجات الوفيرة التي كانت تتوق اوربا الى اقتناء المزيد منها بأي ثمن كان ..



INTERNATIONAL AFFAIRS

DS
63
.I52
12

MAR 22 1968

JUL 31 1973

